إعْرابُ جزءِ عَمَّ

إعراب وتفسير وبلاغة وأسباب النزول

تأليف
محمد حسين سلامة

دار الآفاق العربية

إعراب جزء عمّ

إعراب وتفسير وبلاغة وأسباب النزول

إعراب جزء عمّ

إعراب وتفسير وبلاغة وأسباب النزول

تأليف

محمد حسين سلامة

دار الآفاق العربية

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦ م

دار الآفاق العربية
نشر - توزيع - طباعة
٥٥ ش محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٢٦١٧٣٣٩
تليفاكس : ٢٦١٠١٦٤
EMAIL:Daralafk@yahoo.com

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/١٩٨٤٩
الترقيم الدولي : 4 - 102 - 344 - 977

الشركة الدولية للطباعة
المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
: ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨١٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤
e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ
ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ
ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل على عبده القرآن الكريم ليكون دستورًا "عظيمًا" للبشرية كلها، والصلاة والسلام على مبعوثة العظيم ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد،

فإن القرآن الكريم دستور خالد، أنزله الله عز وجل لينير للبشرية طريق الهدى والفلاح، ويخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان وسيظل القرآن الكريم هاديًا ومرشدًا للإنسانية جمعاء لأنه كلام رب العالمين: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[1] والقرآن الكريم آخر ما نزل من السماء لأهل الأرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لا كتاب بعده فهو النور المبين والصراط المستقيم الواجب علينا اتباعه والسير على هديه لننال الفوز برضوان الله تعالى؛

ثم أما بعد

أخي الكريم فإن جزء (عم) وهو الجزء الثلاثون من كتاب الله عز وجل وعدد سوره (سبع وثلاثون سورة) من قصار المفصل ويحفظه الملايين من بني أمة الإسلام، وهو يشتمل على المبادئ العظيمة والحكم السّامية وبيان فضل الله تعالى على البشرية جمعاء موضحًا أركان التوحيد وقواعد الإيمان وأن العبودية الحق لا تكون إلا لله خالق السماوات والأراضين وأن عبادة الأصنام باطلة حيث لا تنفع ولا تضر، فأمور القرآن الكريم كله ترغيب وترهيب: ترغيب في الإيمان والاستقامة والسير على منهج الإسلام واتباع سنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم؛ وترهيب من أهوال يوم القيامة والمصير المظلم لهؤلاء المعاندين المشركين الذين جحدوا فضل الله عليهم.

---

(١) الشعراء ١٩٣: ١٩٥.

ومما لا شك فيه أن المسلم بحاجة دائمة إلى التذكير، حتى لا ينسى ويبتعد عن طريق الهدى ويسلك طريق الغواية (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) وقد استعنت بالله عز وجل أولاً وأخرا لأقدم هذا العمل المتو اضع ولأوضح وأبين وأذكرّ به المسلمين فى كل بقاع الدنيا ويفضل القرآن العظيم الذى لا يأتيه اىباطل من بين ولا من خلفه، وراجعت أمهات الكتب فى التفسير لتكون خير هاد لى فى عملى هذا، ثم قمت بالإعراب الكامل للآيات الكريمات إعرابا سهلا مُيَسَّرا، وأوضحت أسباب النزول والكثير من الصور البلاغية، فهذا الكتاب بحق مرجع مهم لا غنى عنه لكل أبناء أمتنا العربية والإسلامية.

أسأل الله عز وجل أن يتقبل منى هذا العمل المتواضع وأن ينتفع به كل المسلمين هدانا الله إلى طريقه المستقيم ونفعنا بقرآنه العظيم فهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

الكاتب

محمد حسين سلامة

(٧٨) سورة النبأ

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها أربعون، تدور كلها حول يوم البعث وما فيه من أهوال وإثبات عقيدة البعث.

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن يوم القيامة ، هذا الحديث العظيم الذى شغل أذهان كفار مكة حتى صاروا فيه ما بين مصدق ومكذب ثم أقامت الدلائل والبراهين على قدرة الله عز وجل على البعث والنشور يوم الفصل يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ ﴾ (النبأ ١٧ -١٨).

ثم تحدثت السورة الكريمة عن جهنم وما فيها من ألوان العذاب للكافرين ثم تحدثت عن المتقين وما أعد الله لهم من ضروب النعيم على طريقة القرآن الكريم بين الترغيب والترهيب وختمت السورة الكريمة بذكر أهوال يوم القيامة حيث يتمنى الكافر أن يكون ترابا لهول ما يرى من ألوان العذاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾

معانى المفردات:

عم: عن أى شىء وهى "عن" حرف جر وما الاستفهامية أدغمت الميم فى النون وحذفت ألف ما النبأ العظيم : الخبر العظيم والمراد به البعث.

التفسير

يقول الله عز وجلّ عن أى شيء يسأل هؤلاء الجاحدون من كفار مكة حيث كانوا يتساءلون عن البعث والحساب ويخوضون فيه استنكارا واستهزاء، فجاء

اللفظ بصيغة الاستفهام للتهويل والتفخيم والتعجيب من شأنهم، ثم ذكر الله تعالى ذلك الخبر الخطير فقال ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أى إنهم يتساءلون عن هذا الأمر العظيم وهو أمر البعث[1] الذى اختلفوا فيه بين الشك والتكذيب والإنكار لحصوله ثم قال سبحانه: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ أى ليرتدع أولئك المكذبون. عن التساؤل عن البعث، فسيعلمون حقيقة الحال حين يرون البعث أمراً واقعا ويرون عاقبة استهزائهم ثم قال تعالى مرة أخرى ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ فهذا تأكيد للوعيد من التهويل حيث سيعلمون ما يحل بهم من العذاب والنكال، لأن الله تعالى الذى قدر إيجاد كل هذه المخلوقات العظام، قادر على إحياء الناس بعد موتهم ثم قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴾ أى ألم نجعل هذه الأرض تسكنوها ممهدة للاستقرار عليها، والتقلب فى كل أنحائها!

حيث جعلنا الله تعالى كالفراش والبساط ليستقر الناس على ظهرها وليستفيدوا من سهولها الواسعة بأنواع المزروعات، ثم قال تعالى: ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ أى وجعلنا الجبال كالأوتاد تثبت الأرض لئلا تميد، كما تثبت الخيمة بالأوتاد، قال فى التسهيل شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد[2].

الإعراب:

عمَّ يتساءلون	عن حرف جر وما اسم استفهام مبنى فى محل جر ويحذف ألف ما الاستفهام إذا دخل عليها حرف جر، وأدغمت النون فى الميم والجار والمجرور متعلقان بيتساءلون، يتساءلون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل.
عن النبأ	جار ومجرور متعلقان بمحذوف دل عليه يتساءلون
العظيم	نعت مجرور
الذي	نعت ثان للنبأ

(1) البحر المحيط ٨/٤٠٩.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/١٧٣.

هُم	ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ
فيه	جار ومجرور ، متعلقان بمختلفون
مختلفون	خبر مرفوع بالواو ، والجملة صلة الموصول (الذى)
كلا سيعلمون	كلا حرف زجر وردع ووعيد للمتسائلين هزؤا ، سيعلمون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ومفعول سيعلمون محذوف تقديره ما يحل بهم.
ثم كلا سيعلمون	ثم حرف عطف ، وكلا سيعلمون تأكيد لفظى للجملة السابقة ولا تَضُرُّ توسط حرف العطف ، والنحويون يرون أنها عطف وإن أفاد التأكيد.
ألم نجعل	الهمزة للاستفهام التقريرى ، لم حرف نفى وجزم ونجعل مضارع مجزوم بالسكون ، والفاعل مستتر تقديره نحن.
الأرض	مفعول به أول منصوب.
مهادا	مفعول به ثان منصوب.
والجبال أوتادا	الجملة معطوفة على ما سبق.

﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا
﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾

معانى المفردات:

خلقناكم أزواجا : أصنافا ذكورا وإناثا

نومكم سباتا : قطعا لأعمالكم وراحة لأبدانكم

الليل لباسا : ساترا لكم بظلمته

النهار معاشا : تحصلون فيه ما تعيشون به

سبعا شدادا : قويات محكمات

سراجا: مصباحا

وهاجا: غاية في الحرارة

المعصرات: السحائب

ماء ثجاجا: منصبا بكثرة

جنات ألفافا: ملتفة الأشجار لكثرتها

التفسير:

يقول الله تعالى: ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أى جعلناكم أيها الناس أصنافا ذكورا وإناثا؛ لتنظيم أمر النكاح والتناسل ولا تنقطع الحياة عن ظهر الأرض ثم جعل الله النوم راحة للأبدان، قاطعًا للعمل، يتخلص به الإنسان من مشاق العمل بالنهار، ثم يقول سبحانه ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ أى جعلنا الليل كاللباس يغشاكم ويستركم بظلامه، كما يستركم اللباس، ويغطيكم ظلمته كما يغطى الثوب لابسه، ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾أى جعلنا النهار سببا لتحصيل المعاش، تصرف منه الإنسان لقضاء حوائجه، يقول الإمام ابن كثير رضى الله عنه جعلناه مشرقًا مضيئًا ليتمكن الناس من التصرف فيه، بالذهاب والمجئ للمعاش والكسب والتجارة وغير ذلك[1].

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ أى وبنينا فوقكم أيها الناس سبع سماوات محكمة الخلق بديعة. الصنع، متينة فى إحكامها، وإتقانها، لا تتأثر بمرور العصور والأزمان خلقناها بقدرتنا لتكون كالسقف للأرض؛ ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ وأنشأنا لكم شمسًا منيرة ساطعة تتوهج ضوءها ويتوقد لأهل الأرض كلهم، قال المفسرون: الوهاج المتوقد الشديد الإضاءة، الذى يضطرم ويلتهب من شدة لهبه قال ابن عباس: المنير المتلألئ[2] ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ أى وأنزلنا من السحب التى حان وقت امطارها ماء دافقا منهمرا بشدة جاء فى التسهيل المعصرات هى السحب مأخوذة من العصر لأن السحاب يتعصر فينزل منه الماء[3]. ﴿ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ أى لتخرج بهذا الماء أنواع الحبوب والزروع التى تنبت فى الأرض غذاء للإنسان

---

(١) ابن كثير ٣/٥٩٠.

(٢) القرطبى ١٩/١٧٠.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/١٧٣.

والحيوان، وحدائق وبساتين كثيرة ملتفة بعضها على بعض لكثرة أغصانها وتقارب أشجارها[1].

الإعراب:

وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا	عطف على ما تقدم، خلقناكم فعل ماض مبنى ونا الفاعلين فى محل رفع فاعل، والضمير "كم" فى محل نصب مفعول به، أزواجا حال منصوب.
وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا	الآية معطوفة على قبلها وسباتا مفعول ثان لجعلنا.
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا	الجملة معطوفة على ما تقدم وبنفس الإعراب السابق.
وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا	الجملة معطوفة أيضا على ما تقدم وبنفس الإعراب السابق ومعاشا مصدر ميمى بمعنى المعيشة وقد وقع هنا ظرفا للزمان أى وقت معاش.
وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا	الجملة معطوفة أيضا على ما تقدم، بنينا فعل ماض مبنى ونا الفاعلين، فوقكم ظرف منصوب والظرف فى محل جر بالإضافة وسبعا مفعول به، شدادا نعت منصوب.
وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا	الجملة معطوفة على ما تقدم وبنفس الإعراب تقريبا.
وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ	الواو عاطفة، أنزلنا فعل ماض ونا الفاعلين فى محل رفع فاعل، من المعصرات جار ومجرور متعلقان بأنزلنا.
مَاءً ثَجَّاجًا	ماءً مفعول به منصوب وثجاجا نعت منصوب.
لِنُخْرِجَ بِهِ	مضارع منصوب بعد لام التعليل والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن به جار ومجرور متعلقان بنخرج.

---

(١) صفوة التفاسير ص ١٦٧٣.

حَبًّا وَنَبَاتًا	حبا مفعول به ونباتا معطوف منصوب.
وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا	وجنات معطوف منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم وألفافا نعت منصوب.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ
ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا
﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾

معاني المفردات:

يوم الفصل: يوم القيامة

ميقاتا: موعدًا

ينفخ في الصور: المراد نفخة القيام من القبور

أفواجا: جماعات

فكانت سرابا: أي كالسراب الذي لا حقيقة له

مرصادا: موضع ترصد وترقب للكافرين

للطاغين مآبا: مرجعا للطغاة الظالمين

لابثين فيها أحقابا: باقين فيها دهورا لا نهاية له

يوم الفصل: يوم القيامة

ميقاتا: موعدا

التفسير

إن يوم الحساب والجزاء وهو يوم الفصل بين الخلائق، وله وقت محدد معلوم في علمه عز وجل لا يتقدم ولا يتأخر، قال القرطبي: سُمِّيَ يوم الفصل لأن الله تعالى يفصل بين خلقة وقد جعله سبحانه وقتا وميعادا للأولين والآخرين[1] وفي هذا اليوم ينفخ في الصور نفخة القيام من القبور فتحضر الخلائق جماعات جماعات

(١) تفسير القرطبي ١٩/١٧٣.

وزمرا زمرا للحساب والجزاء، ثم ذكر سبحانه وتعالى أوصاف ذلك اليوم الرهيب فقال سبحانه ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾ أى تشققت السماء من كل جانب، حتى كان فيها صدوع وفتوح كالأبواب من الجدران، من هول ذلك اليوم كقوله تعالى "إذا السماء انشقت" وعبر بالماضى "وفتحت" لتحقق الوقوع ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ أى ونسفت الجبال وقلعت من أماكنها، حتى أصبح يخيل إلى الناظر كالسراب الذى يظنه من يراه ماء وهو فى الحقيقة هباء[1] ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ أى جهنم تنظر وترقب نزلاءها الكفار كما يترصد الإنسان ويترقب عدوه ليأخذه على حين غرة وهى ﴿ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴾ أى مرجع ومنزل للطغاة المجرمين أى ماكثين فى النار دهورا متتابعة لا نهاية لها، قال القرطبى: أى ماكثين فى النار ما دامت الأحقاب. أى الدهور. وهى لا تنقطع كلما مضى حقب جاء حقب لأن أحقاب الآخر لانهاية لها[2].

الإعراب:

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ	إن حرف توكيد ونصب، يوم اسم إن منصوب، الفصل مضاف إليه مجرور.
كَانَ مِيقَٰتًا	كان فعل ماض ناسخ مبنى على الفتح، اسم كان مستتر تقديره هو، ميقاتا خبر كان منصوب، وجملة كان واسمها وخبرها فى محل رفع خبر إن.
يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ	يوم بدل من يوم الفصل، ينفخ فعل مضارع مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على إسرافيل، فى الصور جار ومجرور.
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا	فتأتون الجملة معطوفة على جملة ينفخ، أفواجا حال منصوب.

(١) تفسير القرطبى ٧/٣٠.

(٢) القرطبى ١٩/١٧٥.

وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ	وفتحت فعل ماض مبنى للمجهول، السماء نائب فاعل مرفوع والجملة معطوفة على ما قبلها، وعدل عن المضارع إلى الماضى لتحقيق الوقوع، وقيل الواو حالية والجملة فى محل نصب حال.
فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا	فكانت عطف على فتحت، واسم كان ضمير مستتر تقديره هو وأبوابا خبر كان منصوب.
وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ	الواو عاطفة، سيرت ماض مبنى للمجهول والجبال نائب فاعل مرفوع والجملة معطوفة أيضا على ما سبق.
فَكَانَتْ سَرَابًا	نفس إعراب "فكانت أبوابا"
إِنَّ جَهَنَّمَ	إن حرف توكيد ونصب مبنى على الفتح، جهنم اسم إن منصوب.
كَانَتْ مِرْصَادًا	كانت فعل ماض ناسخ واسمها ضمير مستتر تقديره هى مرصادا خبر كان منصوب وجملة كان واسمها وخبرها فى محل رفع خبر إن.
لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا	للطاغين جار ومجرور متعلقان بمرصادا ومآبا خبر ثان لكان
لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا	لابثين حال مقدرة منصوبة بالياء، من الضمير المستكن فى لابثين وأحقابا ظرف زمان متعلق بلابثين.

﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

معانى المفردات:

بردًا : روحا وراحة　　　　حميما : ماء بالغ نهاية الحرارة

غساقا: صديدا يسيل من جلودهم جزاء وفاقا: موافقا لأعمالهم

كذابًا: تكذيبا شديدا أحصيناه: حفظناه وضبطناه

التفسير:

الآيات الكريمات تتحدث عن مصير الكافرين فى جهنم فيقول سبحانه: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ أى لايذوقون فى جهنم برودة تخفف عنهم حر النار ولا شرابا يسكن عطشهم، ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ أى إلا ماء حارا بالغا غاية الحرارة وغساقا أى صديدا يسيل من جلود أهل النار، ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ أى عاقبهم الله بذلك جزاء موافقا لأعمالهم السيئة، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ فلم يكونوا يتوقعون الحساب والجزاء ولا يؤمنون بلقاء الله، فجازاهم الله بذلك الجزاء العادل، ﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ أى وكانوا يكذبون بآيات الله الدالة على البعث وبالآيات القرآنية تكذيبا شديدا﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴾ أى وكل ما فعلوه من جرائم وآثام ضبطناه فى كتاب لنجازيهم عليه، ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ أى فذوقوا يا معشر الكافرين فلن نزيدكم إلا عذابا فوق عذابكم.

قال المفسرون: ليس فى القرآن على أهل النار آية هى أشد من هذه الآية كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشد منه[1].

الإعراب:

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا	لا حرف نفى مبنى على السكون، يذوقون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة فى حل نصب حال والضمير فى لابثين أى لابثين غير ذائقين أو نعتا لأحقابا وقيل الجملة مستأنفة، بردا مفعول به، الواو حرف عطف، لا نافية، شرابا عطف على بردا.
إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا	إلا أداة استثناء تفيد الحصر، حميما بدل من شرابا لأن الكلام غير موجب وغساقا عطف على حميما.

(١) القرطبى ١٩/ ١٨٠.

جَزَآءً وِفَاقًا	جزاء مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره فجوزوا بذلك جزاء وفاقا نعت لجزاء لتكون الجملة مستأنفة.
إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا	إنهم إن واسمها ، كانوا كان واسمها وجملة كان واسمها فى محل رفع خبر إن ، لا حرف نفى مبنى ، يرجون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ، حسابا مفعول به منصوب.
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا	الواو عاطفة ، كذبوا فعل ماض والواو فاعل ، بآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا والضمير (نا) فى محل جر بالإضافة ، كذابا مفعول مطلق منصوب.
وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا	وكُلَّ الواو عاطفة وكل منصوب على الاشتغال أى وأحصينا كل شيء أحصيناه ، وشيء مضاف إليه مجرور وجملة أحصيناه فعل وفاعل ومفعول وكتابا يجوز أن يكون مصدر من معنى أحصيناه أى إحصاء أو حال بمعنى مكتوبا وجملة أحصيناه مفسره لا محل لها من الإعراب.
فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا	فذوقوا الفاء تعليلية ، ذوقوا فعل أمر مبنى وعلامة بنائه حذف النون والواو فاعل ، فلن الفاء عاطفة ، لن حرف مصدرى ونصب واستقبال ، ونزيدكم فعل مضارع منصوب بلن والكاف مفعول به أول ، وإلا أداة حصر ، وعذابا مفعول به ثان منصوب. وفاعل نزيدكم مستتر تقديره نحن.

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ
فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ
لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾

معانى المفردات:

مفازا: فوزا وظفرا   كواعب: فتيات جميلات

أترابا: مستويات فى السن والحسن   كأسا دهاقا: ممتلئة

لغوا: كلاما غير مفيد لا يعتّد به   كذابا: تكذيبا

عطاء حسابا: إحسانا كافيا.

التفسير:

إن المؤمنين الأبرار الذين أطاعوا ربهم في الدنيا موضع ظفر وفوز في جنات النعيم، وخلاص من عذاب الجحيم، ثم أوضحت الآيات الكريمات أن هذا الفوز بساتين ناضرة فيها من جميع الأشجار والأزهار وفيها كروم الأعناب الطيبة المتنوعة من كل ما تشتهيه النفس الإنسانية ونساء عذارى نواهد وهن في سن واحدة. قال في التسهيل: الكواعب جمع كاعب وهي الجارية التي خرج ثديها[١]، وكأسا من الخمر ممتلئة قد عصرت وصفيت[٢] وهم في الجنة لا يسمعون كلاما لا فائدة فيه ولا كذبا من القول لأن الجنة دار السلام وكل ما فيها سلام من الباطل والنقص، وقد جازاهم الله عز وجل لهذا الجزاء العظيم تفضلا منه وإحسانا، فهو سبحانه وتعالى ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي هذا الجزاء صادر من الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء ولا يقدر أحد أن يخاطبه في رفع بلاء أو رفع عذاب في ذلك اليوم هيبة وجلالا[٣].

الإعراب:

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا	إن حرف تأكيد ونصب، للمتقين جار ومجرور في محل رفع خبر إن مقدم، مفازا اسم إن مؤخر منصوب.
حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا	حدائق بدل منصوب من مفازا وأعنابا معطوف منصوب.
وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا	وكواعب معطوف منصوب على ما سبق، أترابا نعت منصوب.
وَكَأْسًا دِهَاقًا	الجملة معطوفة على ما سبق وبنفس الإعراب.
لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا	لا حرف نفي مبني، يسمعون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، فيها جار ومجرور، لغوا مفعول به منصوب، ولا كذابا معطوف منصوب والجملة في محل نصب حال.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ١٧٤.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.

جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا	جزاء مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره جازاهم الله جزاء، من ربك جار ومجرور والجار والمجرور نعت لجزاء، عطاء بدل من جزاء وحسابا نعت لعطاء منصوب.
رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	ربِّ بالجر بدل من ربك وقرئ بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هو ربُّ، السموات مضاف إليه مجرور، والأرض معطوف مجرور.
وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ	وما عطف على السموات والأرض، بينهما ظرف مكان منصوب متعلق بمحذوف صلة ما، والرحمن بدل أو نعت لرب أيضا.
لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا	لا حرف نفي مبني، يملكون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة مستأنفة، ومنه جار ومجرور متعلقان بيملكون، خطابا مفعول به منصوب. وقرئ برفع الرحمن فيكون مبتدأ وجملة لا يملكون خبره.

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾

معاني المفردات:

مآبا: مرجعا بالإيمان والطاعة.

كنت ترابا: فلم أبعث في هذا اليوم.

التفسير:

إن يوم القيامة يوم رهيب حيث يقف جبريل والملائكة مصطفين خاشعين، لا يتكلم أحدهم إلا من أذن له الله تعالى بالكلام والشفاعة ونطق بالصواب، قال الصاوي: وإذا كان الملائكة الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله لا يقدرون أن

يشفعوا إلا بإذنه، فكيف يملكون غيرهم[1] ذلك اليوم العظيم وهو يوم القيامة هو اليوم الكائن الواقع لا محالة فمن شاء أن يسلك إلى ربه مرجعا كريما بالإيمان والعمل الصالح فليفعل، وهو حث وترغيب، ثم قال تعالى "إنا أنذرناكم عذابا قريبا" حيث وجه الله تعالى الخطاب لكفار قريش المنكرين للبعث أى إنا حذرناكم وخوفناكم عذابا قريبا وقوعه هو عذاب الآخرة، سماه قريبا لأن كل ما هو آت قريب، وفى هذا اليوم يرى كل إنسان ما قدَّم من خير ولم يكلف ويقول: ياليتنى كنت ترابا حتى لا أحاسب ولا أعاقب قال المفسرون: وذلك حين يحشر الله الحيوانات يوم القيامة فتقتص للجمَّاء من القرناء، وبعد ذلك يصيرها ترابا، فيتمنى الكافر أن لو كان كذلك حتى لا يعذب[2].

الإعراب:

يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ	يوم ظرف متعلق بلا يتكلمون، يقوم مضارع مرفوع والروح فاعل وجملة يقوم الروح فى محل جر بالإضافة للظرف.
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا	والملائكة معطوف مرفوع وصفا حال منصوب أى مصطفين.
لَّا يَتَكَلَّمُونَ	لا حرف نفى مبنى على السكون، يتكلمون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة تأكيد لقوله "لا يملكون" أو مستأنفة.
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ	إلا أداة حصر، من اسم موصول بمعنى الذى بدل من الواو فى يتكلمون أو نصب على الاستثناء، أذن فعل ماض، له جار ومجرور والرحمن فاعل والجار والمجرور متعلقان بأذن.
وَقَالَ صَوَابًا	وقال فعل ماض مبنى والفاعل مستتر، صوابا نعت لمصدر محذوف أى قولا صوابا.

(1) حاشية الصاوى على الجلالين ٤/٢٨٦.
(2) صفوة التفاسير صـ ١٦٧٦.

ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ	ذلك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، اليوم بدل مرفوع والحق خبر مرفوع. ويمكن القول بأن اليوم هو الخبر والحق نعت للخبر.
فَمَن شَآءَ	الفاء هي الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط محذوف، من شرطية فى محل رفع مبتدأ، شاء فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر.
ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا	اتخذ فعل ماض جواب الشرط والفاعل ضمير مستتر، إلى ربه جار ومجرور متعلقان باتخذ، جملة الشرط والجواب فى محل جزم، مآبا مفعول به منصوب.
إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ	إن واسمها وأنذرناكم خبر جملة فعلية فى محل رفع والضمير فى محل نصب مفعول به أول.
عَذَابًا قَرِيبًا	عذابا مفعول به ثان منصوب، قريبا نعت منصوب.
يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ	يوم ظرف متعلق بعذابا وجملة ينظر المرء فى محل جر بالإضافة للظرف.
مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ	ما اسم موصول فى محل نصب مفعول، قدمت فعل ماض مبنى، يداه فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى وحذفت النون للإضافة والضمير فى محل جر الإضافة.
وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ	الواو للعطف، ويقول مضارع، الكافر فاعل والجملة معطوفة على ما قبله ويمكن القول إن الواو واو الحال وتكون الجملة فى محل نصب حال.
يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا	يا حرف نداء مبنى للتنبيه والمنادى محذوف، وليتنى ليت واسمها وجملة كنت خبرها وترابا خبر كان منصوب.

من ألوان البلاغة

قد امتلأت السورة الكريمة بالعديد من ألوان البلاغة نذكر منها :

- التشبيه البليغ في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ والتوضيح جعلنا الأرض كالمهاد يفترشه النائم وجعلنا الجبال كالأوتاد التي تثبت الدعائم ثم حذف أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا. ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾ أي كالأبواب في التشقق والتصدع.
- الطباق بين "بردا وحميما".
- الإطناب بتكرار الوعيد في قوله تعالى ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾.
- الإيجاز بالحذف في قوله تعالى ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ وذلك لدلالة ما تقدم عليها أي يتساءلون عن النبأ العظيم.
- المقابلة اللطيفة بين ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ وبين ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ حيث قابل بين الليل والنهار والراحة والعمل وهو من المحسنات البديعية.

الأمر الذي يراد به الإهانة والتحقير في قوله تعالى ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ وفيه أيضا التفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة في التقبيح والإهانة.

- ذكر العام بعد الخاص في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ فالروح هو جبريل داخل الملائكة فقد ذكر مرتين مرة استقلالا ومرة ضمن الملائكة بيانا على علو شأنه.
- السجع الجميل في السورة كلها وهو من المحسنات البديعية.

❖ ❖ ❖

(٧٩) سورة النازعات

في رحاب السورة الكريمة

إحدى السور المكية ، آياتها ست وأربعون، تتناول أصول العقيدة والوحدانية والرسالة ويوم القيامة وأهوالها.

بدأت بالقسم بالملائكة الأبرار التى تنزع أرواح المؤمنين بلطف ولين، وتنزع أرواح الكفار المجرمين بشدة وغلظة. ثم تتحدث عن كل من :

أولا : المشركين المنكرين للبعث والنشور فصوَّرت حالهم في ذلك اليوم العظيم يوم القيامة.

ثانيا: وتحدَّثت عن فرعون الطاغية الذى ادعى الربوبية وتمادى فى الجبروت والطغيان فقصمه الله وأهلكه بالغرق.

ثالثا: ثم تحدثت عن طغيان أهل مكة وتمردهم على رسول الله ﷺ وذكرتهم بأنهم أضعف من كثير من مخلوقات الله.

ختمت السورة الكريمة ببيان وقت الساعة الذى استبعده المشركون وأنكروه وكذبوا بحدوثة ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾.

وقد سميت السورة الكريمة بسورة النازعات لأن الله عز وجل أقسم بالملائكة التى تنزع أرواح الكفار نزعا بالغا أقصى الغاية فى الشدة والعسر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾
فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا
خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ
﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾

معاني المفردات:

النازعات: الملائكة تنزع أرواح الكفار.

غرقا: نزعا شديدا

الناشطات: الملائكة تسُلُّ برفق أرواح المؤمنين.

السابحات: الملائكة تنزل مسرعة بما أمرت به.

فالسابقات: الملائكة تتنزل بتدبير ما أمرت به.

ترجف: تتحرك حركة شديدة.

الراجفة: نفخة الصعق.

تتبعها الرادفة: نفخة البعث.

واجفة: مضطربة خائفة.

أبصارها خاشعة: ذليلة منكسرة.

فى الحافرة: فى الحالة الأولى (الحياة).

عظاما نخرة: بالية.

كرة خاسرة: رجعة غائبة.

زجرة واحدة: صيحة واحدة (نفخة البعث).

التفسير

يقسم الله عز وجل بالملائكة التى تنزع أرواح الكفار نزعا بالغا أقصى الغاية فى الشدة والعسر، ثم يقسم سبحانه بالناشطات وهى الملائكة التى تنزع أرواح المؤمنين بسهولة ويسر، وتسُلُّها سلاً رفيقا، قال ابن مسعود: إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السَّود ـ سيخ الحديد ـ كثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق من الماء، وتنزع روح المؤمن برفق ولين. ويقبضها كما ينشط العقال من يد البعير[1].

وقال ابن كثير: أقسم سبحانه بالملائكة حين تنزع أرواح بنى آدم. فمنهم من تأخذ روحه بعسر وشدة، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من بساط[2]

(١) تفسير الخازن ٤/٢٠٤.
(٢) مختصر ابن كثير ٣/٥٩٥.

ثم يقسم سبحانه بالسابحات سبحا أي الملائكة التي تنزل بأمر الله ووحيه من السماء كالذي يسبح في الماء، مسرعين لتنفيذ أمر الله تعالى، ثم يقسم سبحانه كذلك بالسابقات سبقا أي الملائكة التي تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ثم بالمدبرات أمرا أي الملائكة تدبر شئون الكون بأمره سبحانه وتعالى، في الرياح والأمطار والأرزاق والأعمار وغير ذلك من شئون الدنيا.

ولقد أقسم سبحانه وتعالى بهذه الأصناف الخمسة على أن القيامة حق، وجواب القسم محذوف تقديره. لتبعثن ولتحاسبن، وقد دل عليه قوله سبحانه ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾، أي يوم ينفخ في الصور النفخة التي يرتجف ويتزلزل لها كل شيء، ثم تتبعها النفخة الثانية وهي نفخة القيام من القبور قال ابن عباس: الراجفة والرادفة هما النفختان الأولى والثانية، أما الأولى فإنها تميت كل شيء بإذن الله تعالى وأما الثانية فتحيي كل شيء بإذن الله تعالى[1] ثم ذكر سبحانه وتعالى حال المكذبين وما يلقون من الشدائد والأهوال فقلوب الكفار خائفة وجلة مضطربة وأيضا أصحابها ذليلة حقيرة مما عاينت من الأحوال فيقولون أئنا لمردودون في الحافرة، أي يقولون في الدنيا استهزاء واستبعادا للبعث، أنردّ بعد الموت فنصير أحياء بعد فنائنا ونرجع كما كنا أول مرة؟ قال القرطبي: إذا قيل لهم، إنكم تبعثون قالوا منكرين متعجبين أنردُّ بعد موتنا إلى أول الأمر، فنعود أحياء كما كنا قبل الموت؟ والعرب تقول رجع فلان في حافرته أي رجع من حيث جاء[2] ثم يقولون اذا صرنا عظاما بالية مفتتة سنرد ونبعث من جديد؟ فإن كان البعث حقا فسوف نكون من الخاسرين لأننا من أهل النار، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ أي فإنما هي صيحة واحدة، ينفخ فيها في الصور للقيام من القبور.

الإعراب:

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا	الواو واو القسم، النازعات مقسم به مجرور، غرقا يجوز أن تكون مصدرا منصوبا بمعنى إغراقا وانتصابه بما قبله لملاقاته له في المعنى أو بفعل محذوف وإما حال منصوبه أي ذوات إغراق.

(١) تفسير القرطبي ١٩/١٩٣.
(٢) القرطبي ١٩/١٩٤.

وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا	عطف على والنازعات غرقا.
فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا	عطف أيضا على ما سبق والفاء للدلالة على الترتيب، وأمرا مفعول به لاسم الفاعل "المدبرات".
يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ	يوم ظرف زمان متعلق بالجواب المحذوف ولك أن تعلقه بما دلّ عليه قوله الآتي قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ، ترجف مضارع مرفوع، والراجفة فاعل والجملة في محل جر بالإضافة للظرف.
تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ	تتبعها مضارع مرفوع والهاء ضمير في محل نصب مقدم، الرادفة فاعل مرفوع.
قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ	قلوب مبتدأ مرفوع وسوّغ الإبتداء بنكرة لأنه موصوف، يومئذ ظرف مضاف لمثله متعلق بواجفة، واجفة نعت لقلوب.
أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ	مبتدأ مرفوع، وخاشعة خبر مرفوع والجملة الاسمية في محل رفع خبر قلوب.
يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ	يقولون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم، أئنا الهمزة للاستفهام الانكاري وإنَّ واسمها، واللام المزحلقة، ومردودون خبر إنا، وفي الحافرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال[1].
أَءِذَا كُنَّا	الهمزة للاستفهام الانكاري، إذا ظرف زمان للمستقبل، كنا كان واسمها.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين درويش المجلد العاشر ص ٣٦٤.

عِظَـٰمًا نَّخِرَةً	عظاما خبر كان منصوب، نخرة نعت منصوب.
قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا	قالوا فعل ماض والواو فاعل، تلك اسم إشارة فى محل رفع مبتدأ، إذا حرف جواب وجزاء لا عمل لها جئ بها لإفادة التأكيد.
كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ	كرة خبر مرفوع، خاسرة نعت مرفوع.
فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ	الفاء متعلقة بمحذوف معناه لا تستصعبوها إنما كافة ومكفوفة، هى ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، زجرة خبر مرفوع وواحدة نعت مرفوع.
فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ	الفاء هى الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر أى فإذا نفخت وإذا فجائية، وهم مبتدأ وبالساهرة خبر فى محل رفع.

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ
طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾
فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ
ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾

معانى المفردات:

طُوَى: اسم الوادى.

طغى: عتا وتجبر

تزكى: تَطهَّر من الكفر والطغيان

يسعى: يجد فى الإفادة والمعارضة

فحشر: جمع السحرة أو الجند

نكال : عقوبة.

عبرة : موعظة والجمع عِبَر.

التفسير

بدأت الآية الكريمة بأسلوب الاستفهام الذي غرضه التشويق وترغيب الرسول ﷺ لسماع القصة، أي هل جاءك يا محمد قصة وخبر موسى عليه السلام حيث ناداه ربُّه سبحانه وتعالى وهو بالوادي المطهر المبارك المسمى "طُوىً" في أسفل جبل سيناء قائلا له: اذهب إلى فرعون الطاغية الجبار لأنه جاوز الحد في الظلم والطغيان فقل له هل لك رغبة في التطهُّر من الذنوب والآثام؟ وأرشدك إلى معرفة ربك وطاعته فتتقيه وتخشاه؟ قال الزمخشري: ذكر الخشية لأنها ملاك الأمر كله. من خشي الله أتى منه كل خير، وبدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا؟ ثم أردف كلامه الرقيق الرفيق ليستدعيه بالتلطف، ويستذله بالمداراة من علوه كما في قوله تعالى: "فقولا له قولا لينا"[1] ﴿ فأراه الآية الكبرى ﴾ أي فذهب موسى إليه ودعاه وكلمَّه، فلما امتنع عن الإيمان أراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حيَّة تسعى. قال القرطبي: أراه العلامة العظمى وهي "المعجزة" قال ابن عباس: هي العصا[2] لكن فرعون كذَّب نبي الله موسى وعصى أمر الله بعد ظهور تلك المعجزة الباهرة، ثم ولَّى مدبرا من الحية، يسرع في مشيه من هول ما رأى، ثم جمع السَّحرة والجنود والأتباع، ووقف خطيبا وقال للناس بصوت عال: أنا ربُّكم المعبود العظيم الذي لا رب فوقي فأهلكه الله تعالى عقوبة له على مقالته الأخيرة "أنا ربُّكم الأعلى" وما قاله في موضع أخر "ما علمت لكم من إله غيري" ﴿ إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ أي إن فيما ذكر قصة فرعون وطغيانه. ما حل به من العذاب والنكال، لعظة واعتبارا لمن يخاف الله عز وجل ويخشى عقابه.

---

(١) الكشاف ٤/٦٩٥.

(٢) هذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة، قال ابن عباس: كان بين كلتي المعجزتين أربعون سنة فأمهله الله ثم أخذه.

الإعراب:

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ	هل بمعنى قد وقيل إنها للاستفهام التقريرى مبنية على السكون والمعنى أليس قد أتاك، أتاك فعل ماض مبنى والكاف ضمير فى محل نصب مفعول مقدم، حديث فاعل مؤخر مرفوع، موسى مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدَّرة.
إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى	إذا ظرف للزمن الماضى، ناداه: فعل ماض مبنى والهاء ضمير فى محل نصب مفعول به مقدم، ربُّه فاعل مؤخر مرفوع والهاء ضمير فى محل جر بالإضافة، وجملة ناداه فى محل جر بالإضافة للظرف، بالوادى جار ومجرور متعلقان بناداه وحذفت ياء الوادى اتباعا لرسم المصحف، المقدس نعت مجرور وطوى بدل مجرور.
ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ	اذهب فعل أمر مبنى على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، إلى فرعون جار ومجرور متعلقان باذهب.
إِنَّهُۥ طَغَىٰ	إنه حرف توكيد ونصب والهاء ضمير مبنى فى محل نصب اسم إن، طغى فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر والجملة فى محل رفع خبر إن.
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ	الفاء عاطفة، قل فعل أمر مبنى والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، هل حرف استفهام معناه العرض، لك جار ومجرور فى محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره "رغبة" أى "هل لك رغبة"(١)، وأن تزكى فى تأويل مصدر مجرور بإلى، وتزكى أصلها تتزكى أى تتطهر حذفت إحدى التاءين.
وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ	وأهديك الواو عاطفة وأهديك معطوفة على تزكىٰ والكاف ضمير فى محل نصب مفعول به، إلى ربك جار ومجرور متعلقان بأهديك، فتخشى معطوفة أيضا على أهديك.

(١) إعراب القرآن الكريم لمحى الدين الدرويش صـ ٣٦٤ المجلد العاشر.

فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ	الفاء عاطفة معطوفة على محذوف تقديره ذهب فأراه، أراه فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر والهاء ضمير مبنى فى محل نصب مفعول أول والآية هى مفعول الثانى، الكبرى نعت منصوب بعلامة مقدرة.
فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ	الجملة معطوفة على ما تقدم.
ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ	ثم حرف عطف، أدبر فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر والجملة معطوفة على ما تقدم، يسعى فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والجملة فى محل نصب حال.
فَحَشَرَ فَنَادَىٰ	الجملة معطوفة على ما سبق.
فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ	الفاء عاطفة، قال فعل ماض والفاعل ضمير مستتر، تقديره أنا ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، ربُكم خبر مرفوع والضمير فى محل جر، الأعلى نعت مرفوع بضمة مقدرة والجملة فى محل نصب مقول القول.
فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ	الفاء عاطفة، أخذه فعل ماض مبنى، الهاء ضمير فى محل نصب مفعول أول ولفظ الجلالة فاعل مرفوع، نكال مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أخذه نكال ويجوز أن تكون مفعولا لأجله أى لأجل نكاله، الآخرة مضاف إليه مجرور والأولى عطف على الأخرة مجرور.
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ	إن حرف توكيد ونصب، فى ذلك جار ومجرور فى محل رفع خبر إنَّ مقدم، لعبرة اللام لام التوكيد، عبرة اسم إنَّ مؤخر منصوب، لمن جار ومجرور فى محل نصب نعت لمن، وجملة يخشى صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا

﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٣٤ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾

معاني المفردات:

رفع سمكها : أى جعل تحتها مرتفعا جهة العلو.

أغطش : أظلم. دحاها : بسطها وأوسعها.

مرعاها : أقوات الناس والدواب أرساها ، ثبتها في الأرض كالأوتاد.

الطامة الكبرى : يوم القيامة. بُرِّزت الجحيم : أُظْهِرت إظهارا بينا.

هى المأوى : هى المرجع.

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾ والمعنى هل أنتم يا معشر المشركين أشق وأصعب خلقا أم السماء العظيمة البديعة؟ فإن الله تعالى هو الذى رفع السماء وعَظَمِها ، هين عليه خلقكم ، واحياؤكم بعد مماتكم ، فكيف تنكرون ذلك؟ كقوله تعالى : "لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس" لقد رفع الله السماء فوقكم محكمة البناء بلا عمد ولا أوتاد ، ثم زاد فى التوضيح والبيان فقال : ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾ أى رفع جرمها وأعلى سقفها فوقكم فجعلها مستوية الأرجاء ، مكللة بالكواكب فى الليلة الظلماء[1] ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾أى جعل ليلها مظلما حالكا ، ونهارها مشرقا مضيئا قال ابن عباس : أظلم ليلها وأنار نهارها ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ ، أى بسطها ومهدها لسكن أهلها ثم أخرج سبحانه من الأرض عيون الماء المتفجرة ، وأجرى فيها الأنهار ، وأنبت فيها الكلأ والمرعى مما يأكله الناس والأنعام ، وثبت الجبال والأرض ، وجعلها كالأوتاد لتستقر وسكن بأهلها وقد فعل الله عز وجل ذلك كله فأنبع العيون وأجرى الأنهار ، وأنبت الزروع والأشجار ، كل ذلك منفعة للعباد تحقيقا لمصالحهم ومصالح أنعامهم

(١) مختصر ابن كثير.

ومواشيهم، قال الرازى: أراد بمرعاه ما يأكله الناسُ والأنعام، بدليل قوله: ﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾، ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ أى فإذا جاءت القيامة وهى الداهية العظمى، التى تعم بأهوالها كل شىء وتعلو على سائر الدواهى قال ابن عباس: هى القيامة سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل[1] فى ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما عمله من خير وشر ويراه مدونا فى صحيفة أعماله ثم أظهر الله تعالى جهنم للناظرين فرآها الناس عيانا بادية لكل ذى بصر، ثم ذكر الله تعالى انقسام الناس إلى فريقين، أشقياء وسعداء فقال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ أى جاوز الحد فى الكفر والعصيان ﴿ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ حيث فضل الحياة الفانية على الآخرة الباقية وانهمك فى شهوات الحياة المحرّمة ولم يستعد لأخرته بالعمل الصالح، ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ أى إن جهنم المتأججة هى منزله ومأواه، ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ أى إن من خاف عظمة ربه وجلاله وخاف مقامه بين يدى ربه يوم الحساب لعلمه ويقينه بالمبدأ والمعاد، أى إن منزله ومصيره هى الجنة دار النعيم والخلود ليس له منزل غيرها[2].

الإعراب:

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا	الهمزة للإستفهام التقريعى والتوبيخى، أنتم مبتدأ، وأشد خبر، وخلقا تميز منصوب، أم حرف عطف مبنى على السكون، والسماء عطف على أنتم، بناها فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر والضمير فى محل نصب مفعول به والجملة "بناها" فى محل نصب حال".
رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا	رفع فعل ماض مبنى والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل، سمكها مفعول به والضمير فى محل جر، فسَّواها الجملة من الفعل والفاعل والمفعول به معطوفة على رفع، وجملة رفع سمكها فسواها بدل من جملة بناها.

(١) مختصر ابن كثير ٣/٥٩٨.

(٢) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى ص ١٦٨١.

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا	الجملتان من الفعل والفاعل والمفعول معطوفتان على ما تقدم.
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا	الواو عاطفة الأرض منصوب على الاشتغال بفعل محذوف يفسره ما بعده، بعد ذلك ظرف متعلق بدحاها، وجملة دحاها مفسرة.
أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا	أخرج فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل منها جار ومجرور متعلقان بأخرج، ماءها مفعول منصوب والضمير فى محل جر بالإضافة، ومرعاها معطوف على ما تقدم.
وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا	الواو عاطفة، الجبال نصب على الاشتغال كما تقدم والجملة معطوفة على الأولى.
مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ	متاعا مفعول لأجله منصوب، لكم جار ومجرور متعلقان بمتاعا، ولأنعامكم عطف ما تقدم.
فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ	الفاء عاطفة، إذا ظرف للزمان المستقبل؛ جاءت فعل ماض مبنى والتاء للتأنيث، الطامة فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، الكبرى نعت مرفوع بالضمة المقدرة، وجملة جاءت الطامة فى محل جر بالإضافة للظرف.
يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ	يوم بدل من إذا "بدل بعض من كل" وجملة يتذكر فى محل جر بالإضافة للظرف ويتذكر فعل مضارع مرفوع، والإنسان فاعل مرفوع، ما اسم موصول فى محل نصب مفعول به، سعى فعل ماض مبنى وفاعله ضمير مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ	الواو عاطفة، بُرِّزت فعل ماض مبنى للمجهول والتاء للتأنيث، الجحيم نائب فاعل مرفوع والجملة معطوفة على "فإذا جاءت.."، لمن جار ومجرور متعلقان ببُرِّزت وجملة يرى لا محل لها من الإعراب صلة الموصول.
فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا	الفاء استئنافية، أما حرف شرط وتفصيل، من اسم موصول بمعنى الذى فى محل رفع مبتدأ، وجملة طغى لا محل لها، وآثر فعل ماض معطوف على طغى والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، الحياة مفعول به منصوب، الدنيا نعت منصوب بالفتحة المقدرة.
فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ	الفاء واقعة فى جواب أما، إنَّ حرف توكيد ونصب، الجحيم اسم إنَّ منصوب، هى ضمير فصل أو مبتدأ، والمأوى خبر إنَّ والجملة خبر من "وال" فى المأوى عوض عن الضمير العائد على من وقيل العائد محذوف أى هى المأوى له.
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ	الجملة معطوفة على "فأما من طغى.." وبنفس الاعراب تقريبًا.
فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ	سبق إعراب مثيلها فى قوله تعالى "فإن الجحيم هى المأوى".

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾

معانى المفردات:

الساعة: يوم القيامة   أيان مرساها: متى يقيمها الله.

التفسير:

يَسْأَلك يا محمد هؤلاء المشركون عن القيامة متى وقوعها وقيامها؟ قال المفسرون: كان المشركون يسمعون أنباء يوم القيامة، ووصفها بالأوصاف الهائلة مثل "طامة" و "صاخة" و "قارعة" فيقولون على سبيل الاستهزاء" : متى يوجدها الله ويقيمها، ومتى تحدث وتقع؟ فنزلت الآية: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾ أى ليس علمها إليك حتى تذكرها لهم، لأنها من الغيوب التى استأثر الله بعلمها، فلماذا يسألونك عنها ويلحون فى السؤال؟ إنَّ مردها ورجوعها إلى الله عز وجل فهو سبحانه الذى يعلم وقتها على اليقين، لا يعلمه سواه، وما واجبك يا محمد إلا إنذار من يخاف يوم القيامة، لا الإعلام بوقتها وخص الإنذار بمن يخشى، لأنه هو الذى ينتفع بذلك الإنذار، ثم يقول سبحانه: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ أى كأن هؤلاء الكفار يوم يشاهدون القيامة وأهوالها، لم يلبثوا فى الدنيا إلا ساعة من نهار، بمقدار عشية أو ضحاها، قال ابن كثير: يستقصرون مدة الحياة الدنيا، حتى كأنها عندهم عشية يوم أو ضحى اليوم، ختمت السورة الكريمة، بما أقسم الله عليه فى أولها من إثبات الحشر والبعث، فكانَ ذلك كالدليل والبرهان على مجئ القيامة والساعة وليتناسق البدء مع الختام(١).

الإعراب:

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ	يسألونك مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، والكاف ضمير مبنى فى محل نصب مفعول به، عن الساعة جار ومجرور متعلقان بيسألونك.
أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا	أيان اسم استفهام فى محل نصب على الظرف الزمانى متعلقَ بمحذوف خبر مقدم، مرساها مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية لا محل لها لأنها مفسرة لسؤالهم عن الساعة.
فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ	فيم خبر مقدم وتقدّم حذف ألف ما الاستفهامية إذا سبقت

(١) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى صـ ١٦٨٢.

	بحرف جر. أنت ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، من ذكراها جار ومجرور متعلقان بما تعلق به الخبر.
إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ	إلى ربك جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم، ومنتهاها مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة.
إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا	إنما كافة ومكفوفة، أنت ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، ومنذر خبر مرفوع، من اسم موصول فى محل نصب مفعول به لاسم الفاعل منذر، يخشاها مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر والهاء ضمير فى محل نصب مفعول به والجملة صلة الموصول لا محل لها.
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ	كأن حرف ناسخ مبنى على الفتح والضمير فى محل نصب اسم كأن، يوم ظرف زمان منصوب، يرونها فعل وفاعل ومفعول به والجملة فى محل جر بالإضافة للظرف، لم حرف نفى وجزم. يلبثوا مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون والواو فاعل.
إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا	إلا أداة استثناء تفدر البعد، عشية ظرف زمان منصوب متعلق بيلبثوا، أو حرف عطف مبنى، وضحاها عطف على عشية.

من ألوان البلاغة

❖ فى قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ تشبيه مرسل مجمل

❖ وفى قوله تعالى: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ استعارة تصريحية حيث شبه أكل الناس برعى الأنعام واستعير الرعى للإنسان بجامع أكل الإنسان والحيوان من النبات.

❖ والطباق بين كل من "الآخرة والأولى"، وكذلك "عشية أو ضحاها" وبين "الجنة والجحيم".

❖ وفي قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾ جناس اشتقاق.

❖ المقابلة بين قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾ ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾ وبين ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾.

❖ الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ وغرضه التشويق.

❖ السجع الجميل في السورة كلها وهو من المحسنات البديعية.

❖ ❖ ❖

(٨٠) سورة عبـــس

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مكية ، آياتها اثنتان وأربعون، تناولت السورة الكريمة بعض الأمور التى تتعلق بالعقيدة ورسالة محمد ﷺ، كما تحدثت عن دلائل قدرة الله عز وجل فى خلق الإنسان والنبات ويوم القيامة وأهوالها، وقد ابتدأت السورة بقصة "عبد الله بن أم مكتوم" الذى جاء للرسول ﷺ يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله. ورسول الله كان مشغولا مع جماعة من كبار قريش يدعوهم إلى الإسلام فعبس ﷺ وأعرض عنه فنزل القرآن الكريم يعاتب الرسول ﷺ على ذلك ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ ثم ختمت السورة الكريمة ببيان أهوال يوم القيامة، وحال كل من المؤمنين والكافرين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾

معانى المفردات:

عبس: قطّب جبينه الشريف — تولّى: أعرض بوجهه الشريف

يزكى: يتطهر من دنس الجهل — تصدَّى: تتعرّض له، وتقبل عليه

تلّهى: تتشاغل وتعرض عنه

التفسير:

ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن الصحابى الجليل "عبد الله بن أم مكتوم" وكان كفيفا حيث جاء للرسول ﷺ ليتعلم منه ما علمّه الله وكان ﷺ مشغولا مع

قريش يدعوهم إلى الإسلام فعبسَ النبى ﷺ وقطّب جبينه وأعرض عنه كارها. قال الصاوى: إنما أتى بضمير الغيبة ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ تلطفًا به ﷺ وإجلالا له، لما فى المشافهة بياء الخطاب ما لا يخفى من الشدة والصعوبة، وكان هذا الصحابى بعد نزول تلك الأيات يُرحّب به النبى ﷺ ويقول: مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى وكان ﷺ يبسط له رداءه[1] ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ أى وما يعلمك يا محمد لعل هذا الأعمى الذى عبست فى وجهه يتطهَّر من ذنوبه بما يتلقاه عندك من المعرفة.

﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ أى فأنت تتعرض له تصغى لكلامه وتهتم بتبليغه دعوتك ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ فلا حرج عليك أن لا يتطهَّر من دنس الكفر والعصيان، ولست بمطالب بهدايته، إنما عليك البلاغ، ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴾ أى وأما من جاءك يسرع ويمشى فى طلب العلم لله ويحرص على طلب الخير، ﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾ أى وهو يخاف الله تعالى ويتقى محارمه، ﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ أى فأنت يا محمد تتشاغل عنه وتتلهى بالانصراف عنه إلى رؤساء الكفر والضلال.

الإعراب:

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ	عبس فعل ماض مبنى، وتولى فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الرسول ﷺ. أنّ جاءه فى موضع نصب مفعول لأجله، الأعمى فاعل مرفوع بضمة مقدرة.
وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ	الواو عاطفة، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ، يدريك فعل ماض مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل ضمير مستتر، والكاف فى محل نصب مفعول به والجملة فى محل رفع خبر، ولعله حرف ناسخ مبنى على الفتح، والهاء ضمير فى محل نصب اسم لعل، يزكى فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل ضمير مستتر والجملة فى محل رفع خبر لعلّ.

(١) حاشية الصاوى على الجلالين ٤/٢٩٢.

أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ	أو حرف عطف مبنى، يذكر مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر، والفاء هى فاء السببية ، وتنفعه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية والهاء فى محل نصب مفعول به ، الذكرى فاعل مؤخر مرفوع بضمة مقدرة وقرئ فتنفعُه بالرفع على أن الفاء عاطفة والجملة معطوفة على ما سبق.
أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ	أما حرف شرط وتفصيل، من اسم موصول مبتدأ وجملة استغنى صلة الموصول لا محل لها والفاء رابطة وأنت ضمير بارز فى محل رفع مبتدأ ، وله جار ومجرور متعلقان بتصدى ، وجملة تصدى فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر والجملة فى محل رفع خبر أنت والجملة الاسمية خبر من ، وما عليك الواو حالية وما نافية ، عليك جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم ، وأن وما فى حيزها مبتدأ مؤخر أى ليس عليك بأس فى عدم تزكيته بالإسلام واختار أبو حيّان أن تكون ما استفهامية للإنكار فتكون مبتدأ ، وعليك خبر.
وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ	الواو عاطفة، وأمّا حرف شرط وتفصيل، من اسم موصول فى محل رفع مبتدأ وجملة جاءك فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر والكاف فى محل نصب مفعول به والجملة صلة الموصول لا محل لها ، وجملة يسعى فى محل نصب حال من فاعل جاءك ، وهو يخشى الواو حالية هو ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، يخشى فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والجملة الفعلية فى محل رفع خبر وعنه جار ومجرور متعلقان بتلهّى، تلهّى أى تتلهّى فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة فى محل رفع خبر.

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ
۝ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝
ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾.

معانى المفردات:

كَلاَّ: حرف نفى بمعنى ليرتدع ويتزجر — مرفوعة: رفيعة القدر والمنزلة

سفرة: كتبه من الملائكة — بررة: مطيعين له تعالى

قُتل الإنسان: لعُن الكافر أو عُذّب

أنشره: أخرجه من قبره للحساب أو أحياه بعد مماته

لما يقضى: لم يفعل.

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ أى لا تفعل يا محمد بعد اليوم مثل ذلك، فهذه الآيات موعظة وبصيرة للخلق، يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها العقلاء، ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ أى فمن شاء من عباد الله اتعظ بالقرآن، واستفاد من إرشاداته وتوجيهاته.

قال المفسرون: كان ﷺ بعد هذا العتاب، لا يعبس فى وجه فقير قط، ولا يتصدى لغنى أبدا، وكان الفقراء فى مجلسه أمراء، وكان أذا دخل عليه "ابن أم مكتوم" يبسط له رداءه ويقول، مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى... ثم بين الله عز وجل قدر القرآن الكريم فقال سبحانه ﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴾ أى هو فى صحف مكرمة عند الله ﴿ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴾ أى عالية القدر والمكانة منزهة عن أيدى الشياطين ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴾ أى بأيدى ملائكة جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله ﴿ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾ أى مكرمين معظمين عند الله تعالى جريمة الكافر، وإفراطه فى الكفر بالرغم من كثرة إحسان الله إليه فقال سبحانه ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾ أى لعن الكافر وطرد من رحمة الله، ما أشد كفره! قال الألوسى: والآية دعاء عليه بأشنع الدعوات

وأفظعها، وتعجب من إفراط في الكفر والعصيان وهذا في غاية الإيجاز والبيان[1] ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ أي من أي شيء خلق الله هذا الكافر حتى يتكبر على ربه؟ ثم وضح سبحانه ذلك فقال ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ أي من ماء مهين حقير بدأ خلقه. فقدره في بطن أمه أطوارا من نطفة ثم من علقه إلى أن تم خلقه، ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ أي ثم سهل طريق الخروج من بطن أمه ثم أماته وجعل له قبرا يوارى فيه إكراما له، ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ ﴾ أي ثم حين يشاء الله إحياءه، يحييه بعد موته للبعث والحساب والجزاء[2] وإنما قال "إذا شاء" لأن وقت البعث غير معلوم لأحد، فهو إلى مشيئة الله تعالى متى شاء أن يحي الخلق أحياهم، ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ ﴾ أي ليرتدع وينزجر هذا الكافر عن تكبره، فإذا لم يؤد ما فرض عليه، ولم يفعل ما كلفه به ربه من الإيمان والطاعة.

الإعراب:

كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ	كلا حرف ردع وزجر مبنى على السكون، إنها أنَّ واسمها، تذكرة خبر إنَّ مرفوع بالضمة الظاهرة.
فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ	الفاء اعتراضيه، من اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، شاء فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وفاعله هو والمفعول محذوف أي الاتعاظ، ذكره فعل ماض وفاعله مستتر والهاء ضمير في محل نصب مفعول به وهو في محل جزم جواب الشرط. والجملة اعتراضيه لا محل لها.
فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ	في صحف جار ومجرور في محل رفع خبر ثان لإنّ، مكرمة نعت مجرور.
مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ	نعت مجرور لصحف، ومطهرة كذلك نعت مجرور لصحف.
بِأَيْدِى سَفَرَةٍ	بأيدى جار ومجرور نعت أيضا، سفرة مضاف إليه مجرور، أو خبر لمبتدأ محذوف.

(١) حاشية الصاوى على الجلالين ٤/ ٢٩٢.
(٢) تفسير الخازن ٤/ ٢١٠.

كِرَامٍ بَرَرَةٍ	كرام نعت مجرور، بررة نعت مجرور كذلك.
قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ	قتل فعل ماض مبنى للمجهول، الإنسان نائب فاعل مرفوع، والجملة دعائيه لا محل لها، ما نكرة تامة فى محل رفع مبتدأ، أكفره فعل ماض والفاعل ضمير مستتر والجملة فى محل رفع خبر.
مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ	من أى شيء جار ومجرور متعلقان بخلقه، شيء مضاف إليه مجرور، خلقه فعل ماض مبنى والهاء محل نصب مفعول به والفاعل ضمير مستتر.
مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ	جار ومجرور بدل باعادة الجار من قوله من أى شيء خلقه، فقدره الفاء للترتيب في الذكر، قدّره فعل ماض مبنى والهاء فى محل نصب مفعول به، والفاعل مستتر يعود على الله عز وجل.
ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ	ثم حرف عطف للترتيب مبنى على الفتح، السبيل منصوب على الاشتغال، بفعل مقدر تقديره ثم يسره، يسره فعل ماض والهاء في محل نصب وفاعله مستتر والجملة مفسرة.
ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ	ثم حرف عطف، أماته فعل وفاعل ومفعول به، الفاء عاطفة فأقبره معطوف على أماته.
ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ	ثم حرف عطف، إذا ظرف لما يستقبل من الزمان، شاء فعل ماض فعل الشرط، أنشره فعل ماض مبنى والفاعل مستتر والهاء في محل نصب مفعول به، والجملة جواب الشرط.
كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ	كلا حرف ردع وزجر، لمّا حرف نفى جازم، يقضى فعل الشرط مضارع مجزوم علامة جزمه حذف حرف العلة، ما اسم موصول فى محل نصب مفعول به، أمره صلة الموصول لا محل لها من الإعراب والعائد محذوف. أي به.

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾

معاني المفردات:

أبا : كلأ وعُشبا — جاءت الصاخة : الداهية العظمى "نفخة البعث"

مسفرة : مشرقة مضيئة — غبرة : غبار ودخان

ترهقها قترة : تغشاها ظلمة وسواد

القضب والقضبة : الرطبة.

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ أي فلينظر الإنسان الجاحد نظر تفكر وتدبر إلى حياته، كيف خلقه سبحانه وتعالى بقدرته ويسره برحمته، وكيف هيأ له أسباب الحياة، ثم فصل سبحانه ذلك فقال ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴾ أي أنا أنزلنا الماء من السحاب بقدرتنا إنزالا عجيبا ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾ أي شققنا الأرض بخروج النبات منها شقا بديعا ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴾ أي فأخرجنا بذلك الماء أنواعا من الحبوب والنباتات: حبا يقتات الناسُ به ويدخرونه وعنبا شهيا لذيذا، وسائر البقول مما تؤكل رطبًا ﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾ أي وأخرجنا كذلك أشجار الزيتون والنخل، يخرج منها الزيت الرطب والتمر، ﴿ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴾ أي وبساتين كثيرة الأشجار ملتفة الأغصان ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ أي وأنواع الفواكة والثمار، كما أخرجنا ما ترعاه البهائم، قال القرطبي: الأب ما تأكله البهائم من العشب[1] ﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ أي أخرجنا ذلك وأنبتناه ليكون منفعة ومعاشا لكم أيها الناس ولأنعامكم، قال ابن كثير: وفي هذه الآيات امتنان على العباد وفيها

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٢٠.

استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظاما بالية وأوصالا[1] متفرقة ثم ذكر بعد ذلك أهوال يوم القيامة فقال ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ أي فإذا جاءت صيحة القيامة التي تصخ الآذان حتى تكاد تصمها ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴾ أي ذلك اليوم الرهيب يهرب الإنسان من كل أحبابه، من أخيه ومن أمه ومن أبيه ومن زوجته وأولاده لاشتغاله بنفسه، ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ أي لكل إنسان منهم في ذلك اليوم العصيب شأن شغله عن شأن غيره، فإنه لا يفكر في سوى نفسه ولما بيّن سبحانه وتعالى حال القيامة وأهوالها، بيَّن سبحانه وتعالى حال الناس وانقسامهم في ذلك اليوم إلى سعداء وأشقياء فقال في وصف السعداء ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ أي مضيئة من البهجة والسرور ﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ أي فرحة مسرورة بما رأته من كرامة الله ورضوانه، مستبشرة بذلك النعيم الدائم، ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ أي ووجوه في ذلك اليوم عليها غبار ودخان ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ أي تغشاها وتعلوها ظلمة وسواد، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ أي أولئك الموصوفون بسواد الوجوه، هم الجامعون بين الكفر والفجر، قال الصاوي: جمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الكفر إلى الفجر[2].

الإعراب:

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ	الفاء استئنافية، واللام لام الأمر، ينظر فعل مضارع مجزوم بالسكون بعد لام الأمر، الإنسان فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، إلى طعامه جار ومجرور متعلقان بينظر.
أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا	أنّا بفتح الهمزة وهي وما بعدها في تأويل مصدر في محل جر بدل اشتمال من طعامه، وأنَّ واسمها وجملة صببنا فعل وفاعل والماء مفعول به، وصبًّا مفعول مطلق منصوب.

---

(١) مختصر ابن كثير ٦٠١/٣.

(٢) حاشية الصاوي على الجلالين: ٢٩٤/٤.

ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا	ثم حرف عطف مبنى على الفتح، شققنا فعل ماض ونا الفاعلين فى محل رفع فاعل، الأرض مفعول به منصوب، شقًا مفعول مطلق منصوب.
فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ	الفاء عاطفة، أنبتنا فعل ماض مبنى ونا الفاعلين فاعل، فيها جار ومجرور متعلقان بأنبتنا، وحبا مفعول به وما بعده عطف عليه.
فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ	الفاء استئنافية، ويمكن أن تكون عاطفة والكلام معطوف، إذا ظرف للزمان المستقبل، متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب المحذوف المفهوم من قوله لكل امرئ، جاءت فعل ماض مبنى والتاء للتأنيث، والصّاخة فاعل مرفوع والجملة فى محل جر بالإضافة للظرف.
﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ	يوم بدل من إذا وجملة يفر فى محل جر بإضافة الظرف إليها، المرءُ فاعل مرفوع، من أخيه جار ومجرور متعلقان بيفر وما بعده عطف على أخيه.
﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ	لكل جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم، امرئ مضاف إليه، منهم جار ومجرور نعت لامرئ، يومئذ ظرف أضيف لمثله وهو متعلق بيغنيه، شأن مبتدأ مؤخر مرفوع وجملة يغنيه نعت لشأنه.
وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾	وجوه مبتدأ مرفوع، وسوّغ الابتداء بنكرة للتنويع، يومئذ ظرف أضيف لمثله متعلق بمسفرة، ومسفرة خبر وجوه وضاحكة مستبشرة خبران آخران لوجوه.

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ	الواو عاطفة، وجوه مبتدأ، يومئذ ظرف أضيف لمثله، متعلق بترهقها، عليها خبر مقدم، غبرة مبتدأ مؤخر مرفوع والجملة ترهقها قترة فعل وفاعل ومفعول خبر ثان لوجوه.
أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ	أولئك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، هم ضمير فصل أو مبتدأ ثان، الكفرة الفجرة خبران لأولئك أو لِهُمْ والجملة خبر أولئك.

أسباب النزول

عن عائشة رضى الله عنها قالت: أنزلت "عبس وتولى" فى ابن أم مكتوم الأعمى، أتى النبى ﷺ فجعل يقول يا رسول الله علمنى مما علمك الله وفى رواية أرشدنى، وعند رسول الله رجال من عظماء المشركين، فجعل ﷺ يُعْرِض عنه ويقبل على الآخرين ففى هذا أنزلت "عبس وتولى".

رواه الحاكم فى صحيحه عن على بن عباس الحيرى عن القبانى عن سعد بن يحيى.

من ألوان البلاغة

- فى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ كنَّى بالسبيل عن خروج الطفل من فرج الأم وهى من ألطف الكنايات.
- الطباق فى قوله "تصدَّى.... تلَهَّى" لأن المراد بها تعرض تنشغل.
- الجناس فى قوله تعالى "يذكَّر... الذكرى" وهو جناس اشتقاق.
- الالتفات من الغائب إلى الخطاب زيادة فى العتاب.
- فى قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ ثم قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾ فالتفت تنبيها للرسول ﷺ إلى العناية بشأن الأعمى.
- أسلوب التهكم فى قوله تعالى ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ حيث تعجب من إفراط

كفر الإنسان مع كثرة إحسان الله عز وجل إليه.

- التفصيل بعد الإجمال في قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ ثم فصَّل بعد ذلك وبينه في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ .
- السجع الجميل غير المتكلف في السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(٨١) سورة التكوير

فى رحاب السورة الكريمة

سورة كريمة نزلت بمكة المكرمة بعد سورة المسد، وهى تسع وعشرون أيه، تعالج أمرين هامين هما:

أولاً: يوم القيامة وما فيه من أهوال وشدائد تشمل، الشمس والنجوم والجبال والبحار والأرض والسماء والأنعام والوحوش كما تشمل الإنسان وتهز الكون هزا عنيفا.

ثانيًا: رغبة النبى ﷺ لينتقل البشر جميعا من ظلمات الشرك والضلال إلى نور الإيمان والعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ
﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾
وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾

معانى المفردات:

الشمسُ كُوِّرت: أزيل نورها — النجوم انكدرت: تساقطت وتهاوت

الجبالُ سُيِّرت: أزيلت من مواضعها — العشار عطلت: النوق الحوامل أهملت

الوحوش حشرت: جمعت من كل صوب.

البحار سُجِرت: فُجرت فصارت بحرا واحدا

النفوس زوجت: قرنت كل نفس بشكلها — الموؤدة: البنت التى تدفن حية

السماء كشطت: قلعت كما يقلع السقف — الجحيم سعّرت: أوقدت نارا

الجنة أزلفت: قُربت وأدنيت.

التفسير:

الآيات الكريمات بيان لأهوال يوم القيامة وما يكون فيها من الشدائد والكوارث وما يعتري الكون والوجود من مظاهر التغيير والتخريب والمعنى: إذا الشمس أزيل ومُحِيَ ضوؤها ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾أي تساقطت من مواضعها وتناثرت، ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ أي حُركت من أماكنها وسُيِّرت في الهواء حتى سارت كالهباء، ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾أي إذا النوُق الحوامل تركت هملا بلا راع ولا طالب، وخُصَّ النوق بالذكر لأنها كرائم أموال العرب[1] ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ أي جمعت من أوكارها وأجحارها ذاهلة من شدة الفزع ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ أي تأججت نارا وصارت نيرانا تضطرم وتلتهب ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ أي قرنت بأشباهها فقرن الفاجر مع الفاجر، والصالح مع الصالح، قال الطبري: يقرن بين الرجل الصالح مع الصالح في الجنة وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار[2] ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ أي وإذا البنت التي دفنت وهي حية سئلت توبيخا لقاتلها: ما هو ذنبها حتى قتلت؟. جاء في التسهيل: الموءودة، هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حيَّة من كراهتهم لها أو غيرته عليها، فتسأل يوم القيامة، "بأي ذنب قتلت"[3] وذلك على وجه التوبيخ لقاتلها، ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ أي وإذا صحف الأعمال نشرت وبسطت للحساب ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ أي إذا السماء أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد عن الشاة ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ أي وإذا نار جهنم أوقدت وأضرمت لأعداء الله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ اى وإذا الجنة أدنيت وقُرِّبت من المتقين، ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ أي علمت كل نفس ما أحضرت من خير أو شر، وهذه الجملة "علمت نفس" هي جواب ما تقدم من أول السورة.

---

(١) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابوني ص ١٦٨٩.

(٢) هذه رواية الطبري عن عمر بن الخطاب وقيل المراد قرن الأجساد بالأرواح والأول أرجح والله أعلم.

(٣) التسهيل في علوم التنزيل ١٨١/٤.

الإعراب:

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ	إذا ظرف مستقبل يتضمن معنى الشرط، وجوابها فى الاثنى عشر موضعا التى وقعت فيها قوله: علمت نفس، وهى متعلقة بجوابها، الشمسُ نائب فاعل مرفوع مقدر يفسر ما بعده وإلى هذا الرأى مال الزمخشرى ومنع أن يرتفع بالابتداء لأن إذا تتقاضى الفعل لما فيها من معنى الشرط، ولكن ما منعه الزمخشرى من وقوع المبتدأ بعدها أجازه الكوفيون والأخفش من البصريين، وجملة كُوِّرت جملة فعلية مُفَسِّره لا محل لها.
وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ	عطف على ما تقدم ومماثلة لها فى الإعراب ولكن النجوم هنا فاعل بفعل يفسر قوله "أنكدرت".
وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ	عطف أيضا والجبال والعشار نائبا فاعل بفعل محذوف.
وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ	عطف أيضًا على ما سبق.
وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ	عطف أيضا على ما سبق.
وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ	عطف أيضا على ما سبق، بأى جار مجرور متعلقان بقتلت وذنب مضاف إليه مجرور والجملة مفعول سئلت الثانى.

وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾	عطف على ما تقدم أيضًا.
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ	الجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب إذا، وعلمت فعل ماض مبنى ونفس فاعل، ما اسم موصول مبنى فى محل نصب مفعول به، أحْضَرَت فعل ماض والفاعل ضمير مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ
لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم
بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ
رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

معانى المفردات:

فلا أقسم: أقسم ولا مزيدة — الخُنَّس: الكواكب التى تختفى نهارا

الجوارى: السيارات — الكُنَّس: التى تغيب حين غروبها

عسعس: أقبل ظلامه، أو أدبر — تنفس: أضاء وتبلّج

مكين: ذى مكانة رفيعة — ضنين: بخيل مُقصِّر فى تبليغه.

التفسير:

يقسم الله عز وجل قسما مؤكدًا بالنجوم المضيئة التى تختفى بالنهار وتظهر بالليل[1] ﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾ أى التى تجرى وتسير مع الشمس والقمر ثم تستتر وقت غروبها، كما تستتر الظباء فى كناسها "مغاراتها" قال القرطبى: النجوم تخنَّس بالنور وتظهر بالليل، وتكنى وقت غروبها أى تستتر كما تكنسُ الظباء فى الغار الكنَّاس[2]

---

(١) هذا قول على وابن عباس ومجاهد والحسن كذلك فى الطبرى ٣٠/٤٨.

(٢) القرطبى ١٩/٢٣٥.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ اى أقسم بالليل إذا أقبل بظلامه حتى غطى الكون، ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أي وبالصبح إذا أضاء وتبلج واتسع ضياؤه حتى صار نهارا واضحا ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ أي هذا هو المقسم عليه أي إن هذا القرآن لكلام الله تعالى المنزل بواسطة ملك عزيز على الله هو جبريل كقوله تعالى "نزل به الروح الأمين على قلبك".

قال المفسرون: أراد بالرسول جبريل وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به، وهو في الحقيقة قول الله تعالى، وما يدل على أن المراد به جبريل قوله بعده ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴾ أي شديد القوة، صاحب مكانة رفيعة، ومنزلة سامية عند الله جل وعلا ﴿ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾ أى هناك فى الملأ الأعلى، تطيعه الملائكة الأبرار، مؤتمن على الوحي الذى ينزل به على الأنبياء ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴾ أى وليس محمد الذى صاحبتموه يا معشر قريش، وعرفتم صدقه ونزاهته ورجاحة عقله لمجنون كما يزعم أهل مكة، فنفى تعالى عنه الجنون، وكون القرآن من عند نفسه، ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ أى وأقسم لقد رأى محمد ﷺ جبريل فى صورته الملكية التى خلقه الله عليها بجهة الأفق الأعلى البين من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس قال فى البحر: وهذه الرواية بعد أمر غار حراء حين رأى جبريل على كرسى بين السماء والأرض فى صورة له ستمائة جناح قد سدَّ بين المشرق والمغرب[1] ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴾ أى وما محمد على الوحي ببخيل يُقصِّر فى تبليغه وتعليمه، بل يُبلغ رسالة ربه بكل أمانة وصدق ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴾ أى وما هذا القرآن بقول شيطان ملعون كما يقول المشركون ﴿ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴾ أى فأى طريق تسلكون فى تكذيبكم للقرآن، واتهامكم له بالسحر والكهانة والشعر مع وضوح آياته وسطوع براهينه؟ وهذا كما تقول لمن ترك الطريق المستقيم: هذا الطريق الواضح فأين تذهبون؟ ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أى ما هذا القرآن إلا موعظة وتذكرة للخلق أجمعين، ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾ أى لمن شاء منكم أن يتبع الحق، ويستقيم على شريعة الله ويسلك طريق الأبرار ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أى وما تقدرون على شيء إلا بتوفيق الله ولطفه فاطلب من الله التوفيق إلى أفضل طريق.

---

(١) البحر المحيط ٨/٤٣٤.

الإعراب:

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ	الفاء استئنافية، لا حرف نفى لتأكيد القسم، أقسم مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا، بالخنس جار ومجرور متعلقان بأقسم.
ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ	الجوارى نعت أو بدل، الكنس نعت للجوارى.
وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ	الواو للقسم، الليل مقسم به مجرور والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره أقسم، إذا ظرف متعلق بفعل القسم وجملة عسعس فى محل جر بإضافة الظرف إليها، والصبح عطف على الجملة السابقة وإنما لم يعطف الليل على الخنس لأن الواو واو الابتداء، وسيبويه لا يرى الواو المنفية للقسم ابتداء قسم بل عاطفة، إذا تنفس نفس إعراب إذا عسعس.
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ	إنه إن واسمها، اللام للتوكيد، قول خبر إن مرفوع، رسول مضاف إليه مجرور، وكريم نعت مجرور.
ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ	ذى نعت ثان مجرور بالياء، قوة مضاف إليه مجرور، عند ظرف، ذى مضاف إليه، العرش مضاف وشبه الجملة فى محل نصب حال، مكين صف ثالثة.
مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ	مطاع صفة رابعة، ثمَّ ظرف بمعنى هناك متعلق بمطاع، وأمين صفة خامسة.
وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ	الواو عاطفة، وما نافية حجازية، وصاحبكم اسمها، والباء حرف جر زائد، ومجنون مجرور لفظا منصوب محلا على أنه خبر ما والجملة معطوفة على ما سبق.

وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ	الجملة معطوفة أيضا على ما تقدم، اللام جواب القسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، رآه فعل ماض والهاء في محل نصب مفعول به والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الرسول ﷺ، بالأفق جار ومجرور متعلقان برآه والمبين نعت مجرور.
وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ	الواو عاطفة، ما نافية حجازية، هو ضمير مبني في محل رفع اسمها، على الغيب جار ومجرور متعلقان بضنين، بضنين مجرور لفظا منصوب محلا خبر ما الحجازية.
وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ	الجملة معطوفة على ما سبق وبنفس الإعراب السابق.
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ	الفاء عاطفة، أين اسم استفهام في محل نصب ظرف مكان متعلق بتذهبون، تذهبون مضارع مرفوع بثبوت النون.
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ	إن نافية، هو ضمير في محل رفع مبتدأ، إلا أداة حصر، ذكر خبر، للعالمين جار ومجرور متعلقان بذكر أو نعت له، ولمن بدل من قوله للعالمين بإعادة العامل وهو اللام وجملة شاء لا محل لها لأنها صلة من، منكم في محل نصب حال، وأن وما في حيزها مفعول به لشاء.
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ	الواو عاطفة، ما نافية، تشاءون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، إلا أداة حصر، وأن وما بعدها في موضع نصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بتشاءون، الله فاعل وربب بدل أو نعت لله، والعالمين مضاف إليه مجرور، واختار البيضاوي نصب المصدر المؤول على الظرفية وعبارته: ما تشاءون الاستقامة يا من تشاءونها إلا أن يشاء الله، أي إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم[1].

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين للدرويش ص ٣٩٧ المجلد العاشر.

من ألوان البلاغة

لقد حفلت السورة الكريمة ببعض الصُّور البيانية نذكر منها :

الاستعارة التصريحية : في قوله تعالى : "والصبح إذا تنفس" حيث شبه فيها النهار وسطوع الضياء بنسمات الهواء العليل التي تحيي القلب واستعارة التنفس لإقبال النهار بعد الظلام الشديد وهذا من لطيف الاستعارة وأبلغها حيث عَبر عنه بتنفس الصبح.

- الكناية في قوله تعالى: وما صاحبكم بمجنون حيث كنَّى عن النبى ﷺ بلفظ صاحبكم.
- الطباق بين "الجحيم والجنة".
- الجناس في قوله تعالى "بالخنَّس.... الكُنَّس" وهو جناس ناقص كذلك بين "مكين... أمين".
- السجع الجميل على رءوس الآيات وهو سجع غير متكلف.

❖ ❖ ❖

(٨٢) سـورة الانفطـار

فى رحاب السورة الكريمة

سورة الانفطار من السور المكية، تسع عشر آية، وهى تعالج، كسورة التكوير الانقلاب الكونى الذى يصاحب قيام الساعة، وما يحدث فى ذلك اليوم من أحداث جسام، ثم بينت حال الأبرار وحال الفجار يوم البعث والنشور، ثم بينت بعض المشاهد، مثل انفطار السماء، وانتثار الكواكب، وتفجير البحار وما يعقب ذلك من الحساب والجزاء ثم تناولت جحود الإنسان وكفرانه لنعم ربّه، وهو يتلقى فيوض النعمة منه جلّ وعلا، ولكنه لا يعرف للنعمة حقها ولا يعرف لربه قدره، ولا يشكر على الفضل والنعمة والكرامة ثم ذكرت السورة انقسام الناس إلى فريقين، الأبرار ومصيرهم إلى الجنة والفجار ومصيرهم إلى النار ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ ﴾. وختمت السورة الكريمة بتصوير يوم القيامة وأهواله حيث يتجرد تحرر الناس يومئذ من كل حول وقوة وتفرده سبحانه بالحكم والسلطان.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾

معاني المفردات:

السماء انفطرت: انشقّت — الكواكب انتثرت: تساقطت متفرقة

البحار فُجرت: شقت فصارت بحرا واحدا

القبور بعثرت: قلب ترابها وأخرج موتاها

ما غرك بربك: ما خدعك وجرّأك على عصيانه

فسوّاك: جعل أعضاءك سوية سليمة

فعدلك: جعلك معتدلا متناسب الخلق

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ أي انشقت بأمر الله لنزول الملائكة ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ أي تساقطت النجوم وتناثرت، وزالت عن بروجها وأماكنها، ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ أي وإذا البحار فتحت بعضها على بعض فاختلط عذبها بمالحها وأصبحت بحرا واحدا ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ أي وإذا القبور قلبت ونبش ما فيها من الموتى، وصار ما في باطن الأرض ظاهرا على وجهها ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾ أي علمت عندئذ كل نفس ما أسلفت من خير أو شر وما قدمت من صالح أو طالح، قال الطبري: ما قدمت من عمل صالح، وما أخرت من شيء سنّه فعمل به بعده[1] ثم ذكر بعد ذلك أهوال الآخرة لتذكير الإنسان الغافل الجاهل بما أمامه من أهوال وشدائد فقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ أي شيء خدعك بربك الحليم الكريم، حتى عصيته وتجرأت عليه وخالفت أمره، مع إحسانه إليك وعطفه عليك وهذا توبيخ وعتاب كأنه قال: كيف قابلت إحسان ربك بالعصيان، ورأفته بك بالتمرد والطغيان، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ثم عدَّد سبحانه وتعالى فقال ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ أي الذي أوجدك من العدم، فجعلك سويا سالم الأعضاء، تسمع وتعقل وتبصر، فجعلك معتدل القامة منتصبا في أحسن الهيئات والأشكال ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ أي ركّبك في أي صورة شاءها واختارها لك من الصور الحسنة العجيبة ولم يجعلك في الشكل كالبهيمة.

---

(1) الطبري ٣٠/٥٤

الإعراب:

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ	إذا ظرف زمان للمستقبل، خافض لشرطه منصوب بجوابه، السماء فاعل محذوف يدل عليه المذكور، وجملة انفطرت مفسرة وجملة انفطرت السماء فى محل جر بإضافة الظرف إليها والظرف متعلق بالجواب وهو علمت وما بعده عطف عليه، والبحار والقبور نائب فاعل لفعل محذوف وجملة علمت لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم، وعلمت نفس فعل وفاعل، ما اسم موصول فى محل نصب مفعول به والجملة أخرت لا محل لها لأنها صلة الموصول ما.
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ	يا حرف نداء مبنى على السكون، أيها منادى مبنى على الضم والهاء حرف تنبيه، الإنسان نعت مرفوع، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ، غرَّك فعل ماض وفاعله ضمير مستتر والكاف ضمير مخاطب فى محل نصب مفعول والجملة فى محل رفع خبر، بربك جار ومجرور متعلقان بغرك، الكريم نعت لربك مجرور.
ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ	الذى صفة ثانية لربك، وجملة خلقك صلة الذى لا محل لها من الإعراب، فسوَّاك عطف على خلقك ومثلها فعدَلك.
فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ	فى أى جار ومجرور متعلقان بربك، صورة مضاف إليه مجرور، ما زائدة وجملة شاء صفة لصورة والمفعول به محذوف والتقدير شاءها، والمعنى وصفك فى أى صورة اقتضتها مشيئته من حسن أو دمامة وطول وقصر وذكوره وأنوثة[1]، ركبك حال كونك حاصلا فى بعض الصور.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه ص ٤٠٣ المجلد العاشر.

﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۞ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۞ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۞ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۞ ﴾

معاني المفردات:

تكذبون بالدين : بالجزاء والبعث	حافظين : ملائكة
يصلونها: يحترقون بنارها ويدخلون فيها	أدراك : أعلمك

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ أي ارتدعوا يا أهل مكة ولا تغتروا بحلم الله، بل أنتم تكذبون بيوم الحساب، ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ أي إنَّ عليكم ملائكة حفظة يضبطون أعمالكم ويراقبون تصرفاتكم، قال القرطبي: أي عليكم رقباء من الملائكة[1] ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ أي هم كرام على الله، يكتبون أقوالكم وأعمالكم﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ أي يعلمون ما يصدر منكم من خير وشر ويسجلونه في صحائف أعمالكم لتجتازوا به يوم القيامة ثم بين سبحانه وتعالى انقسام الخلق يوم القيامة إلى أبرار وفجار، وذكر مآل كل من الفريقين فقال: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ أي إن المؤمنين الذين اتقوا ربهم في الدنيا، لفي بهجة وسعادة لا توصف، يتمتعون في رياض الجنة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر وهم مخلدون في الجنة، ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ أي إنَّ الكفرة الفجار، الذين عصوا ربهم في الدنيا لفي نار محرقة، وعذاب دائم مقيم في دار الجحيم ﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أي يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ تعظيم له وتهويل أي ما أعلمك ما هو يوم الدين؟ وأي شيء هو في شدته وهوله؟ ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ ؟ كرر ذكره تعظيمًا لشأنه، وتهويلا لأمره كقوله تعالى ؟ كأنه يقول: إنَّ يوم الجزاء في شدته بحيث لا يدري أحد مقدار هوله وعظمته، فهو فوق الوصف والبيان ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴾ أي هو

---

(١) تفسير الإمام القرطبي.

ذلك اليوم الرهيب الذى لا يستطيع أحد أن ينفع أحدًا بشيء من الأشياء، ولا أن يرفع ضرًا ﴿ شَيْئًا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ أى والأمر فى ذلك اليوم لله وحده لا ينازعه فيه أحد.

الإعراب:

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ	كلا حرف ردع وزجر، بل حرف عطف يفيد الإضراب ويقول الراغب "بل هنا لتصحيح الثانى وإبطال الأول كأنه قيل ليس هنا ما تقضى أن يغرهم به الله تعالى شيء ولكن تكذيبهم هو الذى حملهم على ما ارتكبوه"، تكذبون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، بالدين جار ومجرور متعلقان بتكذبون.
وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ	الواو حالية، إنَّ حرف توكيد ونصب، عليكم خبر مقدم فى محل رفع واللام للتوكيد، حافظين اسم إنَّ مؤخر منصوب بالياء، كراما نعت لحافظين، كاتبين نعت ثان والجملة كلها فى محل نصب حال.
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ	يعلمون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة نعت ثالث لحافظين، ما اسم موصول فى محل نصب مفعول به، تفعلون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صلة الموصول.
إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ	إنَّ حرف توكيد ونصب، الأبرار اسمها منصوب، لفى اللام هى المزحلقة، فى حرف جر، نعيم اسم مجرور وشبه الجملة "لفى نعيم" فى محل رفع خبر إنَّ، .وإنَّ الفجار لفى جحيم معطوفة على ما فيها وبنفس الإعراب.

يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ	مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة فى محل نصب حال، يوم ظرف متعلق بيصلونها، والدين مضاف إليه مجرور.
﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ	الواو عاطفة، ما نافية، هم ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، عنها جار ومجرور متعلقان بغائبين مجرور لفظا مرفوع محلا خبر المبتدأ.
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ	الواو عاطفة، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ، أدراك فعل ماض وفاعله مستتر والكاف فى محل نصب مفعول به أول والجملة فى محل رفع خبر، ما اسم استفهام معناه التهويل والتعظيم فى محل رفع مبتدأ، ويوم الدين خبره فى محل رفع والجملة الثانية سدَّت مسد مفعول أدراك الثانى.
ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ	الأية معطوفة علي ما قبلها وبنفس الإعراب.
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ	يوم مفعول لفعل محذوف تقديره اذكر وجعله أبو البقاء ظرفا متعلقا بمحذوف تقديره يجازون، وقرئ بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أو بدل من يوم الدين، وجملة لا تملك فى محل جر بالإضافة للظرف، نفس فاعل مرفوع، لنفس جار ومجرور، وشيئا مفعول به والأمر مبتدأ، يومئذ ظرف مضاف لمثله متعلق بمحذوف حال والتنوين عوض عن جملة، ولله خبر الأمر.

من ألوان البلاغة

❖ الاستعارة المكنية فى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ حيث شبه الكواكب بجواهر انقطع سلكها فتناثرت متفرقة وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الانتثار.

❖ الطباق بين ﴿قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ وهو يوضح المعنى ويؤكده.

❖ المقابلة بين "الأبرار والفجار" فقد قابل الأبرار بالفجار والنعيم بالجحيم.

❖ الاستفهام فى قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ وغرضه التعظيم والتهويل.

❖ الإطناب بإعادة الجملة في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ لتعظيم هول ذلك اليوم وبيان شدته كأنه فوق الوصف والخيال.

❖ السجع الجميل فى السورة كلها وهو من المحسنات البديعية الغير متكلفه فى نهاية الآيات.

❖ ❖ ❖

(٨٣) ســورة المطففــين

فى رحاب السورة الكريمة

سورة المطففين سورة مكية وهى من السور العظيمة التى نزلت بمكة المكرمة بعد سورة العنكبوت وآياتها ست وثلاثون، وهى آخر سورة نزلت بمكة، ابتدأت السورة الكريمة بإعلان الحرب على المطففين فى الكيل والوزن، الذين لا يخافون الآخرة، ولا يعملون لها حسابا، حيث الوقوف أمام أحكم الحاكمين للحساب والجزاء. ثم تتحدث عن الكفار وصورت جزاءهم يوم القيامة، وعرضت للمتقين الأبرار وحالهم فى النعيم الخالد فى دار العزة والكرامة، وختمت السورة الكريمة بمواقف أهل الشقاء وأهل الضلال من المؤمنين الأخيار حيث كانوا يستهزءون بهم فى الدنيا لصلاحهم وتقواهم، وقد سميت السورة، بسورة المطففين لأنها توعدت هؤلاء المطففين بالويل والعذاب الشديد يوم القيامة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)
أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) ﴾

معانى المفردات:

ويل : هلاك أو حسرة — للمطففين: المنقصين فى الكيل أو الوزن

اكتالوا : اشتروا بالكيل ، ومثله الوزن — كالوهم : أعطوا غيرهم بالكيل

وزنوهم : أعطوا غيرهم بالوزن — يخسرون : ينقصون الكيل والوزن.

كتاب الفجار : ما يكتب فى أعمالهم — لفى سجين : لمثبت فى ديوان الشر

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ أى هلاك وعذاب ودمار لأولئك الفجار الذين ينقصون المكيال والميزان، ثم بين أوصافهم بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ أى إذا أخذوا الكيل من الناس أخذوه وافيا كاملا لأنفسهم، ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ أى وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم، ينقصون الكيل والوزن، قال المفسرون: نزلت فى رجل يعرف بـ "أبى جهنة" كان له صاعان، يأخذ بأحدهما ويعطى بالأخر، وهو وعيد لكل من طفف الكيل والوزن وقد أهلك الله قوم شعيب لبخسهم المكيال والميزان، ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ أى ألا يعلم هؤلاء المطففون أنهم سيبعثون ليوم عصيب، شديد، كثير الفزع؟ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أى يوم القيامة يقف الناس فى المحشر حفاة عراة خاشعين خاضعين لرب العالمين[1] جاء فى البحر المحيط: فى هذا الإنكار والتعجيب ووصف اليوم بالعظمة وقيام الناس لله خاضعين ووصفه سبحانه وتعالى لدليل على عظمة هذا الذنب وهو التطفيف[2] وفى الحديث الشريف عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال "يوم يقوم الناس لرب العالمين" حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه[3] ثم ذكر تعالى مآل الفجار ومآل الأبرار فقال: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ أى ليرتدع هؤلاء المطففون الغفلة عن البعث والجزاء فإن كتاب أعمال الأشقياء والفجار لفى مكان ضيق فى أسفل سافلين، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ أى ما أعلمك ما هو سجين وهذا الاستفهام على سبيل التهويل والتعظيم ﴿ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾ أى هو كتاب مكتوب كالرقم فى الثوب لا ينسى ولا يمحى، أثبتت فيه أعمالهم الشريرة، قال ابن كثير "سجين" مأخوذة من السجن وهو الضيق، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهى أسفل سافلين وهى تجمع الضيق والسفول[4] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أى هلاك ودمار للمكذبين.

---

(١) صفوة التفاسير ص ١٦٩٧

(٢) البحر المحيط ٨/٤٤٠.

(٣) أخرجه الشيخان.

(٤) مختصر ابن كثير ٣/٦١٤.

الإعراب:

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ	ويل: مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة، وسوَّغ الابتداء به كونه دعاء، للمطففين جار ومجرور في محل رفع خبر، الذين اسم موصول في محل جر نعت، إذا ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط والجواب محذوف تقديره قضوا منهم، اكتالوا: فعل ماض والواو فاعل والجملة في محل جر بالإضافة للظرف، على الناس: جار ومجرور متعلقان باكتالوا وقيل متعلقان بيستوفون، يستوفون: مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، والجملة جواب الشرط، وإذا كالوهم: الواو عاطفة، إذا ظرف لما يستقبل من الزمان متعلق بالجواب المحذوف وتقديره استوفوا بها وجملة كالوهم في محل جر بإضافة الظرف إليها، كالوهم فعل ماض وفاعل والهاء منصوب بنزع الخافض أي كالوا لهم الطعام، أو حرف عطف، وزنوهم عطف على كالوهم موازن له في إعرابه وجملة يخسرون في محل نصب حال.
أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ	الهمزة للاستفهام الإنكاري، لا نافية، يظنُّ فعل مضارع مرفوع والظَّنُّ هنا بمعنى اليقين أي ألا يوقن، أولئك اسم إشارة مبني في محل رفع فاعل والإشارة للمطففين، إنهم إنَّ واسمها ومبعوثون خبر إنَّ والجملة من إنَّ واسمها وخبرها سدَّت مسد مفعولي يظنُّ، ليوم جار ومجرور متعلقان بمبعوثون، عظيم نعت مجرور.
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ	يوم بدل من اليوم تابع له على المحل ومحله النصب، يقوم فعل مضارع مرفوع والناسُ فاعل مرفوع والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها، لرب جار ومجرور متعلقان بيقوم، والعالمين مضاف إليه مجرور بالياء.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾	كلا حرف ردع وزجر مبنى على السكون، إنَّ حرف توكيد ونصب، كتاب اسم إنَّ منصوب بالفتحة الظاهرة، الفجار مضاف إليه مجرور بالكسرة، لفى اللام هى اللام المزحلقة وفى حرف جر، وسجين اسم مجرور وشبه الجملة لفى سجين خبر إنَّ فى محل رفع، وما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ وجملة أدراك فى محل رفع خبر ما، وما اسم استفهام مبتدأ وسجين خبر مرفوع، والجملة الاسمية المعلقة بالاستفهام سدَّت مسد مفعول أدراك الثانى، وكتاب بدل من سجين أو خبر لمبتدأ مرفوع، يومئذ ظرف أضيف إلى مثله متعلق بويل، للمكذبين جار ومجرور فى محل رفع خبر المبتدأ.

﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ ﴾

التفسير:

هؤلاء المشركون يكذبون بيوم الحساب والجزاء وهو يوم القيامة ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أى وما يكذب به إلا كل متجاوز الحَدَّ فى الكفر والضلال وبالغ فى العصيان والطغيان وكثرت آثامه، ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أى إذا تليت عليه آيات القرآن الكريم الناطقة بحصول البعث والجزاء قال عنها: هذه حكايات وخرافات الأوائل، سطروها وزخرفوها فى كتبهم.

الإعراب:

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝﴾	الذين اسم موصول مبنى فى محل جر نعت للمكذبين، يكذبون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول، بيوم جار ومجرور متعلقان بيكذبون، الدين مضاف إليه مجرور.

وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ	الواو عاطفة أو حالية، ما نافية، يكذب مضارع مرفوع، به جار ومجرور متعلقان بيكذب، إلا أداة استثناء مبنية على السكون، كُلُّ فاعل مرفوع، معتد مضاف إليه مجرور، أثيم نعت مجرور.
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ	إذا ظرف لما يستقبل من الزمان، تتلى مضارع مبنى للمجهول فعل الشرط، عليه جار ومجرور متعلقان بتتلى، آياتنا نائب فاعل مرفوع، قال فعل ماض مبنى جواب الشرط والفاعل ضمير مستتر، أساطيرُ خبر لمبتدأ محذوف تقديره هى، والأولين مضاف إليه مجرور بالياء.

﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

معاني المفردات:

ران على قلوبهم: غلب وغطّى — صالوا الجحيم: داخلوها ومقاسو حرها

كتاب الأبرار: ما يكتب من أعمالهم — لفي عليين: لمثبت في ديوان

التفسير:

يقول الله عز وجل: ليرتدع هؤلاء الفجرة عن ذلك القول الباطل، فليس القرآن أساطير الأولين، بل غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب، فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرُّشد من الغي، قال المفسرون: الرَّان هو الذنب على الذنب حتى يسْوَدَّ القلب[1] وهؤلاء المكذبون إن لم يرتدعوا عن غيهم وضلالهم فهم في الآخرة

(١) وفى الحديث الشريف "إن العبد إذا أخطأ خطيئة، نكتت فى قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه، فإذا عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه" وهو الران الذى ذكر الله فى كتابه. رواه الترمذى.

محجوبون عن رؤية المولى عز وجل فلا يرونه سبحانه وتعالى، ثم إنهم مع الحرمان عن رؤية الرحمن، لداخلو الجحيم وذائقو عذابها الأليم، ثم يقول لهم خزنة النار على وجه التقريع والتوبيخ: هذا العذاب الذى كنتم به تكذبون فى الدنيا، ثم ذكر الله عز وجل حال الأبرار فقال سبحانه ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ أى ليس الأمر كما يزعمون من مساواة الفجار بالأبرار، بل إنَّ الأبرار فى عليين وهو مكان عالٍ مشرَّف فى أعلى الجنة، قال فى التسهيل: ولفظ عليين للمبالغة، وهو مشتق من العلو لأنه سبب فى ارتفاع الدرجات فى الجنة أو لأنه فى مكان رفيع فقد روى أنه تحت العرش[1] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ تفخيم وتعظيم لشأنه أى وما أعلمك يا محمد ما هو عليون؟ إنه كتاب الأبرار، ﴿مكتوب فيه أعمالهم وهو فى عليين فى أعلى درجات الجنة يشهده المقربون من الملائكة، قال المفسرون: إن روح المؤمن إذا قبضت صُعدَ بها إلى السماء، وفتحت لها أبواب السماء، وتلقتها الملائكة بالبشرى، ثم يخرجون معها حتى ينتهوا إلى العرش، فيخرج لهم رقٌ فيكتب فيه ويختم عليه بالنجاة من الحساب والعذاب ويشهده المقربون[2].

الإعراب:

كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ	كلا حرف ردع وزجر، بل حرف عطف يفيد الإضراب، ران فعل ماض مبنى على الفتح، على قلوبهم جار ومجرور متعلقان بران، ما اسم موصول فى محل رفع فاعل، كانوا كان واسمها وجملة يكسبون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل فى محل نصب خبر كان وجملة كان واسمها وخبرها لا محل لها لأنها صلة الموصول.
كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ	كلا سبق إعرابها، إنهم: إن والضمير فى محل نصب اسمها، عن ربهم جار ومجرور متعلقان بمحجوبون، يومئذ ظرف

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١٨٥/٤.

(٢) ذكره القرطبى عن كعب ٢٦٠/١٩.

	مضاف لمثله، لمحجوبون اللام هي المزحلقة، محجوبون خبر إن مرفوع بالضمة.
ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ	ثمَّ حرف عطف مبني على الفتح، إنهم إنَّ واسمها، لصالوا خبر إنَّ مرفوع بالواو وحذفت النون للإضافة والجحيم مضاف إليه مجرور، والجملة معطوفة على ما قبلها.
ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ	ثم حرف عطف، يقال مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو، هذا اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ، كنتم كان واسمها، به جار ومجرور متعلقان بتكذبون، تكذبون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة خبر كان وجملة كنتم لا محل لها لأنها صلة الموصول.
كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ	سبق إعراب مثلها.
كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ	كتاب بدل من عليون أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، مرقوم نعت مرفوع بالضمة الظاهرة، يشهده فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة والهاء ضمير مبني في محل نصب مفعول به مقدم، المقربون فاعل مؤخر مرفوع بالواو.

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾
يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن
تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

معاني المفردات:

الأرائك: الأسرَّة في الجنة نضرة النعيم: بهجته ورونقه

رحيق: أجود الخمر مختوم: أوانيه وأكوابه

فليتنافس: فليتسارع تسنيم: عين فى الجنة شرابها أشرف شراب

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ أى إن المطيعين لله فى الجنات الوارفة، والظلال الممتدة يتنعمون بالجنة وما فيها، ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ أى هم على السرر المزينة بفاخر الثياب والستور، ينظرون إلى ما أعد الله لهم من أنواع الكرامة والنعيم فى الجنة ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أى إذا رأيتهم تعرف أنهم أهل نعمة، لما ترى فى وجوههم من البياض والحسن وبهجة السرور، ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾ أى يسقون من خمر الجنة، وهى بيضاء طيبة صافية، لم تكدرها الأيدى، وقد ختم على تلك الأوانى فلا يفك ختمها إلا الأبرار. ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾ أى آخر الشراب تفوح منه رائحة المسك، ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ أى وفى هذا النعيم والشراب الهنىء، فليرغب بالمبادرة إلى طاعة الله وليتسابق المتسابقون، ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ أى يمزج ذلك الرحيق من عين عالية رفيعة، هى أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه تسمَّى التسنيم ولهذا قال بعده ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ أى هى عين فى الجنة يشرب منها المقربون ويمتزج منه الرحيق الذى يشرب منه الأبرار، فدل ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار[1].

الإعراب:

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ	إنَّ حرف توكيد ونصب، الأبرار اسم إن منصوب، لفى اللام هى المزحلقة، فى نعيم جار ومجرور فى محل رفع خبر إن.
عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ	على الأرائك جار ومجرور متعلقان بينظرون، وينظرون مضارع مرفوع بثبوت النون والجملة فى محل نصب حال من الضمير المستكن فى خبر إنَّ.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/١٨٥.

تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ	تعرف مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، وفي وجوههم جار ومجرور متعلقان بتعرف، نضرة مفعول به منصوب، والنعيم مضاف إليه مجرور وقرئ تُعْرَفُ بالبناء للمجهول وتكون نضرة نائب فاعل مرفوع.
يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ	يسقون مضارع مبنى للمجهول والواو فى محل رفع نائب فاعل، من رحيق جار ومجرور متعلقان بيسقون، مختوم نعت مجرور.
خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ	ختامه: مبتدأ والهاء ضمير فى محل جر بالإضافة، ومسك خبر مرفوع والجملة فى محل جر نعت ثان لرحيق، وفى ذلك: الواو عاطفة، فى ذلك جار ومجرور متعلقان بقوله فليتنافس، الفاء عاطفة لزيادة الاهتمام اللام لام الأمر يتنافسْ مضارع مجزوم بالسكون، المتنافسون فاعل مرفوع بالواو.
وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ	ومزاجه الواو عاطفة، مزاجه مبتدأ مرفوع والهاء فى محل جر بالإضافة، من تسنيم خبر المبتدأ شبه جملة فى محل رفع، والجملة معطوفة على ما قبلها.
عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ	عينا منصوب على المدح بفعل محذوف تقديره أمدح، وقال الزجاج نصب على الحال من تسنيم بوصفها علما[1] وقال أبو البقاء: "وقيل تسنيم مصدر وهو الناصب عينا، وقال الأخفش: يسقون عينا، وجملة يشرب جملة فعلية فى محل نصب نعت عينا، بها جار ومجرور متعلقان بيشرب المقربون فاعل مرفوع بالواو.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحيي الدين الدرويش ص ٤١٦ المجلد العاشر.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

معاني المفردات:

يتغامزون: يشيرون إليهم بالأعين استهزاء.

فكهين: متلذذين باستخفافهم بالمؤمنين.

ثُوِّبَ الكفار: جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين.

التفسير:

إنَّ المجرمين الذين من طبيعتهم الإجرام وارتكاب الآثام، كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين استهزاء بهم، قال في التسهيل نزلت هذه الآية في صناديد قريش كأبي جهل وغيره، حيث مر بهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجماعة من المؤمنين فضحكوا منهم واستخفوا بهم[1] وإذا مَرَّ هؤلاء المؤمنون بالكفار، غمَزَ بعضهم بعضا بأعينهم سخرية واستهزاء، قال المفسرون: كان المشركون إذا مر بهم أصحاب رسول الله ﷺ تغامزوا بأعينهم عليهم احتقارا لهم، يقولون: جاءكم ملوك الدنيا يسخرون منهم لإيمانهم واستمساكهم بالدين، وإذا انصرف المشركون ورجعوا إلى منازلهم وأهلهم، رجعوا متلذذين يتفكهون بذكر المؤمنين والاستخفاف بهم، وإذا رأى الكفار المؤمنين قالوا: إنَّ هؤلاء لضالون لإيمانهم بمحمد، وتركهم شهوات الدنيا، قال تعالى ردا عليهم ﴿ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴾ أي وما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أو ضلالهم وفي ذلك تهكم وسخرية بالكفار، ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ أي ففي هذا اليوم – يوم القيامة – يضحك المؤمنون من الكفار كما ضحك الكفار منهم في الدنيا، جزاء وفاقا، والمؤمنون على

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١٨٦/٤.

أسرّة الدُّر والياقوت، ينظرون إلى الكفار ويضحكون عليهم، قال القرطبي: يقال لأهل النار وهم في النار اخرجوا، فتفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها، أغلقت دونهم، فيضحك منهم المؤمنون[1]، فهل جوزي الكفار بما كانوا يفعلون بالمؤمنين من السخرية والاستهزاء؟ نعم.

الإعراب:

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ	إنَّ حرف توكيد ونصب مبني على الفتح، الذين اسم موصول مبني في محل نصب اسم إنَّ، أجرموا فعل ماض مبني والواو فاعل والجملة صلة الموصول، كانوا كان واسمها، من الذين جار ومجرور متعلقان بكانوا، آمنوا فعل وفاعل "جملة الصلة لا محل لها من الإعراب" يضحكون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة في محل رفع خبر كان وجملة كان واسمها وخبرها في محل رفع خبر إنَّ.
وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ	الواو عاطفة، إذا ظرف لما يستقبل من الزمان، مروا فعل ماض مبني والواو فاعل والجملة في محل جر بالإضافة للظرف وهي جملة الشرط، لهم جار ومجرور متعلقان بيتغامزون، يتغامزون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة جواب الشرط لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم.
وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ	الواو عاطفة، إذا ظرف لما يستقبل من الزمان، انقلبوا فعل ماض والواو فاعل والجملة في محل جر بالإضافة للظرف، إلى أهلهم جار ومجرور متعلقان بانقلبوا، وجملة انقلبوا جواب الشرط لا محل لها، فكهين حال منصوب بالياء.

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٨.

وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ	وإذا رأوهم سبق إعراب مثيلها ، قالوا فعل ماض والواو فاعل جواب الشرط لا محل لها، إنَّ هؤلاء إنَّ واسمها، لضالون خبرها وجملة إنّ هؤلاء فى محل نصب مفعول به مقول القول.
وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ	الواو حالية، ما نافية، أرسلوا فعل ماض مبنى للمجهول والواو فى محل رفع نائب فاعل، عليهم جار ومجرور متعلقان بحافظين، حافظين حال منصوب بالياء.
فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ	الفاء عاطفة، اليوم ظرف متعلق بيضحكون، الذين اسم موصول فى محل رفع مبتدأ وجملة آمنوا فعل وفاعل صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، من الكفار جار ومجرور متعلقان بيضحكون، يضحكون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة فى محل رفع خبر الذين.
عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ	سبق إعراب مثيلها.
هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ	هل ثُوِّب الجملة مقول القول لفعل محذوف تقديره يقولون ويجوز أن تكون معلقة بالاستفهام فى محل نصب بنزع الخافض وثوب فعل ماض مبنى للمجهول، الكفار نائب فاعل مرفوع، ما اسم موصول فى محل نصب مفعول به، كانوا كان واسمها وهى صلة الموصول لا محل لها، يفعلون خبر كان جملة فعلية فى محل نصب.

أسباب النزول

قال القرطبى: كان بالمدينة تجار يطففون، وكانت بيوعا تهم تشبه القمار فى المنابذة والملامسة والمخاطرة، فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة فخرج رسول الله ﷺ إلى السوق وقرأها، وقال السدى: قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، وبها رجل

يقال له، أبو جهنة ومعه صاعان، يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

من ألوان البلاغة

- في قوله تعالى ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ تشبيه بليغ أي كالمسك الطيب حذف الأداة ووجه الشبه فصار بليغا.
- الطباق بين "يستوفون ويخسرون"
- الجناس في قوله ﴿ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾
- التنكير في قوله ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ وغرضه التهويل والتحقير.
- المقابلة بين حال الفجار والأبرار في قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ وقوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾.
- التفخيم والتعظيم لمراتب الأبرار في قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ .
- الإطناب بذكر أوصاف ونعيم المتقين ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ .

ثم السجع غير المتكلف في السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(١) أسباب النزول ص ٤٨٦ طبعة دار الغد العربي.

(٨٤) سورة الانشقاق

في رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة نزلت بمكة المكرمة آياتها خمس وعشرون نزلت بعد سورة الانفطار، تناولت الحديث عن أهوال يوم القيامة، فذكرت بعض مشاهدها وصوَّرت الانقلاب الهائل الذى يحدث فى الكون عند قيام الساعة، ثم تحدثت عن خلق الإنسان الذى يكد ويكدح ويتعب للحصول على رزقه، ليقدم لآخرته ما يشتهى من صالح وطالح ومن خير أو شر ثم هناك الجزاء العادل، وتناولت موقف المشركين من القرآن العظيم وأقسمت بأنهم سيلقون الشدائد والأهوال فى ذلك اليوم العصيب.

وختمت السورة الكريمة بتوبيخ المشركين على عدم إيمانهم مع وضوح الآيات والبراهين الدالة على وحدانية الله.

وقد سميت بسورة الانشقاق، حيث ذكر حادث انشقاق السماء وهذا بيان لأهوال يوم القيامة، وبيان ما يحدث فيها من كوارث عظيمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ
﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾

معاني المفردات:

السماء انشقت: تصدَّعت — أذنت لربها: استمعت وانقادت له تعالى

حُقت: حُقَّ لها أن تستمع وتنقاد — الأرض مُدَّت: بُسِطت وسوِّيت

ألقت ما فيها وتخلت: لفظت ما في جوفها وخلت عنه غاية الخلو

كادح إلى ربك: جاهد في عملك إلى لقاء ربك.

التفسير:

تبدأ السورة الكريمة بيان أحوال يوم القيامة فيقول سبحانه: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ أي تشققت وتصدَّعت مؤذنة بخراب الكون قال الألوسي: تنشق لهول يوم القيامة ﴿ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴾ أي واستمعت لأمر ربها وانقادت لحكمة وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع وأن تنشق من أهوال يوم القيامة[1] ﴿ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴾ أي وإذا الأرض زادت سعة بإزالة جبالها، وصارت مستوية لابناء فيها ولا وهاد ولا جبال ﴿ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴾ أي رمت ما في جوفها من الموتى والمعادن وتخلّت عنها، قال القرطبي: أخرجت أمواتها وتخلت عنهم، وألقت ما في بطنها من الكنوز والمعادن كما تلقي الحامل ما في بطنها من الحمل[2] ﴿ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴾ أي واستمعت لأمر ربها وأطاعت، وحق لها أن تسمع وتطيع. وجواب إذا محذوف ليكون أبلغ في التهويل وتقديره لقي الإنسان من الشدائد والأهوال ما لا يحيط به الخيال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ الخطاب هنا عام لكل إنسان أي أنت يا بن آدم جاهد ومُجدٌّ بأعمالك التي عاقبتها الموت، والزمان يطير وأنت في كل لحظة تقطع شوطا من عمرك، فكأنك سائر إلى الموت، ثم تلاقي ربك فيكافئك على عملك إن تقطع شوطا من عمرك، فكأنك سائر إلى الموت، ثم تلاقي ربك فيكافئك على عملك إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر، ثم ذكر تعالى انقسام الناس إلى سعداء وأشقياء وإلى من يأخذ كتابه بيمينه ومن يأخذ كتابه بشماله فقال ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴾ أي فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه فهذه علامة السعادة وسوف يكون حسابه سهلا مُيسّرا.

---

(١) روح المعاني ٣٠/٧٨.

(٢) القرطبي ١٩/٢٦٨.

الإعراب:

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ	إذا ظرف زمان للمستقبل، السماء فاعل بفعل محذوف يفسره ما بعده والتقدير إذا انشقت السماء انشقت، لأن إذا الشرطية يختص دخولها على الجمل الفعلية، وما جاء من هذا ونحوه يؤوله محافظة على قاعدة الاختصاص.
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ	الواو عاطفة، أذنت فعل ماض مبنى، لربها جار ومجرور متعلقان بأذنت، حُقّت فعل ماض مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هى، واعلم أن الفاعل فى هذا التركيب هو الله عز وجل أى حَقَّ الله عليها ذلك أى سمعه وطاعته.
وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ	الجملة معطوفة على ما سبق ومماثل للجملة الأولى فى الإعراب.
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ	الجملة أيضاً معطوفة على ما تقدم، ألقت فعل ماض والفاعل مستتر، ما اسم موصول في محل نصب مفعول به، فيها جار ومجرور متعلقان بألقت، وتخلت معطوف على ألقت.
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ	سبق إعرابها.
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ	يا حرف نداء مبنى، أيُّها منادى مبنى على الضم والهاء للتنبيه، الإنسان نعت مرفوع، أو بدل، إنك إنَّ واسمها، كادح خبر إن مرفوع إلى ربك جار ومجرور متعلقان بكادح، كدحًا مفعول مطلق منصوب، فملاقيه الفاء عاطفة وملاقيه معطوف على كادح ويجوز أن تكون خبر لمبتدأ محذوف أى فأنت ملاقيه.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ	الفاء استئنافية ، أمَّا حرف شرط وتفصيل، من اسم موصول فى محل رفع مبتدأ ، أوتى فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو. كتابه مفعول به ثان منصوب ، بيمينه جار ومجرور ومتعلقان بأوتى.
فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا	الفاء رابطة لجواب الشرط ، سوف حرف استقبال ، يحاسبُ مضارع مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو ، حسابا مفعول مطلق منصوب ، يسيرا نعت منصوب.

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾
وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا
﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾

معانى المفردات:

يدعو ثبورا : يطلب هلاكا — يصلى سعيرا : يدخل النار يقاسى حرها

لن يحور : لن يرجع إلى ربه — فلا أقسم : أقسم ولا زائدة

بالشفق : بالحمرة فى الأفق بعد الغروب

ما وسق : ماضم وجمع — لتركبُنَّ : لتلاقُن

طبقا عن طبق : حالا بعد حال

التفسير:

تتحدث الآيات الكريمات عن المؤمن بعد حسابه أى يرجع إلى أهله فى الجنة مبتهجا مسرورا بما أعطاه الله من الفضل والكرامة أى وأما من أعطى كتاب أعماله بشماله من وراء ظهره ، وهذه علامة الشقاوة أى يصيح بالويل والثبور ، ويتمنى الهلاك والموت أى يدخل نارا مستعرة يقاسى عذابها وحرها أى لأنه كان فى الدنيا مسرورا مع أهله ، غافلا لاهيا لا يفكر فى العواقب ولا يخطر بباله الآخرة أى إنه

بلى وسيعيده الله بعد موته، ويجازيه على أعماله كلها خيرها وشرها، فإنه تعالى مطلع على العباد، لا تخفى عليه خافية من شئونهم لا لتأكيد القسم أى فأقسم قسما مؤكدا بحمرة الأفق بعد غروب الشمس أى وبالليل وما جمع وما ضمَّ إليه، وما لف ظلمته من الناس والدَّواب والهوام قال المفسرون: الليل يسكن فيه كل الخلق، ويجمع ما كان منتشرا فى النهار من الخلق والدواب والأنعام، فكل يأوى إلى مكانه وسربه، ولهذا امتنَّ الله تعالى على العباد بقوله فإذا جاء النهار انتشروا، وإذا جاء الليل أوى كل شيء إلى مأواه أى وأقسم بالقمر إذا تكامل ضوؤه ونوره، وصار بدرا ساطعا مضيئا هذا جواب القسم أى لتلاقن يا معشر الناس أهوالا وشدائد فى الآخرة عصيبة، قال الألوسي: يعنى لتركبُنَّ أحوالا بعد أحوال، هى طبقات فى الشدة أرفع من بعض، وهى من الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها[1] قال القرطبى: المراد أنهم يلقون من الشدائد يوم القيامة وأهوالها أهوالا[2].

الإعراب:

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾	الواو عاطفة، ينقلب مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، إلى أهله جار ومجرور متعلقان بينقلب، مسرورا حال منصوب بالفتحة الظاهرة.
﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾	الواو عاطفة، أما حرف شرط وتفصيل، من اسم موصول بمعنى الذى فى محل رفع مبتدأ، وأوتى فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر، كتابه مفعول به ثان منصوب، والهاء في محل جر بالإضافة، وراء ظرف منصوب بنزع الخافض أى أوتى كتابه من وراء ظهره، ظهره مضاف إليه مجرور.

(١) روح المعنى للألوسى ٣٠/٨٢.

(٢) تفسير القرطبى ٣٠/٨٠.

فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا	الفاء رابطة وجملة سوف يدعو فى محل رفع خبر مَنْ، ثبورا مفعول يدعو أى ينادى هلاكه بقوله يا ثبوراه، يصلى عطف على يدعو وسعيرا مفعول يصلى منصوب.
إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا	إنه إنَّ والضمير فى محل نصب اسمها، كان فعل ماض ناسخ، اسمها ضمير مستتر تقديره هو، فى أهله جار ومجرور فى محل نصب حال وجملة كان واسمها فى محل رفع خبر إنَّ، مسرورا خبر كان منصوب.
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ	إنَّ واسمها، ظنَّ فعل ماض مبنى وفاعله ضمير مستتر والجملة فى محل رفع خبر ثان والظن هنا العلم واليقين وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، لن حرف نفى ونصب، يحور فعل مضارع منصوب وجملة لن يحور فى محل رفع خبر إن وأن وما فى حيزها سدت مسد مفعولى ظن.
بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا	بلى حرف جواب مبنى، إنَّ حرف توكيد ونصب، ربه اسم إنَّ وجملة كان واسمها وخبرها فى محل رفع خبر إن واسم كان ضمير مستتر وبصيرا خبر كان.
فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ	الفاء هى الفصيحة لأنها فى جواب شرط مقدر، أى إذا عرفت هذا أو إذا تحققت الرجوع بالبعث فلا أقسم، لا حرف نفى لتأكيد القسم، أقسم مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا يعود على الله عز وجل، بالشفق جار ومجرور متعلقان بأقسم.
وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ	والليل عطف على الشفق.

وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ	والقمر معطوف أيضا على ما سبق ، إذا ظرف خال من معنى الشرط متعلق بفعل القسم أى وقت الساعة ، اتسق فعل ماض مبنى وفاعله ضمير مستتر.
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ	اللام جواب القسم تركبُنَّ فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالى الأمثال لأنه من الأفعال الخمسة والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل والنون نون التوكيد الثقيلة ، طبقا حال منصوب أو مفعول به عن طبق جار ومجرور فى محل نصب صفة لطبق أى طبقا مجاوزا الطبق[1].

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

معاني المفردات:

يوعون : يضمرون أو يجمعون من السيئات   غير ممنون : غير مقطوع

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ استفهام يقصد به التوبيخ أى فما لهؤلاء المشركين لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون بالبعث بعد الموت، بعد وضوح الدلائل وقيام البراهين على وقوعه؟ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ أى وإذا سمعوا آيات القرآن، لم يخضعوا ولم يسجدوا للرحمن؟ ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴾ أى بل طبيعة هؤلاء الكفار التكذيب والعناد والجحود، ولذلك لا يخضعون عند تلاقيه ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ أى والله أعلم بما يجمعون فى صدورهم من الكفر والتكذيب قال ابن عباس: "يوعون" أى يضمرون من عداوة الرسول ﷺ والمؤمنين[2] ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾أى أى فبشرهم على كفرهم وضلالهم

(١) راجع أعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش المجلد العاشر.

(٢) البحر المحيط ٤٤٨/٨ .

بعذاب مؤلم موجع، واجعل ذلك بمنزلة البشارة لهم، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أى لكن الذين صدقوا الله ورسوله، وجمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴾ أى لهم ثواب فى الآخرة غير منقوص ولا مقطوع، بل هو دائم مستمر.

الإعراب:

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	الفاء هى الفصيحة، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ، لهم جار ومجرور شبه جملة فى محل رفع خبر وجملة لا يؤمنون في محل نصب حال.
وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ	الجملة معطوفة على الجملة الحالية السابقة، إذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة قرئ فى محل جر بالإضافة للظرف والقرآن نائب فاعل مرفوع وجملة لا يسجدون لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم.
بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ	بل حرف عطف يفيد الإضراب، الذين اسم موصول فى محل رفع مبتدأ، كفروا فعل ماض والواو فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، ويكذبون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة فى محل رفع خبر الذين.
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ	الواو عاطفة، الله مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة، أعلم خبر مرفوع بالضمة الظاهرة، بما الباء حرف جر، ما اسم موصول فى محل جر والجار والمجرور متعلقان بأعلم وجملة يوعون لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول.
فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ	فبشرهم فعل أمر مبنى على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت والضمير "هم" فى محل نصب مفعول به، بعذاب جار ومجرور متعلقان ببشرهم، وأليم نعت مجرور.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾	إلا أداة استثناء والاستثناء منقطع فهو بمعنى لكن، الذين فى محل رفع مبتدأ وجملة آمنوا صلة الموصول، وعملوا الصالحات فعل وفاعل ومفعول والجملة معطوفة على آمنوا، لهم جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم، أجر مبتدأ مؤخر مرفوع، غير نعت مرفوع، ممنون مضاف إليه مجرور والجملة الاسمية فى محل رفع خبر الذين، ويجوز أن يكون الاستثناء متصلا فيكون الذين مستثنى.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من ألوان البلاغة نذكر منها.

❖ الكناية فى قوله تعالى ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ كناية عن شدة الهول والعذاب الذى يلقاه الإنسان.

❖ الطباق بين "السماء والأرض".

❖ الجناس بين "وسق واتسق" وهو جناس ناقص.

❖ المقابلة بين ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴾.

❖ أسلوب التهكم والسخرية فى قوله تعالى ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ حيث استعمل البشارة فى موضع الإنذار للتهكم والسخرية.

❖ السجع المرصع الجميل فى أواخر الأيات وهو غير متكلف يزيد الأسلوب رونقا وجمالا.

❖ ❖ ❖

(٨٥) سورة البروج

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها اثنتان وعشرون نزلت بعد سورة الشمس تعرض لحقائق العقيدة ومحورها حادثة أصحاب الأخدود وهي قصة تدل على مدى التضحية بالنفس في سبيل العقيدة والإيمان بدأت السورة بالقسم بالسماء ذات النجوم الهائلة، ومداراتها الضخمة وباليوم العظيم المشهور وهو يوم القيامة، وبالرسل وبالخلائق.

ثم تناولت قصة أصحاب الأخدود، ثم تلاها الوعيد والإنذار والهلاك من هؤلاء الفجار على فعلتهم الشنيعة، وبعد ذلك تحدثت عن قدرة الله عز وجل على الانتقام من أعدائه الذين فتنوا عباده وأولياءه. وختمت السورة الكريمة بقصة الطاغية الجبار فرعون وما أصابه وقومه من الهلاك والدمار نتيجة البغي والطغيان، وهو ختام رائع يلائم موضوع السورة، وسميت بسورة البروج حيث أقسم الله عز وجل بالسماء وما فيها من بروج وكواكب كلها شاهدة على وحدانية الله وصمدانيته.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ
﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا
نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ
وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾

معاني المفردات:

ذات البروج: ذات المنازل للكواكب
اليوم الموعود: يوم القيامة
شاهد: من شهد على غيره
مشهود من يشهد عليه غيره
قُتل: لُعن أشد اللعن
الأخدود: الشق العظيم كالخندق

ما نقموا: ما كرهوا أو ما عابوا		فتنوا: عذبوا وأحرقوا

التفسير:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾ يقسم الله عز وجل بالسماء البديعة ذات المنازل الرفيعة التى تنزلها الكواكب أثناء سيرها، قال المفسرون: سميت هذه المنازل بروجا لظهورها، وشهرت بالقصور لعلوها وارتفاعها لأنها منازل للكواكب السيارة ﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴾ أى وأقسم بيوم القيامة الذى وعد الله به الخلائق ﴿ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴾ أى وأقسم بمحمد والأنبياء الذين يشهدون على أممهم فى هذا اليوم ويجمع الأمم والخلائق الذين يجتمعون فى أرض المحشر للحساب، وقيل الشاهد هذه الأمة والشهود سائر الأمم[1] ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ هذا هو جواب القسم والجملة دعائية أى قاتل الله ولعن أصحاب الأخدود الذين شقوا الأرض طولا وجعلوها أخاديد وأضرموا فيها النيران ليحرقوا بها المؤمنين، وخلاصة قصة أصحاب الأخدود "أن ملكا ظالما كافرا أسلم أهل بلده فأمر جنوده أن يأتوا بكل مؤمن ومؤمنة ويعرضوه على النار فمن لم يرجع عن دينه فليلقوه فى النار ففعلوا ذلك، حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها، فأنطق الله الغلام وقال لها: يا أماه اصبرى فإنك على حق" تفاصيل القصة كاملة فى صحيح مسلم.

﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴾ أى النار العظيمة المتأججة، ذات الحطب واللهب التى أضرمها الكفار فى تلك الأخاديد لإحراق المؤمنين، ثم بالغ سبحانه وتعالى فى وصف المجرمين فقال ﴿ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴾ أى حين هم جلسوا حول النار يتشفون بإحراق المؤمنين فيها، ويشهدون ذلك الشنيع، والغرض هو تخويف كفار قريش فقد كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام، فذكر الله تعالى قصة أصحاب الأخدود وعيدا للكفار وتسلية للمؤمنين

(١) أختلف المفسرون فى تفسير "الشاهد" و "المشهود" اختلافا كبيرا حتى ذكر بعضهم فيها أقوالا كثيرة فقيل أن الشاهد هو محمد والمشهود هو يوم القيامة وقيل أن الشاهد جوارح الإنسان والمشهود عليه هو ابن آدم، والأحسن أن يراد ما هو أعم ولذلك ذكر هما ليعم كل شاهد ومشهود "صفوة التفاسير" ص ١٧٠٦.

المعذبين، ثم قال تعالى ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ أي وما كان لهم من ذنب ولا انتقموا منهم إلا لأنهم آمنوا بالله العزيز الحميد الغالب الذي لا يضام من لاذ بجنابه الحميد في جميع أقواله وأفعاله، فالغرض أن سبب البطش بهم وتحريقهم بالنار لم يكن إلا لإيمانهم بالله الواحد الأحد، وهذا ليس بذنب يستحقون به العقوبة ولكنه الطغيان والإجرام ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي إن الله عز وجل هو المالك لجميع الكائنات المستحق للمجد والثناء فهو سبحانه عزيز لا يغلب قادر يخشى عقابه حميد أي يجب له الحمد على نعمه الجزيلة وكل من في السموات والأرض يحق له عبادته والخشوع له ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ هو سبحانه مطلع على أعمال عباده لا تخفى عليه خافية من شئونهم وفيه وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين، ثم قال سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أي الذين عذبوا وأحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار ليفتنهم عن دينهم ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ أي لم يرجعوا عن كفرهم وطغيانهم ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ أي فلهم عذاب جهنم المخزي بكفرهم ولهم العذاب المحرق بإحراقهم المؤمنين.

الإعراب:

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ	الواو حرف قسم، والسماء مجرور بواو القسم والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم، وذات نعت مجرور والبروج مضاف إليه مجرور، واليوم الموعود عطف على السماء، وشاهد ومشهود عطف أيضا، وجواب القسم محذوف، وقد اختلف فيه دل عليه قوله "قتل أصحاب الأخدود".
قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ	قتل فعل ماض مبني للمجهول، أصحاب نائب فاعل مرفوع، الأخدود مضاف إليه مجرور، النار بدل اشتمال مجرور من الأخدود، ذات الوقود نعت مجرور.

إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ	إذا ظرف للزمن الماضى، هم ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، عليها جار ومجرور متعلقان بقعود، قعود خبر مرفوع بالضمة الظاهرة والجملة فى محل جر، ما اسم موصول فى محل جر، يفعلون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل جملة الصلة لا محل لها من الاعراب، بالمؤمنين جار ومجرور متعلقان بشهود ومشهود خبر مرفوع بالضمة الظاهرة.
وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ	الواو عاطفة أو حالية، ما نافية، نقموا فعل ماض والواو فاعل، منهم جار ومجرور متعلقان بنقموا، إلا أداة استثناء للحصر، أن يؤمنوا مصدر مؤول فى محل نصب مفعول نقموا، أى ما عانوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان، بالله جار ومجرور متعلقان بيؤمنوا العزيز الحميد صفتان لله عز وجل.
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ	الذى اسم موصول مبنى فى محل جر نعت ثالث، له جار ومجرور خبر مقدم، ملك مبتدأ مؤخر، السموات مضاف إليه مجرور والأرض معطوف مجرور والجملة الاسمية لا محل لها من الإعراب لأنها صلة والله مبتدأ، وشهيد خبره، وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بشهيد.
إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ	إنَّ حرف توكيد ونصب، الذين اسم موصول فى محل نصب اسم إنَّ، فتنوا فعل ماض مبنى والواو فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها. المؤمنين مفعول به منصوب بالياء والمؤمنات معطوف منصوب بالكسرة، ثم حرف عطف يفيد التراخى، لم حرف نفى وجزم، يتوبوا مضارع مجزوم علامة الجزم حذف النون والواو فاعل، فلهم الفاء رابطة لجواب شرط مقدر مفهوم من المبتدأ، لهم جار ومجرور خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر وجهنم مضاف إليه مجرور بالفتحة ممنوع من الصرف وجملة فلهم عذاب مبتدأ مؤخر، الحريق مضاف إليه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ (١١) إِنَّ
بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ (١٤) ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ (١٥)
فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ (١٩)
وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ (٢٢) ﴾

معاني المفردات:

بطش ربك : أخذه الجبابرة بالعذاب

هو يبدئ : يخلق ابتداء بقدرته

يعيد : يبعث بعد الموت بقدرته

المجيد : العظيم الجليل المتعالى

التفسير:

بدأت الآيات الكريمات بذكر مصير المؤمنين فقال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أى الذين جمعوا بين الإيمان الصادق والعمل الصالح، ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ﴾ أى لهم البساتين والحدائق الزاهرة التى تجرى من تحتها قصورها وأنهار الجنة قال الطبرى : هى أنهار الخمر واللبن والعسل[(١)] ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ أى ذلك هو الظفر العظيم بغاية المطلوب، الذى لا سعادة ولا فوز بعده، ثم أخبر سبحانه وتعالى عن انتقامه الشديد من أعداء رسله وأوليائه فقال سبحانه ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ اى إنَّ أنتقام الله وأخذه الجبابرة والظلمة بالغ الشدة قال أبو السعود: البطش الأخذ بعنف حيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم، وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام[(٢)] ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ أى هو سبحانه وتعالى الخالق القادر، الذى يبدأ الخلق من العدم، ثم يعيدهم أحياء بعد الموت، ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ أى وهو الساتر لذنوب عباده المؤمنين، اللطيف المحسن إلى أوليائه قال ابن عباس : يودُّ أولياءه كما يود أحدهم أخاه بالبشرى والمحبة[(٣)] ﴿ ذُو

---

(١) تفسير الطبرى ٣٠/٨٨.

(٢) تفسير أبو السعود ٥/٢٥٣.

(٣) القرطبى ١٩/٢٩٤.

﴿ ٱلۡعَرۡشِ ﴾ أى صاحب العرش العظيم، وإنما أضاف العرش إلى الله وخصَّه بالذكر، لأن العرش أعظم المخلوقات وأوسع من السموات السبع وخلقه بهذا الوصف يدل على عظمة خالقه ﴿ ٱلۡمَجِيدُ ﴾ أى هو تعالى المجيد العالى على جميع الخلائق، المتصف بجميع صفات الجلال والكمال ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ أى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴾ استفهام للتشويق، أى هل بلغك يا محمد خبر الجموع الكافرة، الذين حاربوا الرسل والأنبياء؟ وهل بلغك ما أحَلَّ الله بهم من البأس وما أنزل عليهم من النقمة والعذاب؟ ﴿ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴾ أى هم فرعون وثمود، أولى البأس والشدة، فقد كانوا أشد بأسا وأقوى مراسا من قومك، ومع ذلك فقد أخذهم الله تعالى بذنوبهم ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴾ أى لم يعتبر كفار قريش بما حل بأولئك الكفرة المكذبين، بل هم مستمرون فى التكذيب فهم أشد منهم كفرا وطغيانا ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾ أى والله تعالى قادر عليهم، لا يفوتونه ولا يعجزونه، لأنهم فى قبضته فى كل حين وزمان ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴾ أى بل هذا الذى كذبوا به كتاب عظيم شريف، سما على سائر الكتب السماوية، فى إعجازه ونظمه وصحة معانيه ﴿ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾ أى فى اللوح المحفوظ الذى فى السماء، محفوظ من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل.

الإعراب:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ	إنَّ حرف توكيد ونصب، الذين اسم موصول فى محل نصب اسم إن، آمنوا فعل ماض والواو فاعل والجملة صلة الموصول، الصالحات مفعول به منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم لهم جار ومجرور خبر مقدم، وجنات مبتدأ مؤخر مرفوع، تجرى مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، من تحتها من حرف جر، تحتها ظرف فى محل جر والهاء مضاف إليه، الانهار فاعل مرفوع والجملة الفعلية "تجرى من تحتها الأنهار" نعت لجنات فى محل رفع، ذلك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، الفوز خبر مرفوع والكبير نعت مرفوع.

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ	إنّ حرف توكيد ونصب، بطش اسم إن منصوب، ربك مضاف إليه مجرور، والكاف ضمير فى محل جر مضاف إليه، لشديد اللاّم لام التوكيد، شديد خبر إن مرفوع بالضمة الظاهرة، إنه إن واسمها، هو ضمير فصل فى محل رفع مبتدأ يبدئ فعل مضارع والفاعل ضمير مستتر والجملة فى محل رفع خبر المبتدأ ويعيد معطوف والجملة الاسمية "هو يبدئ ويعيد" فى محل رفع خبر إن.
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ	الواو عاطفة، هو ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، الغفور خبر مرفوع وما بعده أخبار، وبهذه الآية يستدل النحاة على تعدُّد الخبر وقال الزمخشرى "فعال خبر مبتدأ محذوف وفعَّال صيغة مبالغة تدل على الكثرة وقال الفرّاء هو رفع على التكرير والاستئناف لأنه نكرة محضة.
هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ	هل هى بمعنى قد وقيل هى استفهام تقريرى تعجبى أتاك فعل ماض والكاف ضمير فى محل نصب مفعول به، حديث فاعل مرفوع، الجنود مضاف إليه مجرور بالكسرة.
فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ	فرعون بدل من الجنود وثمود معطوف مجرور، بل حرف إضراب مبنى على السكون، الذين اسم موصول فى محل رفع مبتدأ، كفروا فعل وفاعل "جملة صلة لا محل لها من الإعراب، فى تكذيب جار ومجرور فى محل رفع خبر المبتدأ".
وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ	الواو عاطفة، الله مبتدأ مرفوع، من ورائهم جار ومجرور متعلقان بمحيط، محيط خبر مرفوع.

بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ	بل حرف إضراب انتقالى للأشد، هو ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، قرآن خبر مرفوع، مجيد نعت مرفوع، فى لوح نعت ثان، محفوظ نعت للوح مجرور.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من ألوان البيان والبديع نذكر منها.

❖ الطباق بين ﴿ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ وهو لتأكيد قدرة الله عز وجل على الخلق فى البداية والإحياء يوم القيامة للحساب.

❖ الجناس فى قوله تعالى ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ وهو جناس اشتقاق.

❖ تأكيد المدح بما يشبه الذم فى قوله تعالى ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ وكأنه يقول: ليس لهم جريمة إلا إيمانهم بالله وهذا من أعظم ما يفتخر به الإنسان.

❖ المقابلة بين مصير المؤمنين ومصير الكافرين فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ ﴾.

❖ أسلوب التشويق لاستماع القصة ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴾.

❖ صيغ المبالغة فى قوله تعالى ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾.

❖ السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(٨٦) سورة الطارق

فى رحاب السورة الكريمة

سورة كريمة مكية آياتها سبع عشرة نزلت بعد سورة البلد، عالجت أمور العقيدة، ومحور السورة يدور حول الإيمان والبعث والنشور، بدأت السورة الكريمة بالقسم بالسماء ذات الكواكب الساطعة التى تضىء للناس طريقهم ليلا ليهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر على أن كل إنسان موكل به من يحرسه، ثم ساقت الأدلة والبراهين على قدرة رب العالمين، على إعادة الإنسان بعد موته، ثم أخبرت عن كشف الأسرار وهتك الأستار فى الأخرة حيث لا معين للإنسان ولا نصير له إلا عمله الصالح. وختمت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن العظيم ومعجزته الخالدة إلى يوم الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ (١) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ (٢) ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ (٤)
فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ (٦) يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ (٧) إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ
لَقَادِرٞ (٨) يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ (٩) فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ (١٠) وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ (١١) وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ
ٱلصَّدۡعِ (١٢) إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ (١٣) وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ (١٤) إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا (١٥) وَأَكِيدُ كَيۡدٗا (١٦) فَمَهِّلِ
ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا (١٧) ﴾

معانى المفردات:

الطارق: النجم الثاقب

النجم الثاقب: المضىء المنير.

حافظ: مهيمن ورقيب

ماء دافق: مصبوب بدفع فى الرحم

الصُّلب: ظهر كل من الزوجين

الترائب: أطرافها

رجعه: إعادته بعد فنائه

تبلى السرائر: تكشف المكنونات والخفيات

ذات الرجع : المطر لرجوعه إلى الأرض ثانيا

ذات الصدع : التيار الذى ينشق عنه قول فصل : فاصل بين الحق والباطل

فمهل الكافرين: أمهلهم ولا تستعجل للانتقام منهم

أمهلهم رويدا : قريبا أو قليلا ثم يأتيهم العذاب.

التفسير:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ أقسم بالسماء وبالكواكب النيرة، التى تظهر ليلا وتختفى نهارا، قال المفسرون: سمى النجم الطارق لأنه إنما يظهر ليلا ويختفى نهارا، وكل ما يجئ ليلا فهو طارق، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ استفهام للتفخيم والتعظيم أى وما الذى أعلمك يا محمد ما حقيقة هذا النجم؟ ثم فسره بقوله ﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ أى النجم المضيء الذى يثقب الظلام بضيائه، قال الصاوى: قد كثر منه تعالى فى كتابه المجيد فذكر الشمس والقمر والنجوم، لأن أحوالها فى أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة دالة على انفراد خالقها بالكمالات، لأن الصنعة تدل على الصانع[1] ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ هذا جواب القسم أى ما كل نفس إلا عليها حافظ من الملائكة، يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر، ثم أمر تعالى بالنظر والتفكير فى خلق الإنسان تنبيها على إمكان البعث والحشر فقال ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ أى فلينظر الإنسان فى أول نشأته نظرة تفكر واعتبار، من أى شيء خلقه الله ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ أى خلق من المنى المتدفق الذى ينصب بقوة وشدة، يتدفق من الرجل والمرأة فيتكون منه الولد بإذن الله ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ أى يخرج هذا الماء من بين الصلب وعظم الصدر من الرجل والمرأة[2] ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ أى إن الله تعالى الذى خلق الإنسان ابتداء، قادر على إعادته بعد موته، قال ابن كثير: نبه تعالى الإنسان على ضعف أصله الذى خلقه منه، وأرشده إلى الاعتراف بالإعادة لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريقة أولى ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ أى يوم تمتحن القلوب وتختبر، ويعرف ما بها من العقائد والنيات، ويميز بين ما طلب

---

(١) حشية الصاوى ٣٠٩/٤.

(٢) الصلب : فقار الظهر ويسمى سلسلة الظهر والترائب عظام الصدر – بالصلب عن الرجل وبالترائب عن المرأة.

منها وما خبث ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ أى فليس للإنسان فى ذلك الوقت قوة تدفع عنه العذاب، ولا ناصر ينصره ويجيره، ولما ذكر تعالى أمر المبدأ والمعاد، عاد فأقسم على صدق هذا الكتاب المعجز فقال ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ أى أقسم بالسماء ذات المطر الذى يرجع على العباد حينا بعد حين، قال ابن عباس الرجع المطر ولولاه لهلك الناس وهلكت مواشيهم[1] ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴾ أى وأقسم بالأرض التى تتصدع وتتشقق فيخرج منها النبات والأشجار والأزهار ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴾ إنَّ هذا القرآن لقول فاصل بين الحق والباطل، قد بلغ الغاية فى بيانه وتشريعه وإعجازه ﴿ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴾ أى ليس فيه شىء من اللهو والباطل والعبث، بل هو جد كله، لأنه كلام أحكم الحاكمين ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴾ أى إن هؤلاء المشركين – كفار مكة – يعملون المكائد لإطفاء نور الله وإبطال شريعة محمد ﷺ ﴿ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴾أى وأجازيهم بكيد متين لا يمكن ردُّه حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون[2] ﴿ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴾ أى لا تستعجل فى هلاكهم والانتقام منهم، وأمهلهم قليلا فسوف ترى ما أصنع بهم، وهذا منتهى الوعيد والتهديد.

الإعراب:

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ	والسماء الواو حرف قسم وجر السماء مقسم به مجرور والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف، والطارق قسم أيضا معطوف على ما قبله، وما أدراك الواو حرف عطف، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ وجملة أدراك خبرها، ما الطارق ما استفهام مبتدأ وجملة أدراك خبرها، ما الطارق ما اسم استفهام مبتدأ الطارق خبرها، والجملة المعلقة بالاستفهام سدَّت مسد مفعول أدراك الثانى، والنجم بدل من الطارق أو خبر لمبتدأ محذوف كأنه جواب الاستفهام الوارد قبله وجملة إنْ كلُّ نفس لما عليها حافظ لا محل لها من الإعراب لأنها

(١) مختصر ابن كثير ٣/٦٢٨.

(٢) تفسير أبى السعود ٨/٤٣٨.

الآية	الإعراب
	جواب القسم وما بين القسم وجوابه اعتراض، إنْ مخففة نافية، كل مبتدأ نفس مضاف إليه ولما بالتشديد بمعنى إلا وعليها خبر مقدم، حافظ مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر كل، وقرئت لما بالتخفيف فاللاّم فارقه وأنْ مخففة من الثقيلة مهملة، وما زائدة وإلى هذا أشار ابن مالك فى الخلاصة فقال: وخففت إنْ فقلَّ العمل : وتلزم اللاّم إذا ما تهمل.
فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾	الفاء هى الفصيحة، اللاّم لام الأمر، ينظرْ مضارع مجزوم بالسكون، الإنسانُ فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، ممَّ من حرف جر وما اسم استفهام فى محل جر بمن وحذفت ألف ما الاستفهامية والجار والمجرور متعلقان بخلق وجملة خلق من ماء دافق مستأنفة كأنه جواب سؤال مقدر وخلق فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو ومن ماء جار ومجرور متعلقان بخلق ودافق نعت لماء مجرور، يخرُج من بين الصلب والترائب، جملة يخرج نعت ثان أو حالية ومن بين جار ومجرور متعلقان بيخرج، الصلب مضاف إليه مجرور والترائب معطوف مجرور.
إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾	إنه إن واسمها، على رجعه جار ومجرور متعلقان بقادر والضمير فى إنه يعود على الله عزَّ وجَلَّ، اللاّم لام التوكيد قادر خبر إنّ مرفوع، يوم ظرف متعلق برجعه، تبلى مضارع مبنى للمجهول. السرائرُ نائب فاعل مرفوع فما الفاء عاطفة، ما نافية، له جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم، من حرف جر زائد قوة مجرور لفظا مرفوع محلا مبتدأ مؤخر، ولا ناصر معطوف على قوة.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ	والسماء، السماء مجرور بواو القسم، ذات نعت مجرور، الرجع مضاف إليه والأرض ذات الصدع عطف على ما قبله ونفس الإعراب.
إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ	الجملة لا محل لها من الإعراب، لأنها جواب القسم، إنَّ واسمها، اللام للتوكيد قول خبر إن مرفوع، فصل نعت مرفوع، الواو حرف عطف، ما حجازية تعمل عمل ليس، هو اسمها والباء حرف جر زائد، الهزل مجرور لفظا منصوب محلا خبر ما الحجازية.
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا	إنهم إن واسمها، يكيدون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، والجملة فى محل رفع خبر إنَّ، كيدا مفعول مطلق منصوب، وأكيد الواو عاطفة، أكيد فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر، كيدا مفعول مطلق منصوب، فمهل الفاء هى الفصيحة، مَهِّل فعل أمر مبنى على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، الكافرين مفعول به منصوب بالياء، أمهلهم فعل أمر مبنى على السكون والفاعل ضمير مستتر، والضمير "هم" فى محل نصب مفعول به، رويدا نصب على المصدر.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على بعض صور البيان والبديع نذكر منها:

❖ الكناية فى قوله تعالى ﴿ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ حيث كنىَّ بالصلب عن الرجل وبالترائب عن المرأة، وهذا من Hلطف الكنايات.

❖ الطباق بين "السماء والأرض" وبين "فصل.. هزل"

❖ الجناس في قوله تعالى ﴿ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ وهو جناس اشتقاق.

❖ الاستفهام في قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ وغرضه التفخيم والتعظيم.

❖ الإطناب في قوله تعالى ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ وذلك بتكرار الفعل مبالغة في الوعيد.

❖ السجع الجميل غير المتكلف في السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(٨٧) سـورة الأعـلى

فى رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة مكية، آياتها تسع عشرة نزلت بعد سورة التكوير، تعالج باختصار بعض صفات العَلىِّ القدير، والدلائل على قدرته ووحدانيته والوحى والقرآن العظيم، والموعظة الحسنة، التى ينتفع بها أهل القلوب الحية، ابتدأت بتنزيه الله عز وجل الذى خلق فأبدع وصوَّر فأحسن، ثم تحدثت عن الوحى والقرآن العظيم وبشَّرت الرسول الكريم بتحفيظه هذا الكتاب الخالد وتيسير حفظه عليه بحيث لا ينساه أبدا، ثم أمرت بالتذكير بالقرآن حيث يتعظ المؤمنون المتقون وختمت السورة الكريمة ببيان فوز من طهر نفسه من الذنوب والآثام وزكاها بالأعمال الصالحة، وقد سميت بسورة الأعلى حيث بدأت بالأمر بتسبيح ذات الله العلية المنزه عن كل صفات النقص والمتصف بكل صفات الكمال.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى (١) ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ (٤)
فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ (٦) إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧)
وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى (١١) ٱلَّذِى
يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ (١٥)
بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (١٦) وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ (١٩) ﴾

معانى المفردات:

سبح اسم ربك: نزهه ومجِّده — خلق: أوجد كل شىء بقدرته

فسوَّى: بين خلقه فى الإحكام والإتقان — فهدى: وجَّه كل مخلوق إلى ما ينبغى له

أخرج المرعى: أنبت العشب رطبا غضا فجعله غثاء: يابسا هشيما كغثاء السيل
أحوى: أسود بعد الخضرة والنضارة نيسرك: نوفقك
لليسرى: للطريقة اليسرى في كل أمر يصلى النار: يدخلها أو يقاسي حرها
أفلح: فاز بالبغية تزكى: تطهر من الكفر والمعاصي

التفسير:

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ أى نزه يا محمد ربك العلى الكبير عن صفات النقص وعما يقوله الظالمون، مما لا يليق به سبحانه وتعالى من النقائص والقبائح وفى الحديث الشريف أنه ﷺ إذا قرأ هذه الآية قال: "سبحان ربى الأعلى"[1] ثم ذكر من أوصافه الجليلة، ومظاهر قدرته الباهرة ودلائل وحدانيته وكماله فقال ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ أى خلق المخلوقات جميعها فأتقن خلقها وأبدع صنعها، قال فى البحر: أى خلق كل شيء فسواه بحيث لم يأت متفاوتا، بل متناسبا على إحكام وإتقان، للدلالة على إنه صادر من عالم حكيم[2] ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ أى قدَّر فى كل شيء خواصه ومزاياه بما تجلُّ عن العقول والأفهام، وهدى الإنسان لوجه الانتفاع بما أودعه فيها، وهدى الأنعام إلى مراعيها، ولو تأملت ما فى النباتات من الخواص، وما فى المعادن من المزايا والمنافع، واهتداء الإنسان لاستخراج الأدوية والعقاقير النافعة من النباتات، واستخدام المعادن فى صنع المدافع والطائرات لعلمت حكمة الله العلى القدير، الذى لولا تقديره وهدايته لكتائبهم فى دياجير الظلام كسائر الأنعام، قال المفسرون: إنما حذف المفعول لإفادة العموم أى قدَّر لكل مخلوق وحيوان ما يصلحه، فهداه إليه وعرَّفه الانتفاع به[3] ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴾ أى أنبت ما ترعاه الدواب من الحشائش والأعشاب ﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ أى فصيره بعد الخضرة أسود باليا بعد أن كان ناضرا زاهيا، ولا يخفى ما فى المرعى من المنقصة بعد صيرورته هشيما يابسا، فإنه يكون طعاما جيدًا من الحيوانات، "وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى وبعد أن ذكر دلائل قدرته ووحدانيته، ذكر فضله وإنعامه على رسوله فقال: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ أى سنقرئك يا محمد هذا القرآن العظيم فتحفظه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس.

(٢) البحر المحيط ٨/٤٥٨.

(٣) روح المعانى ٣٠/١٠٤.

في صدرك ولا تنساه ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي لكن ما أراد الله نسخه فإنك تنساه، وفي هذه الآية معجزة له عليه الصلاة والسلام، لأنه كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام، وكذلك يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولا ينساه أبدا، من أعظم البراهين على صدق نبوته ﷺ، ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ أي إنه سبحانه وتعالى عالم بما يجهر به العباد وما يخفونه من الأقوال والأفعال لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ أي ونوفقك للشريعة السمحة البالغة اليسر، التي هي أيسر وأسهل الشرائع السماوية وهي شريعة الإسلام ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ أي فذكر يا محمد بهذا القرآن حيث تنفع الموعظة والتذكرة، قال ابن كثير: ومن هنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله، كما قال علي رضي الله عنه، وما أنت بمحدث قوما حديثا لا يبلغ عقولهم، إلا كان فتنة لبعضهم وقال: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب على الله ورسوله؟[1] ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ أي ويرفضها ويبتعد عن قبول الموعظة من يخاف الله تعالى ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾ أي ويرفضها ويبتعد عن قبول الموعظة الكافر المبالغ في الشقاوة ﴿ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ أي الذي يدخل نار جهنم المستعرة العظيمة الفظيعة قال الحسن: النار الكبرى نار الآخرة والصغرى نار الدنيا[2] ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ أي لا يموت فيستريح ولا يحيا الحياة الطيبة الكريمة بل هو دائم في العذاب والشقاوة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ أي قد فاز من طهر نفسه بالإيمان وأخلص عمله للرحمن ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ أي وذكر عظمة ربه وجلاله فصلّى خشوعا وامتثالا لأمره ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي بل تفضلون أيها الناس هذه الحياة الفانية على الآخرة الباقية والباقي خير من الفاني، قرأ ابن مسعود هذه الآية الكريمة فقال لأصحابه: أتدرون لِمَ آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قالوا: لا، قال: لأن الدنيا أحضرت وعجّل لنا بطعامها، وشرابها، ونسائها، ولذاتها وبهجتها. وإنَّ الآخرة غُيبت وزويت عنا، فأجبنا العاجل وتركنا الآجل[3] ﴿ إِنَّ هَٰذَا

---

(١) مختصر ابن كثير ٣/٦٣٠.

(٢) البحر المحيط ٨/٤٥٩.

(٣) تفسير الخازن ٤/٢٣٦.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ أى إن هذه المواعظ المذكورة فى هذه السورة، مثبتة فى الصحف القديمة المنزلة على إبراهيم وموسى عليهما السلام، فهى فى ما توافقت فيه الشرائع، وسطرته الكتب السماوية، كما سطره هذا الكتاب المجيد.

الإعراب:

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ	سبح فعل أمر مبنى على السكون، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، اسم مفعول به ربك مضاف إليه مجرور والكاف ضمير فى محل جر بالإضافة، الأعلى نعت مجرور بالكسرة المقدرة الذى اسم موصول نعت ثان للرب وجملة خلق صلة الموصول، فسوى الفاء عاطفة وسوى فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر والجملة معطوفة، والذى عطف أيضا على ما سبق وقدَّر فعل ماض مبنى وفاعله ضمير مستتر والجملة صلة الموصول وهدى عطف على ما سبق.
وَٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ	والذى معطوف على ما قبله، وجملة أخرج صلة الموصول، المرعى مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة، فجعله الفاء عاطفة، جعله فعل ماض مبنى والهاء فى محل نصب مفعول أول، غثاء مفعول ثان منصوب، وأحوى نعت منصوب وقال الزمخشرى: ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى أى أخرجه من المرعى أسود من شدة الخضرة والرِّى فجعله غثاء بعد حُوَّته[1]، سنقرئك السين حرف استقبال، نقرئك فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به والفاء حرف عطف ولا نافية تنسى مضارع مرفوع وعبارة أبى السعود: "سنقرئك فلا تنسى: بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسوله ﷺ إثر بيان هداية الله العامة لكافة مخلوقاته وهى

(١) راجع إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش ص ٤٤٩ المجلد العاشر.

	هدايته عليه السلام لتلقى الوحى وحفظه القرآن وهدايته للناس أجمعين، إلا أداة حصر وما مفعول به تنسى والاستثناء منقطع وجملة شاء الله صلة الموصول ما، وجملة إنه يعلم الجهر وما يخفى الجملة تعليل لما قبله، إنَّ حرف توكيد ونصب والهاء ضمير فى محل نصب اسم إن، يعلم مضارع مرفوع وفاعله مستتر، الجهر مفعول به وما يخفى الواو عاطفة، ما اسم موصول مبنى فى محل نصب مفعول به، يخفى مضارع مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل مستتر جملة يخفى صلة الموصول.
وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ	ونيسرك الواو عاطفة، نيسرك مضارع مرفوع والفاعل مستتر والكاف ضمير في محل نصب مفعول به، لليسرى جار ومجرور متعلقان بنيسرك، فذكر الفاء هى الفصيحة إن شرطية، نفعت فعل ماض مبنى فى محل جزم فعل الشرط، والذكرى فاعل مرفوع بالضمة المقدرة، وجواب الشرط، محذوف دل عليه ما قبله، سيذكر السين حرف استقبال مَنْ اسم موصول فى محل رفع فاعل، يخشى مضارع مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل ضمير مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها، ويتجنبها مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة والهاء فى محل نصب مفعول به والجملة معطوفة على ما قبله، الأشقى فاعل مرفوع بالضمة المقدرة، الذى اسم موصول فى محل رفع نعت للأشقى وجملة يصلى لا محل لها لأنها صلة الذى وفاعل يصلى ضمير مستتر يعود على الأشقى والنار مفعول به والكبرى نعت منصوب بالفتحة المقدرة.

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾	ثم حرف عطف مبنى لا حرف نفى، يموت مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر، فيها جار ومجرور متعلقان بيموت ولا يحيى عطف على يموت والجملة معطوفة على ما سبق، قدْ حرف تحقيق مبنى على السكون، أفلح فعل ماض مبنى، مَنْ اسم موصول مبنى فى محل جر بالإضافة، فصلى الفاء عاطفة صلى فعل ماض مبنى والفاعل مستتر، بل حرف عطف مبنى على السكون، تؤثرون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والحياة مفعول به منصوب والدنيا نعت منصوب بالفتحة المقدرة، والآخرة الواو استئنافية الآخرة مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة، خير خبر مرفوع وأبقى معطوف مرفوع بالضمة المقدرة.
إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ	إنَّ حرف توكيد ونصب، هذا اسم إشارة مبنى فى محل نصب اسم إنَّ اللام لام التوكيد وفى حرف جر، الصحف اسم مجرور، الأولى نعت مجرور وشبه الجملة فى محل رفع خبر إن، صحف بدل مجرور، إبراهيم مضاف إليه مجرور بالفتحة ممنوع من الصرف علم أعجمى وموسى معطوف على إبراهيم.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على الكثير من صور البيان والبديع نذكر منها:

❖ الطباق فى قوله تعالى ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ وبين ﴿ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾.

❖ الجناس فى قوله تعالى ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ وهو جناس اشتقاق فى كل منهما.

❖ المقابلة بين ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ وبين ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾.

❖ حذف المفعول به لإفادة العموم فى قوله تعالى ﴿ خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ وفى قولة ﴿ قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ لأن المراد خلق كل شىء فهداه.

❖ السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

(٨٨) ســورة الغاشيــة

في رحاب السورة الكريمة

سورة كريمة مكية آياتها ست وعشرون نزلت بعد سورة الذاريات، تناولت أمرين هامين:

أولا: يوم القيامة وما فيه من أهوال وشدائد وما يلقاه الكافرون من بؤس وشقاء.

ثانيا: الأدلة والبراهين على وحدانية الله عز وجل وقدرته الباهرة في مخلوقاته العظيمة وكلها شواهد على وحدانية الله وجلال سلطانه

وختمت السورة الكريمة بالتذكير برجوع الناس جميعا إلى الله سبحانه للحساب والجزاء وقد سميت السورة بالغاشية للتذكير بما يغشى الكافرين من أهوال وشدائد يوم القيامة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى
مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ
(٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ
(١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ
خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ
(٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ
الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦) ﴾

معاني المفردات:

الغاشية: القيامة حيث تغشى الناس بأهوالها — خاشعة: ذليلة من الخزى

عاملة: تجر السلاسل والأغلال في النار — ناصبة: متعبة

تصلى نارا: تدخلها أو تقاسي حرها

عين آنية: بلغت أناها (غايتها) في الحرارة

ضريع: شيء في النار كالشوك مُرٌ منتن

لا يغني من جوع: لا يدفع عنهم جوعا ناعمة: ذات بهجة وحسن

لاغية: لغوا وباطلا سرر مرفوعة: رفيعة القدر

أكواب موضوعة: أقداح مُعدَّة للشراب نمارق: وسائد ومرافق

مصفوفة: بعضها إلى جانب بعض

زرابي مبثوثة: بُسُط فاخرة متفرقة في المجالس ينظرون: يتأملون

بمسيطر: بمتسلط جبار إيابهم: رجوعهم بالبعث

التفسير:

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴾ هل جاءك يا محمد خبر الداهية العظمى يوم القيامة التي تغشى الناس وتعمهم بشدائدها وأهوالها والاستفهام للتشويق وللتنبيه قال المفسرون: سُمِّيت غاشية لأنها تغشى الخلائق بأهوالها وشدائدها، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴾ أي وجوه في ذلك اليوم ذليلة خاضعة مهينة، ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ أي دائبة العمل فيما يتعبها ويشقيها في النار، قال المفسرون: هذه الآية في الكفار يتعبون ويشقون بسبب جر السلاسل والأغلال، وخوضهم في النار خوض الإبل في الوحل، وهذا جزاء تكبرهم وعنادهم في الدنيا وشركهم بالله تعالى ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ أي تدخل نارا مسعرة شديدة الحر قال ابن عباس: قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله[(١)] ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ أي تسقى من عين متناهية الحرارة وقد وصل حرها وغليانها درجة النهاية ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ أي ليس لأهل النار طعام إلا الضريع وهو نبت ذو شوك تسميه قريش (الشبرق) وهو أخبث طعام وأبشعه، قال تعالى في سورة الحاقة ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ ولا تنافس بينهما لأن العقاب ألوان والمعذبون أنواع فمنهم من يكون طعامه الزقوم ومنهم من يكون طعامه

---

(١) تفسير الخازن ٤/ ٢٣٧.

الضريع، ومنهم من يكون طعامه الغسلين وهكذا يتنوع العذاب، ﴿ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ أي لا يفيد القوة والسمن فى البدن، ولا يدفع الجوع عن آكله، قال أبو السعود: أي ليس من شأنه الإسمان والإشباع، كما هو شأن طعام الدنيا[1] ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ أى وجوه المؤمنين يوم القيامة ناعمة ذات بهجة وحسن، وإشراق ونضارة ﴿ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ أى لعملها الذى عملته فى الدنيا وطاعتها لله، راضية مطمئنة، لأن هذا العمل أورثها الفردوس دار المتقين، ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ أى فى حدائق وبساتين مرتفعة مكانا وقدرا، وهم في الغرفات آمنون ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ أى لا تسمع في الجنة سبابا أو فحشا قال ابن عباس: لا تسمع أذى ولا باطلا[2] ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ أى فيها عيون تجرى بالماء السلسبيل لا تنقطع أبدا قال الزمخشرى: التنوين "للتكثير أى عيون كثيرة تجرى مياهها"[3] ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ أى فى الجنة أسِرّة مرتفعة، مكللة بالزبرجد والياقوت عليها الحور العين فإذا أراد ولى الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له[4] ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ أى وأقداح موضوعة على حافات العيون، معدة لشرابهم لا تحتاج إلى من يملؤها ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ أى ووسائد — مخدات — قد صف بعضها إلى جانب بعض ليستندوا عليها ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ أى وفيها طنافس فاخرة، لها خمل رقيق مبسوطة فى أنحاء الجنة، ثم ذكر تعالى دلائل قدرته ووحدانيته فقال سبحانه ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ أى أفلا ينظر هؤلاء الناس نظر تفكر واعتبار إلى الإبل _ الجمال _ كيف خلقها الله خلقا عجيبا بديعا يدل على قدرة خالقها؟ ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ أى وإلى السماء البديعة المحكمة، كيف رفع الله بناءها، وأعلى سمكها بلا عمد ولا دعائم؟ ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ أى إلى الجبال الشاهقة كيف نصبت على الأرض نصبا ثابتا راسخا لا يتزلزل؟ ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾أى وإلى الأرض التى يعيشون عليها،

---

(١) تفسير أبى السعود ٢٥٩/٥.

(٢) تفسير الطبرى ١٠٤/٣٠.

(٣) روح المعانى ١١٥/٣٠.

(٤) مختصر ابن كثير ٦٣٣/٣.

كيف بسطت ومهدت حتى صارت شاسعة واسعة كرة أو قريبة من الكرة لمكانة عظمتها[1] قال ابن كثير: نبه الله تعالى الإنسان البدوى على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى يركبه، والسماء التى فوق رأسه، والجبل الذى تجاهه، والأرض التى تحته، على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الربُّ العظيم، الخالق المالك المتصرف الذى لا يستحق العبادة سواه[2] ثم قال تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ أى فعظهم يا محمد وخوفهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتفكرون فإنما أنت واعظ ومرشد ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ أى لست بمتسلط عليهم ولا قاهر لهم حتى تجبرهم على الإيمان ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾ أى لكن من أعرض عن الوعظ والتذكير وكفر بالله العلى القدير ﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ أى فيعذبه الله بنار جهنم الدائم قال القرطبى: وإنما قال الأكبر لأنهم عُذِّبوا فى الدنيا بالجوع، والقحط والأسر[3] ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ أى الينا رجوعهم بعد الموت ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا ﴾ أى ثم إن علينا وحدنا حسابهم وجزاءهم.

الإعراب:

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ	هل حرف استفهام مبنى على السكون ومعناه التشويق إلى استماع حديث الغاشية، وقال ابن خالويه هل بمعنى قد والمعنى قد أتاك، أتاك فعل ماض مبنى والكاف ضمير خطاب فى محل نصب مفعول به مقدم، وحديث فاعل مؤخر مرفوع، الغاشية مضاف إليه مجرور.
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ	وجوه مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة وساغ الابتداء بنكرة لوجود التنويع والوصف، يومئذ ظرف مضاف لمثله متعلق بخاشعة، خاشعة خبر مرفوع بالضمة الظاهرة.

(١) أثبت علماؤنا أن الأرض كروية كالإمام الفخر الرازى وأبى السعود والألوسى فليس فى القرآن ما يخالف الحقائق العلمية..

(٢) مختصر ابن كثير ٣/٦٣٤.

(٣) تفسير القرطبى ١٩/٣٧.

عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ	خبران آخران مرفوعان بالضمة الظاهرة، وقيل إنهما صفات والخبر هو جملة تصلى نارا حامية.
تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً	تصلى فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي، نارا مفعول به منصوب، حامية نعت منصوب، وعلى الرأي الثاني تكون الجملة في محل رفع خبر رابع. وقرئ بالضم "تُصلى" وتكون نارا مفعول به ثانيا ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي.
تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ	تُسقى فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي، من عين جار ومجرور متعلقان بتسقى، وآنية صفة العين.
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ	ليس فعل ماض ناقص مبني على الفتح لهم جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم طعام اسم ليس مؤخر إلا أداة استثناء تفيد الحصر من ضريع جار ومجرور في محل رفع نعت لطعام أو بدل منه ويجوز أن يكون في محل نصب على الاستثناء.
لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ	لا حرف نفي مبني يسمن مضارع مرفوع بالضمة ولا يغني معطوف على لا يسمن من جوع جار ومجرور والجملتان صفتان لضريع لا لطعام.
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ	وجوه مبتدأ مرفوع وساغ الابتداء بنكره للتنويع ويومئذ ظرف أضيف لمثله متعلق بناعمة وناعمة خبر مرفوع بالضمة الظاهرة لسعيها جار ومجرور متعلقان براضية وراضية خبر كان مرفوع.
فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً	في جنة خبر ثان لوجوه عالية نعت لجنة وجملة لا تسمع فيها لاغية صفة ثانية لجنة لا نافية تسمع مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت فيها جار ومجرور متعلقان بتسمع لاغيه مفعول به منصوب.

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ	الجملة نعت ثالث لجنة فيها جار مجرور فى محل رفع خبر مقدم عين مبتدأ مؤخر مرفوع جارية نعت لعين.
فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ	الجملة صفة رابعة لجنة ، فيها خبر مقدم، سُرُرٌ مبتدأ مؤخر وما بعدها عطف عليها.
أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ	الهمزة للاستفهام الإنكارى الفاء للعطف على مقدر يستحق المقام والتقدير أينكرون البعث فلا ينظرون لا نافية ينظرون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل إلى الإبل جار ومجرور متعلقان به وكيف اسم استفهام فى محل نصب حال خلقت فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هى.
وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ	الكلام معطوف على ما تقدم مماثل له فى الإعراب قال ابن خالوية عن الزمخشرى: "وروى عن هارون الرشيد أنه قرأ كيف سطحت بالتشديد والقراءة بتخفيفها لاجتماع الكافة عليها".
فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ	الفاء هى الفصيحة ذكر فعل أمر مبنى على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ومفعوله محذوف أى فذكرهم إنما كافة ومكفوفة أنت مبتدأ مذكر خبر مرفوع وجملة إنما أنت تعليلية للأمر ذكر ولست ليس واسمها عليهم متعلقان بمسيطر والباء حرف جر زائد ومسيطر مجرور بالباء لفظا منصوب محلا لأنه خبر ليس.

إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ	إلا أداة استثناء ومن مستثنى والاستثناء متصل من مفعول فذكر أو من الهاء فى عليهم وقيل الاستثناء منقطع وإلا بمعنى لكن ألغى عملها ومن مبتدأ خبره جملة فيعذبه وكلاهما جيد محتمل وجملة تولى صلة مَنْ لا محل لها من الإعراب وكفر فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر والجملة عطف على جملة الصلة وجملة إلا من تولى وكفر فى محل نصب على الاستثناء المنقطع الفاء فى فيعذبه رابطة لما فى الموصول من معنى الشرط يعذبه مضارع مرفوع والهاء فى محل نصب مفعول به الله فاعل مرفوع العذاب مفعول مطلق منصوب الأكبر نعت منصوب للعذاب.
إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم	إن حرف توكيد ونصب مبنى على الفتح إلينا جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم لإنَّ، إيابهم اسم إن منصوب مؤخر ثم حرف عطف مبنى على الفتح وما بعدها عطف على ما تقدم وبنفس الإعراب.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من صور البيان والبديع نذكر منها:

❖ المجاز المرسل فى قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴾ حيث أطلق الجزء وأراد الكل والمراد أصحاب الوجوه.

❖ الطباق في الحرف بين ﴿ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ و ﴿ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾.

❖ الجناس في قوله تعالى "فذكر..... مذكر" وبين "فيعذبه..... العذاب"

❖ أسلوب التشويق فى قوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴾.

❖ المقابلة بين وجوه الأبرار ووجوه الفجار فى قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾.

❖ السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(٨٩) ســورة الفجـــر

فى رحاب السورة الكريمة

سورة الفجر من السور المكية آياتها ثلاثون، نزلت بعد سورة الليل، تناولت ثلاثة أمور:

أولا: قصص بعض الأمم المكذبين لرسل الله كقوم عاد وثمود وفرعون وبيان ما حل بهم من العذاب والهلاك.

ثانيًا: بيان سنة الله تعالى فى ابتلاء العباد فى هذه الحياة بالخير والشر.

ثالثا: الآخرة وأهوالها وشدائدها، وانقسام الناس يوم القيامة، إلى سعداء وأشقياء وبيان مآل النفس الشريرة والنفس الكريمة المطمئنة.

سميت بسورة الفجر حيث أقسم الله عز وجل بضوء الصبح عند ظلمة الليل وبالليالى العشر المباركات من أول ذى الحجة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ
تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا
الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ
فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ
الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ
الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ
يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ
لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ
رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾

معانى المفردات:

ليال عشر: العشر الأولى من ذى الحجة	الشفع والوتر: يوم النحر ويوم عرفة
يَسْر: يمضى ويذهب	قسم لذى حجر: مقسم به لذى عقل
عاد: قوم هود، سُمُوا باسم أبيهم	إرم: اسم جدهم
ذات العماد: الأبنية المحكمة بالعمد	جابوا الصخر: قطعوه لشربهم وقوتهم
ذى الأوتاد: الجيوش التى تمسك ملكه	سوط عذاب: عذابا مؤلما
لبالمرصاد: يرقب أعمالهم ويجازيهم عليها	ابتلاه ربه: امتَحنه واختبره
فقدر عليه: فضيَّق، أو قتر	لا تحاضون: لا يحثُ بعضكم بعضا
حبا جما: كثيرا مع حرص وشره	دُكت الأرض: دُقت وكسرت
دكا دكا: دكا متتابعا	أنىَّ له الذكرى: من أين له منفعتها
لا يوثق: لا يُقيدُ بالسلاسل والأغلال.	

التفسير:

﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ يقسم الله عز وجل بضوء الصبح عند مطاردته ظلمة الليل، وبالليالى العشر المباركات من أول ذى الحجة، لأنها أيام الاشتغال بأعمال الحج[1] ثبت فى صحيح البخارى قول الرسول ﷺ "ما من أيام العمل الصالح أحبُ إلى الله فيهن من هذه الأيام _ يعنى عشر ذى الحجة _ قالوا: ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء" ﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾ ثم يقسم الله عز وجل بالزوج والفرد من كل شىء فكأنه تعالى أقسم بكل شىء، لأن الأشياء إما زوج وإما فرد، أو هو قسم بالخلق والخالق، فإن الله تعالى واحد "وتر" والمخلوقات ذكر وأنثى "شفع ووتر"[2] ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ أى وأقسم بالليل إذا يمضى بحركة الكون العجيبة، والتقييد بسريانه لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة، ﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴾ أى

---

(١) هذا قول الجمهور وهو مروى عن ابن عباس، وقيل هى العشر الأول من شهر رمضان لأن فيها ليلة القدر والأول هو الأرجح راجع صفوة التفاسير ص ١٧٢١.

(٢) هذا القول روى عن مجاهد وابن عباس، وروى عن ابن عباس أيضا أن الشفع يوم النحر لكونه العاشر والوتر يوم عرفة لكونه التاسع.

هل فيما ذكر من الأشياء قسم مقنع لذى لب وعقل؟ والاستفهام تقريرى لفخامة شأن الأمور المقسم بها، كأنه يقال: إنَّ هذا القسم عظيم عند ذوى الألباب، فمن كان ذا لب وعقل علم أن ما أقسم الله عز وجل به من هذه الأشياء فيها عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾؟ أى ألم يبلغك يا محمد ويصل إلى علمك، ماذا فعل الله بعاد وقوم هود؟ ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ أى عادا الأولى أهل إرم ذات البناء الرفيع، الذين كانوا يسكنون بالأحقاف بين عمان وحضرموت ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ أى تلك القبيلة التى لم يخلق الله مثلهم فى قوتهم وشدتهم وضخامة أجسامهم! والمقصود من ذلك تخويف أهل مكة بعاد، وكيف أهلكهم وكانوا أطول أعمارا وأشد قوة من كفار أهل مكة؟ قال ابن كثير: وهؤلاء عاد الأولى، وهم الذين بعث الله فيهم رسوله "هودا" عليه السلام فكذبوه وخالفوه، وكانوا عتاة متمردين جبارين، فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم، وجعلهم أحاديث وعبرا[1] ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ أى وكذلك ثمود الذين قطعوا صخر الجبال، ونحتوا بيوتا بوادى القرى، وكانت مساكنهم فى الحجر بين الحجاز وتبوك، قال المفسرون: أول من نحت الجبال والصخور والرخام قبيلة ثمود وكانوا لقوتهم يخرجون الصخور، وينقبون الجبال فيجعلونها بيوتا لأنفسهم، وقد بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة بوادى القرى[2] ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ أى وكذلك فرعون الطاغية الجبار، ذى الجنود والجموع والجيوش التى تؤيد ملكه، قال أبو السعود: وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التى يضربونها فى منازلهم أو لتعذيبه بالأوتاد[3] ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴾ أى أولئك المتجبرون "عاد وثمود وفرعون" الذين تمردوا وعتوا عن أمر ربهم وجاوزوا الحد فى الظلم والطغيان ﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ أى فأكثروا فى البلاد الظلم والجور والقتل وسائر المعاصى ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ أى فأنزل عليهم ربُّك ألوانا شديدة من العذاب بسبب إجرامهم وطغيانهم والمراد سبحانه وتعالى أنزل على كل طائفة نوعا من العذاب

---

(١) مختصر ابن كثير ٣/٦٣٦.

(٢) القرطبى ١٩/٤٨.

(٣) تفسير أبى السعود ٥/٢٦٢.

بسبب إجرامهم وطغيانهم والمراد سبحانه وتعالى صب على كل طائفة نوعا من العذاب فأهلكت عادا بالريح، وثمود بالصيحة، وفرعون وجنوده بالغرق، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ أي إنَّ ربَّك يا محمد ليرقب عمل الناس ويحصيه عليهم ويجازيهم به قال في التسهيل: المرصاد هو المكان الذي يترقب فيه الرصد، والمراد أنه تعالى رقيب على كل إنسان، وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار وفي ذلك تهديد لكفار قريش[1] ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ أي إذا اختبره وامتحنه ربه بالنعمة ﴿ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ ﴾ أي فأكرمه بالغنى واليسار، وجعله منعما في الدنيا بالبنين والجاه والسلطان ﴿ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾ أي فيقول: ربي أحسن إليَّ بما أعطاني من النعم التي أستحقها، ولم يعلم أن هذا ابتلاء له أيشكر أم يكفر؟ ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾ أي وأما إذا اختبره وامتحنه ربه بالفقر وتضييق الرزق، ﴿ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ أي فيقول غافلا عن الحكمة: إنَّ ربي أهانني بتضييقه الرزق عليَّ وذلك على وجه التشكي من الله وقلة الصبر، وكان الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر، ولهذا ردعه الله وزجره بقوله: ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ أي ليس الإكرام بالغنى، والإهانة بالفقر كما تظنون، بل الإكرام والإهانة بطاعة الله ومعصيته ولكنكم لا تعلمون ثم قال سبحانه ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ أي بل أنتم تفعلون ما هو شر من ذلك، وهو أنكم لا تكرمون اليتيم مع إكرام الله لكم بكثرة المال ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ أي ولا يحضُّ بعضكم بعضا على إطعام المحتاج وعون المساكين ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ أي وتأكلون الميراث أكلا شديدا، لا تسألون أمن حلال هو أم من حرام، قال في التسهيل: هو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره، لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيرا بل ينفرد به الرجال[2] ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ أي وتحبون المال حبا كثيرا مع الحرص والشره. وهذا ذم لهم لتكالبهم على المال وبخلهم بإنفاقه ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ والمعنى ارتدعوا أيها الغافلون وانزجروا عن ذلك فأمامكم

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١٩٧/٤.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١٩٨/٤.

أهوال عظيمة، في ذلك اليوم العظيم، حين تزلزل الأرض وتحرّك تحريكا متتابعا حيث ينهدم كل بناء عليها وينعدم ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ أي وجاء ربُّك يا محمد لفصل القضاء بين العباد، وجاءت الملائكة صفوفا متتابعة صفا بعد صف، قال في التسهيل: معناه ظهوره للخلق هنالك، وهذه الآية وأمثالها مما يجب الإيمان به من غير تكييف ولا تمثيل[1] وقال ابن كثير: قام الخلائق من قبورهم لربهم، وجاء ربك لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم محمد ﷺ، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا[2] ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ أي احضرت جهنم ليراها المجرمون وفي الحديث "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها"[3] ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ أي في ذلك اليوم الرهيب يتذكر كل إنسان عمله، ويقدم على تفريطه وعصيانه، ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ أي ومن أين يكون له الانتفاع بالذكرى وقد فات أوانها؟ ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ أي يقول نادما متحسرا: ياليتني قدمت عملا صالحا ينفعني في آخرتي لحياتي الباقية ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ أي ففي ذلك اليوم ليس أحد أشدَّ عذابا من تعذيب الله من عصاه، ﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ أي ولا يقيد أحد بالسلاسل والأغلال مثل تقييد الله للكافر الفاجر وهذا في حق الكافر الفاجر أما المؤمن الصادق فيقول سبحانه ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ أي يأيتها النفس الطاهرة الذكية المطمئنة بوعد الله لا يلحقها خوف ولا فزع، ارجعي إلى رضوان ربك وجنته راضية بما أعطاك الله من النعم، مرضية عنده بما قدَّمت من عمل، قال المفسرون: هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت، فيقال للمؤمن عند احتضاره تلك المقالة فادخلي في زمرة عبادي الصالحين وادخلي جنتي دار الأبرار الصالحين.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/١٩٧.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/١٩٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه مرفوعا عن عبد الله بن مسعود.

الإعراب:

وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ	الواو حرف قسم وجر، الفجر مقسم به مجرور والجار والمجرور متعلقان بأقسم، وليال الواو حرف عطف ليال معطوف مجرور على الفجر وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة المقدرة على الياء المحذوفة لإلتقاء الساكنين، وقد أشار ابن مالك إلى هذه القاعدة الهامة يقول: وكنى شبه مفاعلا، أو المفاعيل يمنع كافلا بكلمة ليالى ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، وعشر نعت مجرور بالكسرة.
وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ	الجملة معطوفة على ما فيها، وإذا ظرف متعلق بفعل القسم المحذوف، ويسر فعل مضارع مأخوذة من السُّرى وهو خاص بسير الليل والمعنى والليل حين يمضى، وقد حذف بعض القراء ياء يسر وقفا وأثبتوها وصلا وأثبتها بعضهم فى الحالين، وحذفها بعضهم فى الحالين لسقوطها فى خط المصحف وموافقة لرءوس الآيات[1].
هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ	هل اسم استفهام مبنى للتضخيم والتعظيم للأمور المقسم لها وفى ذلك خبر مقدم وقسم مبتدأ مؤخر ولذى حجر لذى جار ومجرور علامة الجر الياء وحجر مضاف إليه مجرور وشبه الجملة نعت، وعلى ذلك تكون هل وما فى حيِّزها جواب القسم وقيل هى للتقرير كقولك، ألم أنعم عليك إذا كنت أنعمت والجواب على هذا محذوف مضمر تقديره لنجازيَن كل أحد بما عمل.
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ	الهمزة للاستفهام التقريرى أى قد رأيت لأن المراد بالرؤيا هنا رؤية القلب وهى العلم، لم حرف نفى وجزم، تر مضارع مجزوم

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش ص ٤٦٨ المجلد العاشر.

ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ	علامة الجزم حذف حرف العلة، كيف اسم استفهام فى موضع نصب بفعل على أنه مصدر واختاره الزمخشرى وابن هشام، فعل فعل ماض مبنى ربك فاعل والضمير فى محل جر بالإضافة، بعاد جار ومجرور متعلقان بفعل إرم بدل أو عطف بيان من عاد قيل إن إرم بلدتهم أو أرضهم التى كانوا فيها، ذات نعت مجرور العماد مضاف إليه مجرور التى اسم موصول فى محل جر نعت ثان لإرم وجملة لم يخلق صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، مثلها نائب فاعل مرفوع والضمير فى محل جر بالإضافة، فى البلاد جار ومجرور متعلقان بيخلق.
وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ	الواو عاطفة، ثمود عطف على عاد والذين نعت لثمود وجملة جابوا الصخر فعل ماض والضمير فاعل والصخر مفعول به والجملة صلة الموصول بالواد جار ومجرور متعلقان بجابوا.
وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ	عطف على عاد وذى الأوتاد نعت لفرعون.
ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ	الذين إما إنها فى محل جر للمذكورين أو منصوب على الذم قال الزمخشرى: أحسن الوجوه فيه أن يكون فى محل نصب على الذم، ويجوز أن يكون مرفوعا على هم الذين طغوا أو مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون وجملة طغوا صلة الذين وفى البلاد متعلقان بطغوا، فأكثروا فعل ماض والواو فاعل، فيها جار ومجرور متعلقان بأكثروا، الفساد مفعول به والجملة معطوفة على ما قبلها.
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ	الفاء حرف عطف صب فعل ماض مبنى، عليهم جار ومجرور متعلقان بصب وربك فاعل سوط مفعول به، عذاب مضاف إليه مجرور.

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾	إنَّ حرف توكيد ونصب، ربَّك اسم إنَّ منصوب والكاف ضمير في محل جر بالإضافة، اللام هي المزحلقة وبالمرصاد جار ومجرور في محل رفع خبر إنَّ.
فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ	الفاء استئنافية، وأما حرف شرط وتفصيل، الإنسان مبتدأ مرفوع، إذا ظرف متعلق بيقول وما زائدة وجملة ابتلاه في محل جر بإضافة الظرف إليها، وربُّه فاعل مرفوع، فأكرمه عطف على ابتلاه، ونعمَّه معطوف على أكرمه، فيقول الفاء رابطة لما في أمَّا من معنى الشرط وجملة يقول في محل رفع خبر المبتدأ والتقدير "فأما الإنسان فقال ربِّي أكرمن" وقت الابتلاء، ربي مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة وياء المتكلم في محل جر بالإضافة وجملة أكرمن هي الخبر جملة فعلية في محل رفع، وحذفت الياء من أكرمن اختصارا.
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ	الجملة معطوفة على ماسبق وبنفس الإعراب.
كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ	كلا حرف ردع وزجر، بل حرف عطف يفيد الاضراب من قبيح إلى أقبح للترقي في ذمِّهم، لا نافية، تكرمون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، اليتيم مفعول به منصوب، ولا تحاضون عطف على لا تكرمون، على طعام جار ومجرور متعلقان بتحاضون والمسكين مضاف إليه مجرور.
وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا	عطف أيضا على ما سبق والتراث مفعول به، أكلا مفعول مطلق منصوب، ولما نعت منصوب، وتحبون المال حُبا جما عطف على ما سبق ومماثل للجملة السابقة في الإعراب.

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا	كلا حرف ردع وزجر، إذا ظرف متعلق بيتذكر، وجملة دكت الأرض فى محل جر بالإضافة للظرف، دُكت فعل ماض مبنى للمجهول، الأرض نائب فاعل مرفوع، دكا "مفعول مطلق منصوب، دكا" توكيد لفظى منصوب.
وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا	عطف، على ما تقدم، جاء فعل ماض، ربك فاعل والملك عطف على ربّك وصفا صفا حال أى مصطفين أو ذوى صفوف.
وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ	الواو عاطفة، وجئ فعل ماض مبنى للمجهول، بجهنم جار ومجرور فى محل رفع نائب فاعل، يومئذ ظرف مضاف لمثله وهو بدل من إذا وجملة يتذكر الإنسان لا محل لها لأنها جواب إذا وأنى الواو حالية وأنى اسم استفهام معناه النفى فى محل نصب ظرف مكان وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم وله متعلقان بما يعلق به الظرف، والذكرى مبتدأ مؤخر ولابد من تقدير حذف المضاف أى ومن أين له منفعة الذكرى، وإلا فبين يتذكر وأنى له الذكرى تناف وتناقض.
يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى	الجملة بدل اشتمال من جملة يتذكر أو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه يقول: عند تذكر فقيل يقول، ياليتنى يا حرف تنبيه والمنادى محذوف ليتنى ليت واسمها وقدمت خبرها جملة فعلية فى محل رفع، لحياتى جار ومجرور متعلقان بقدّمت وجملة النداء مقول القول.
فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ	الفاء عاطفة، ويومئذ ظرف مضاف لمثله متعلق بيعذب والتنوين عوض عن جملة تفيد ما تقدم من هول الموقف، ولا نافية، يعذب مضارع مبنى للمعلوم وعذابه مفعول مطلق والضمير فى عذابه يعود على الله عز وجل، وابن خالويه أعربها مفعول به، وأحدُ فاعل يعذب وقرئ يُعَذَّبُ بالبناء للمجهول فيكون أحد نائب فاعل والضمير فى عذابه يعود على الكافر وجملة ولا يوثق وثاقه أحد عطف على الجملة السابقة.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾	الجملة فى موضع نصب بقول محذوف أى يقول الله للمؤمن، يا حرف نداء، أية منادى نكرة مقصودة مبنى على الضم والهاء حرف تنبيه، النفس نعت مرفوع، المطمئنة نعت مرفوع للنفس، ارجعى فعل أمر مبنى على حذف النون الياء فاعل، وإلى ربك جار ومجرور متعلقان بارجعي، راضية مرضية حالان، فادخلى عطف على ارجعى وفى عبادى متعلقان بادخلى، ادخلى فى جنتى عطف أيضا أى انتظمى فى سلكهم وادخلى جنتى عطف على ما تقدم.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من صور البيان والبديع نذكر منها:

- الاستعارة اللطيفة الفائقة فى قوله تعالى ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ حيث شبه العذاب الشديد الذى نزل عليهم بسياط لاذعة تكوى جسد المعذب واستعمل الصَّب للإنزال.
- الطباق بين ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ فالشفع هو الزوج والوتر هو الفرد.
- الجناس فى قوله تعالى ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ وقوله ﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾ وهو جناس اشتقاق.
- الاستفهام فى قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ وغرضه التقرير.
- المقابلة بين قوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ وبين قوله تعالى ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ فالمقابلة بين أكرمن وأهانن وبين توسعة الرزق وتقتيره.
- الالتفات فى قوله تعالى ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ ففيه التفات من ضمير الغائب إلى الخطاب زيادة فى التوبيخ والعتاب والأصل ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ﴾.
- الإضافة للتشريف فى قوله تعالى ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾.

السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(٩٠) سـورة البلـد

في رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة نزلت بمكة المكرمة بعد سورة "ق" آياتها عشرون، وأهدافها نفس أهداف السُّور المكية من تثبيت العقيدة والإيمان والتركيز على الإيمان بالحساب والجزاء، ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالبلد الحرام الذى هو مسكن النبى ﷺ تعظيما لشأنه وتكريما لمقامه الرفيع، ثم تحدثت عن بعض كفار مكة الذين اغتروا بقوتهم، فعادوا الحق وكذبوا رسول الله ﷺ وأنفقوا أموالهم فى التباهى والتفاخر ظنا منهم أن إنفاق الأموال يدفع عنهم عذاب الله، ثم تناولت أهوال القيامة وشدائدها، وما يكون بين يدى الإنسان فى الآخرة من مصاعب وعقوبات لا يستطيع أن يقطعها ويجتازها إلا بالإيمان والعمل الصالح، ثم ختمت السورة الكريمة بالتفريق بين المؤمنين والكافرين فى ذلك اليوم العصيب وبينت حال السعداء ومصير الأشقياء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)
أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل
لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا
الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦)
ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ (٢٠) ﴾

معاني المفردات:

لا أقسم: أقسم ولا مزيدة   بهذا البلد: مكة المكرمة

حلٌّ بهذا البلد: حلال لك ما تصنع به يومئذ

كبد: نصب ومشقة أو مكابدة   مالا لبدا: كثيرا

النجدين: الطريقين طريق الخير وطريق الشر

فلا اقتحم العقبة: جاهد نفسه فى الطاعات

فك رقبة: تخلصها من الرق بالإعتاق

مسغبة: مجاعة   مقربة: قرابة فى النسب

متربة: فاقة شديدة   المشأمة: الشؤم

نار مؤصدة: مغلقة أبوابها

التفسير:

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ يقسم الله عز وجل بالبلد الحرام مكة المكرمة، التى شرفها الله تعالى بالبيت العتيق _ قبلةِ المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ومهبط الرحمات قال فى التسهيل: أراد بالبلد "مكة" باتفاق وأقسم بها تشريفا لها[1] ﴿ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ أى وأنت يا محمد ساكن ومقيم فى مكة بلد الله الأمين قال البيضاوى: "قسم بالبلد الحرام وقيَّده بحلوله عليه الصلاة والسلام فيه – أى إقامته فيه – إظهارا لمزيد من فضله وإشعارا بأن شرف المكان بشرف أهله"[2] ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ أى وأقسم بآدم وذريته الصالحين، قال الخازن: أقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها، وبآدم وذريته الصالحين، لأن الكافر _ وإن كان من ذريته _ لا حرمة له حتى يقسم به[3] ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ هذا هو المقسم عليه أى لقد خلقنا الإنسان فى تعب ومشقة، فإنه لا يزال يقاسى أنواع الشدائد، من وقت نفخ الروح فيه إلى حين نزعها منه، قال أبو السعود: والآية تسلية لرسول الله ﷺ مما كان يكابده من كفار مكة[4] ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ يخبر الله عز وجل عن طبيعة الإنسان الجاحد بقدرة الله والمكذب للبعث والنشور أى أيظن هذا الشقى المغتر بقوته أن الله

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/١٩٩.

(٢) البيضاوى ٣/٦٦٠.

(٣) تفسير الخازن ٤/٢٤٨.

(٤) تفسير أبى السعود ٥/٢٦٥.

تعالى لا يقدر عليه لشدته وقوته؟ قال المفسرون: نزلت في "أبي الأشد بن كلده"[١] كان شديدا مغترا بقوته ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ﴾ أي أنفقت مالا كثيرا في عداوة محمد ﷺ قال الألوسي: يقول ذلك فخرا ومباهاة على المؤمنين، وأراد بذلك ما أنفقه رياء وسمعة وعبر عن الإنفاق بالإهلاك، إظهارا لعدم الاكتراث وإظهارا لشدة عداوته لرسول الله ﷺ"[٢] ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ أي أيظن أن الله تعالى لم يره حين كان ينفق ويظن أن أعماله تخفى على ربِّ العباد؟ ليس الأمر كما يظن بل إنَّ الله تعالى رقيب مطلع عليه سيحاسبه على ذلك يوم القيامة ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ أي ألم نجعل له عينين يبصر بهما؟ ولسانا ينطق به؟ وشفتين يطبقهما على فمه ويستعين بهما على الأكل والشرب؟ وبيَّنا له طريقي الخير والشر، والهدى والضلال ليسلك بها طريق السعادة ويتجنب طريق الشقاوة. ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ أي فهلا أنفق ماله في اجتياز العقبة الكئود بدلا من أن ينفق ماله في عداوة رسول الله ﷺ، قال في البحر المحيط: والعقبة استعارة للعمل الشاق على النفس تشبيها له بعقبة الجبل وهو ما صعب منه وقت الصعود ومعنى اقتحمها دخلها بسرعة وشدة"[٣] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ أي وما أعلمك يا محمد ما اقتحام العقبة؟ وفيه تهويل لشأنها ثم فسَّرها سبحانه وتعالى بقوله: هي ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ أي عتق الرقبة من الرِّق في سبيل الله وتخليص صاحبها من الأسر والرِّق ﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴾ أو إطعام للفقير في يوم عصيب ذي مجاعة شديدة، قال الصاوي: وقيِّد الإطعام بيوم المجاعة لأن إخراج المال فيه أشدُّ على النفس"[٤] ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أي إطعام الطعام لليتيم الذي بينه وبينه قرابة أو المسكين الفقير البائس الذي قد لصق بالتراب من فقره وضُره وهو كناية عن شدة الفقر والبؤس، ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي عمل هذه القربات لوجه الله تعالى، وكان مع ذلك

---

(١) صفوة التفاسير للأستاذ محمد علي الصابوني ص ١٧٢٧.
(٢) الألوسي ١٣٦/٣٠.
(٣) تفسير البحر ٤٧٦/٨.
(٤) حاشية الصاوي على الجلالين ٣٢٢/٤.

مؤمنا صادق الإيمان، ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان وطاعة الرحمن، وبالمرحمة والشفقة على الضعفاء والمساكين، ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ أى إنَّ هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الحسنة هم أصحاب الجنة الذين يأخذون كتبهم بيمينهم ويسعدون بدخول جنات النعيم ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ قارن الله عز وجل بين الأبرار والفجار على طريقة القرآن الكريم فى الترغيب والترهيب، لبيان المفارقة الهائلة بين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشرار، أى والذين جحدوا بنبوة محمد ﷺ وكذبوا بالقرآن الكريم هم أهل الشمال _ أهل النار _ لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾ أى عليهم نار مطبقة عليهم مغلقة، لا يدخل فيها روح ولا ريحان، ولا يخرجون منها أبد الزمان، اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك يا ربَّ العالمين وأكرم الأكرمين[1].

الإعراب:

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ	لا مزيدة لتأكيد القسم، أقسم مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا يعود على الله عز وجل بهذا جار ومجرور متعلقان باقسم البلد بدل مجرور.
وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ	الواو حالية أنت ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، حل خبر مرفوع بالضمة الظاهرة والجملة فى محل نصب حال، بهذا البلد سبق أعرابها.
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ	عطف على القسم السابق والمراد بالوالد هو أدم عليه السلام كما سبق فى التفسير وما ولد المراد به الصالحون من ذرية أدم وما اسم موصول بمعنى الذى وجملة ولد جملة الصلة لا محل لها من الإعراب.
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ	الجملة جواب القسم، اللام واقعة فى الجواب قد حرف تحقيق

(1) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى ص ١٧٢٨.

فِي كَبَدٍ	مبني على السكون، خلقنا فعل ماض مبني ونا الفاعلين في محل رفع فاعل الإنسان مفعول به منصوب، في كبد جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب حال.
أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ	الهمزة للاستفهام الإنكاري، يحسب مضارع مرفوع والفاعل مستتر يعود على الإنسان، أن مخففة من الثقيله واسمها ضمير الشأن لن حرف نفي ونصب واستقبال يقدر مضارع منصوب بلن، عليه جار ومجرور متعلقان بيقدر، أحد فاعل ليقدر.
يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا	الجملة حالية أو استئنافية، يقول مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو أهلكت فعل ماض مبني والتاء تاء الفاعل مالا في محل نصب مقول القول لبدا نعت منصوب.
أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ	الهمزة للاستفهام الإنكاري، يحسب مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو أن مخففة من الثقيلة، لم حرف نفي وجزم علامة جزمه حذف حرف العلة والهاء ضمير مبني في محل نصب مفعول به مقدم، أحد فاعل مؤخر.
أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ	الهمزة للاستفهام التقريري، لم حرف نفي وجزم، نجعل مضارع مجزوم والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل، له جار ومجرور متعلقان بنجعل عينين مفعول به منصوب بالياء ولسانا معطوف منصوب، شفتين معطوف منصوب بالياء وهديناه فعل وفاعل ومفعول والجملة معطوفة على نجعل، النجدين مفعول به ثان منصوب بالياء.
فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ	الفاء عاطفة، لا نافية اقتحم فعل ماض مبني والفاعل ضمير مستتر تقديره هو العقبة مفعول به وما الواو اعتراضية، ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة أدراك هي الخبر في محل رفع ما استفهام في محل رفع خبره العقبة مرفوع والجملة الاسمية المعلقة بالاستفهام في محل نصب سدت مسد مفعول أدراك الثاني.

فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ	فك رقبة خبر لمبتدأ مضمر أى هو فك رقبة والتقدير ما هو اقتحام العقبة هو فك رقبة أو حرف عطف مبنى على السكون إطعام معطوف مرفوع على فك ، وقرئ فَكَّ رقبة فك فعل ماض وفاعله مستتر ورقبة مفعول به منصوب والجملة الفعلية عندئذ بدل من قوله اقتحم العقبة المنفي بلا فكأنه قيل فلا فك رقبة ولا إطعام فى يوم جار ومجرور متعلقان بإطعام ذى نعت ليوم مجرور بالياء ، مسغبة مضاف إليه بينما مفعول الاطعام استوفى شروط النصب على أنه مصدر ذا مقربة نعت ليتيما وذا متربة نعت لمسكينا.
ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ	ثم حرف عطف مبنى يفيد التراخى، كان فعل ماض مبنى واسمها ضمير مستتر من الذين خبر شبه جملة فى محل رفع وجملة آمنوا صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وتواصوا عطف على جملة الصلة داخل فى حيزها وبالصبر جار ومجرور متعلقان بتواصوا، وتواصوا بالمرحمة عطف أيضا.
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ	أولئك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، وأصحاب خبر والميمنة مضاف إليه مجرور والذين اسم موصول مبنى فى محل رفع مبتدأ وجملة كفروا صلة الموصول، بآياتنا جار ومجرور متعلقان يكفروا، وهم ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ أصحاب خبر مرفوع المشئمة مضاف إليه، عليهم جار، ومجرور فى محل رفع خبر مقدم ونار مبتدأ مؤخر، مؤصدة نعت لنار والجملة خبر ثان ولك أن تجعلها استئنافية[١].

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من صور البيان والبديع نذكر منها :

- الاستعارة فى قوله "وهديناه النجدين" أى طريق الخير والشر وأصل النجد الطريق المرتفع فاستعير كل منهما لسلوك طريق السعادة وسلوك طريق الشقاء.

---

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش المجلد العاشر ص ٤٩٠.

- كذلك الاستعارة فى قوله "فلا اقتحم العقبة" لأن أصل العقبة الطريق الوعر فى الجبل واستعيرت هنا للأعمال تصعب وتشق على النفوس ففيه استعارة بديعة.
- الجناس فى قوله "ووالد وما ولد" جناس اشتقاق فكل من الوالد والولد مشتق من الولادة وكذلك الجناس الناقص فى قوله "مقربة متربة".
- الاستفهام الإنكارى فى قوله "أيحسب أن لن يقدر عليه أحد" ومثله "أيحسب أن لم يراه أحد" والمراد بها التوبيخ كذلك الاستفهام فى قوله "وما أدراك ما العقبة" والغرض منها التهويل والتعظيم.
- فى قوله تعالى "لا أقسم بهذا البلد" فلا هنا لتأكيد الكلام بمعنى أقسم.
- المقابلة اللطيفة بين قوله تعالى "أولئك أصحاب الميمنه" وقوله تعالى "هم أصحاب المشأمه.

السجع الجميل غير المتكلف فى السورة بأكملها.

❖ ❖ ❖

(٩١) سورة الشمس

فى رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة مكية آياتها خمس عشرة نزلت بعد سورة القدر تناولت موضوعين أساسيين هما :

- موضوع النفس الإنسانية وما جبلت عليه من الخير والشر.
- موضوع الطغيان ممثلا فى ثمود الذين عقروا الناقة فأهلكهم الله ودمرهم.

بدأت السورة الكريمة بالقسم بسبعة أشياء من مخلوقات الله جل وعلا فأقسم تعالى بالشمس وضوئها الساطع وبالقمر وبالنهار وبالليل ثم ذكر تعالى قصة ثمود "قوم صالح حين كذبوا رسولهم فطغوا وبغوا فى الأرض وعقروا الناقة فأهلكهم الله عز وجل لطغيانهم وسميت السورة الكريمة بالشمس لأنه عز وجل أقسم بالشمس وضحاها في أول السورة بيانا لقدرته وعظمته فى إيجاد هذا الكون العظيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)
وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا
(٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا
(١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ
فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) ﴾

معانى المفردات:

ضحاها : ضوؤها إذا أشرقت

تلاها : تبعها فى الإضاءة

جلاها : أظهر الشمس للرائين

يغشاها : يغطيها بظلمته

طحاها : بسطها ووطأها | سواها : عدل أعضاءها وقواها
فجورها وتقواها : معصيتها وطاعتها | قد أفلح : فاز بالغنيمة
من زكاها : طهرها وأنماها بالتقوى | قد خاب : قد خسر
من دساها : نقصها وأخفاها بالفجور | طغواها : طغيانها وعدوانها
انبعث أشقاها : قام مسرعا لعقر الناقة | ناقة الله : احذروا عقرها
سقياها : نصيبها من الماء | فدمدم عليهم : أطلق العذاب عليهم
فسواها : عمهم بالدمدمة والإهلاك | عقباها : عاقبة هذه العقوبة

التفسير:

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ يقسم الله عز وجل بالشمس وضوئها الساطع إذا أنار الكون وبدد الظلام ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ ويقسم الله تعالى كذلك بالقمر إذا سطع مضيئا، وتبع الشمس طالعا بعد غروبها، قال المفسرون وذلك في النصف الأول من الشهر، إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور وكلمة القسم بالشمس أن العالم في وقت غياب الشمس عنهم كالأموات، فإذا ظهر الصبح وبزغت الشمس دبت فيهم الحياة وصار الأموات أحياء فانتشروا لأعمالهم وقت الضحوة، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ أى وأقسم بالنهار إذا جلا ظلمة الليل بضيائه، فكشفها بنوره، قال ابن كثير: إذا جلا البسيطة وأضاء الكون بنوره[١] ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾ أى ويقسم الله تعالى أيضا بالليل إذا غطى الكون بظلامه، ولفه بشبحه فالنهار يجلى المعمورة ويظهرها، والليل يغطيها ويسترها، قال الصاوى: وأتى بالفعل المضارع "يغشاها" ولم يقل "غشيها" مراعاة للتواصل[٢] ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ ويقسم الله تعالى كذلك بالقادر العظيم الذى بنى السماء وأحكم بناءها بلا عمد قال المفسرون: "ما" اسم موصول بمعنى "من" أى والسماء ومن بناها والمراد به الله رب العالمين، بدليل قوله بعده ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ كأنه قال والقادر العظيم الشأن الذى بناها فدل بناؤها وإحكامها على وجوده وكمال قدرته ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا

---

(١) مختصر ابن كثير ٦٤٤/٣.
(٢) حاشية الصاوى على الجلالين ٣٢١/٤.

طَحَنَهَا ﴾كذلك يقسم الله عز وجل بالأرض ومن بسطها من كل جانب، وجعلها ممتدة ممهدة، وصالحة لسكان الإنسان والحيوان وهذا لا ينافى كرويتها كما قال المفسرون، لأن الغرض من الآية الامتنان بجعل الأرض ممتدة واسعة، ميسرة للزراعة والفلاحة وسكن الإنسان[1] ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ أى وأقسم بالنفس البشرية والذى أنشأها وأبدعها وجعلها مستعدة لكمالها وذلك بتعديل أعضائها وقواها الظاهرة والباطنة ومن تمام تسويتها أن وهبها العقل الذى به تميز بين الخير والشر والتقوى والفجور ولهذا قال ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ والمعنى عرفها الله عز وجل الفجور والتقوى وما تميز به بين رشدها وضلالها قال ابن عباس: بين لها الخير والشر والطاعة والمعصية وعرفها ما تأتى وما تتقى قال المفسرون أقسم الله سبحانه بسبعة أشياء "الشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض والنفس البرية"[2] ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ هذا هو جواب القسم أى لقد فاز وأفلح من زكى نفسه لطاعة الله وطهرها من دنس المعاصى والآثام ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أى وقد خسر وخاب من حقر نفسه بالكفر والمعاصى وأوردها موارد الهلكة ثم ضرب الله عز وجل مثلا لمن طغى ولم يطهر نفسه من دنس الكفر والعصيان فذكر ثمود قوم صالح فقال سبحانه ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴾ أى كذبت نبيها لسبب طغيانها ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ أى حين انطلق اشقى القوم بسرعة ونشاط ليعقر الناقة قال ابن كثير اسمه "قدار بن سالف" الذى قال الله فيه "فنادوا أصحابهم فتعاطى فعقر وكان عزيزا شريفا فى قومه ورئيسا مطاعا فيهم وهو أشقى القبيلة"[3] ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ أى فقال لهم نبى الله صالح عليه السلام ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾ أى احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء واحذروا أيضا أن تمنعوها من سقياها أى شرابها ونصيبها من الماء كما قال تعالى "لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ أى فكذبوا نبيهم صالحا وقتلوا الناقة، ولم يلتفتوا إلى تحذيره ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ ﴾ أى فأهلكهم الله تعالى ودمرهم عن آخرهم بسبب إجرامهم وطغياناتهم، والدمدمة هلاك باستئصال

---

(١) انظر أقوال المفسرين فى إثبات كروية الأرض فى سورة لقمان.

(٢) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى ص ١٧٣١.

(٣) مختصر ابن كثير ٣/٦٤٥.

والمعنى أطبق عليهم العذاب فلم يفلت منهم أحد ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ أى فسوى بين القبيلة فى العذاب فلم يفلت منهم أحد لا صغير ولا كبير ولا غني ولا فقير ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ أى لا يخاف الله تعالى عاقبة إهلاكهم وتدميرهم كما يخاف الملوك والرؤساء عاقبة ما يفعلون لأنه سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل[1].

الإعراب:

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا	الواو حرف قسم وجر الشمس مقسم به مجرور والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف وضحاها عطف على الشمس والهاء ضمير مبنى فى محل جر بالإضافة.
وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا	والقمر معطوف أيضا على الشمس مجرور إذا لمجرد الظرفية متعلقة بفعل القسم المحذوف، وجملة تلاها الفعلية في محل جر بالإضافة للظرف.
وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا	الجملتان معطوفتان على ما تقدم وبنفس الاعراب.
وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا	عطف أيضا على ما تقدم "وما" فى الجمل الثلاث مصدرية أو بمعنى من وهى معطوفة على الاسم قبلها أو المصدر المنسبك منها ومن الفعل معطوف عليه[2].
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا	معطوف أيضا على ما تقدم والتنكير فى نفس الإرادة الجنس كأنه قال وواحدة من النفوس.
فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا	الفاء عاطفة ألهمها فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل والهاء ضمير فى محل نصب مفعول به أول فجورها مفعول به ثان منصوب وتقواها عطف على فجورها منصوب.

(١) صفوة التفاسير للأستاذ الصابونى ص ١٧٣٢.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش المجلد العاشر ص ٤٩٦.

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا	قد حرف تحقيق مبنى على السكون، أفلح فعل ماض مبنى على الفتح من اسم موصول مبنى فى محل رفع فاعل زكاها فعل ماض مبنى والهاء فى محل نصب مفعول به والفاعل مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.
وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا	الجملة معطوفة على ما سبق وبنفس الإعراب.
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ	كذبت فعل ماض مبنى والتاء للتأنيث، ثمود فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة بطغواها جار ومجرور والضمير فى محل جر بالإضافة والجار والمجرور متعلقان بكذبت.
إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا	إذا ظرف للزمن الماضى انبعث فعل ماض مبنى أشقاها فاعل مرفوع بضمة مقدرة والهاء فى محل جر بالإضافة وجملة انبعث فى محل جر بالإضافة للظرف.
فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا	الفاء عاطفة، قال فعل ماض مبنى لهم جار ومجرور متعلقان بقال رسول فاعل مرفوع ولفظ الجلالة مضاف إليه، ناقة مفعول به منصوب لفعل محذوف تقديره احذروا الله مضاف إليه وسقياها عطف على ناقة الله.
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا	الفاء عاطفة، كذبوه فعل وفاعل ومفعول، فعقروها عطف على فكذبوه فدمدم عطف أيضا، عليهم جار ومجرور متعلقان بدمدم ربهم فاعل بذنبهم جار ومجرور متعلقان بدمدم أيضا والباء سببية ذنبهم اسم مجرور فسواها عطف على دمدم ولا الواو عاطفة يخاف مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر يعود على الله عز وجل، عقباها مفعول به منصوب والهاء ضمير فى محل جر بالإضافة.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على الكثير من صور البيان والبديع نذكر منها:

- الطباق بين الشمس والقمر وبين النهار والليل وبين فجورها وتقواها والطباق يزيد المعنى وضوحا وجمالا.
- المقابلة بين النهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها وبين قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها.
- الإضافة للتكريم والتشريف فى قوله تعالى "ناقة الله" حيث نسبت إلى الله عز وجل تشريفا لأنها خرجت من حجر أصم معجزة لسيدنا صالح عليه السلام.
- التهويل والتفظيع فى قوله تعالى "فدمدم عليهم ربهم بذنبهم" فإن التعبير بالدمدمة يدل على شدة وهول العذاب.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة بأكملها.

❖ ❖ ❖

(٩١) سـورة الليـل

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها إحدى وعشرون نزلت بعد سورة الأعلى، تتحدث عن سعى الإنسان وكدحه فى الحياة. ثم نهايته إما إلى النعيم أو إلى الجحيم بدأت السورة الكريمة بالقسم بالليل إذا يغشى الدنيا بظلامه وبالنهار إذا أنار الكون بإشراقه وضيائه، وبالخالق العظيم الذى أوجد النوعين الذكر والأنثى، ثم أوضحت سبل السعادة فى الحياة وسبل الشقاء ونبهت إلى اغترار الناس بأموالهم التى جمعوها وهى لا تنفعهم يوم القيامة ثم حذرت أهل مكة من عذاب الله وانتقامه. ثم ختمت السورة بذكر نموذج للمؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى وجوه الخير والمقصود به هو "أبو بكر الصديق" رضى الله عنه حين اشترى بلالا وأعتقه فى سبيل الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۞ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۞ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۞ فَأَمَّا مَنۡ
أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ
بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۞ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۞ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۞ وَإِنَّ لَنَا
لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۞ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۞ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۞ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۞
وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۞ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۞ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۞ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ
رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۞ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۞ ﴾

معانى المفردات:

يغشى : يغطى الأشياء بظلمته	تجلى : ظهر بضوئه
لشتى : لمختلف	صدق بالحسنى : بالملة الحسنى وهى الإسلام
فسنيسره : فسنوفقه ونهديه	لليسرى : للخصلة المؤدية إلى اليسر

للعسرى: للخصلة المؤدية إلى العسر	ما يغنى عنه: ما يدفع عنه العذاب
تردى: هلك أو سقط فى النار	نارا تلظى: تتلهب وتحترق
لا يصلاها: لا يدخلها ولا يقاسى حرها	سيجنبها: سيبعد عنها
يتزكى: يتطهر من الذنوب	تجزى: تكافأ

التفسير:

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ يقسم الله عز وجل بالليل إذا غطى الكون بظلمته، وستر بشبحه الوجود ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ أى وأقسم سبحانه بالنهار إذا تجلى وانكشف وأنار العالم وأضاء الكون قال المفسرون: أقسم الله سبحانه بالليل لأنه سكن لكافة الخلق حيث يأوى الإنسان والحيوان إلى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم سبحانه بالنهار لأنه فيه حركة الخلق وسعيهم لاكتساب أرزاقهم ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ أى واقسم سبحانه كذلك بذاته وهو القادر العظيم الذى خلق صنفى الذكر والأنثى للتنبيه على أنه الخالق المبدع الحليم ﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾ هذا هو جواب القسم أى إن عملكم مختلف فمنكم تقى وصالح ومنكم شقى وطالح، ثم فسر ذلك سبحانه بقوله ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ أى فأما من أعطى ماله وأنفق ابتغاء وجه الله، واتقى ربه فكف عن محارم الله، قال ابن كثير: أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله فى أموره[1] ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ أى وصدق بالجنة التى أعدها الله للأبرار ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴾ أى فسنهيئه لعمل الخير ونسهل عليه الخصلة المؤدية لليسر، وهى فعل الطاعات وترك المحرمات ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴾ أى وأما من بخل بإنفاق المال فى وجوه الخير واستغنى عن عبادة ذلك الحلال ﴿ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ أى وكذب بالجنة ونعيمها ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴾ أى فسنهيئه للخصلة المؤدية للعسر وهى الحياة السيئة فى الدنيا والآخرة وهى طريق الشر قال المفسرون: سمى طريق الخير يُسْرَى لأن عاقبتها اليسر وهو دخول الجنة وسمى طريق الشر عُسْرَى لأن عاقبتها العسر وهو دخول الجحيم ﴿ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾ على سبيل الإنكار أى وأى شىء نفعه

---

(١) مختصر بن كثير ٦٤٦/٣.

ماله إذا هلك وهوى فى نار جهنم؟ فهل ينفعه المال. ويدفع عنه الوبال؟ ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ أى إن علينا أن نبين للناس طريق الهدى من طريق الضلالة ونوضح سبيل الرشد من سبيل الغى، ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾ أى لنا ما فى الدنيا والآخرة، فمن طلبها من غير الله فقد أخطأ الطريق ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ أى فحذرتكم يا أهل مكة نارا تتوقد وتتوهج من شدة حرارتها ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ أى لا يدخلها للخلود فيها ولا يذوق سعيرها إلا الكافر الشقى ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أى كذب الرسول وأعرض عن الإيمان ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾أى وسيبعد عنها التقى النقى المبالغ فى اجتناب الشرك والمعاصى ثم فسر ذلك سبحانه بقوله ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ أى الذى ينفق ماله فى وجوه الخير ليزكى نفسه ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾ أى وليس لأحد عنده نعمة حتى يكافئه عليها وإنما ينفق لوجه الله تعالى قال المفسرون: نزلت الآيات فى حق "أبى بكر الصديق" فقد رضى الله عنه حين اشترى بلالا وأعتقه فى سبيل الله فقال المشركون: إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزلت ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾ أى ليس له غاية إلا مرضاة الله عز وجل ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ أى ولسوف يعطيه الله فى الآخرة ما يرضيه وهو وعد كريم من رب رحيم.

الإعراب:

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ	الواو حرف قسم وجر، الليل مقسم به مجرور. والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره أقسم، إذا ظرف لمجرد الظرفية المجردة عن الشرط وهو متعلق بفعل القسم وجملة يغشى فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة وفاعله ضمير مستتر والجملة فى محل جر بالإضافة للظرف.
وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ	الجملة معطوفة على ما سبق وبنفس الإعراب.
وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ	الواو عاطفة، ما مصدرية أو موصولة والجملة عطف أيضا على ما تقدم.
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ	جواب القسم، إن حرف توكيد ونصب مبنى على الفتح سعيكم

	اسم إن منصوب والضمير فى محل جر لشتى اللام هى المزحلقة وشتى خبر إن مرفوع بالضمة المقدرة.
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ	الفاء استئنافيه، أما حرف شرط وتفصيل من اسم موصول مبتدأ فى محل رفع وجملة أعطى صلة الموصول لا محل لها من الإعراب واتقى عطف على أعطى.
وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ	الفاء رابطة لجواب الشرط والسين حرف يدل على الزمن المستقبل، نيسره فعل مضارع وفاعله مستتر والهاء ضمير فى محل نصب مفعول به لليسرى جار ومجرور متعلقان بنيسره.
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ	عطف على ما سبق.
وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ	الواو عاطفة ما نفية يغنى مضارع مرفوع بالضمة المقدرة ويجوز أن تكون ما نافية فى معنى الإنكار فى محل نصب مفعول مطلق ليغنى والتقدير "أى إننا نغنى" والبعض يعربها مفعول مقدما ويقدر أى شىء يغنى عنه جار ومجرور متعلقان بيغنى وجملة تردى فى محل جر بإضافة الظرف إليها[1].
إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ	إن حرف توكيد ونصب علينا جار ومجرور فى محل رفع خبر إن مقدر، واللام للتأكيد والهدى اسم إن مؤخر منصوب بفتحة مقدرة.
وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ	الواو عاطفة والجملة بعدها معطوفة على ما سبق ومماثلة لها فى الإعراب.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيان المجلد العاشر ص ٥٠٢ لمحيى الدين الدرويش.

فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ	الفاء عاطفة أنذرتكم فعل وفاعل ومفعول نارا مفعول به ثان منصوب، تلظى فعل مضارع والأصل تتلظى والفاعل مستتر تقديره هي والجملة فى محل نصب نعت.
لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى	لا نافية، يصلاها فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، الهاء ضمير فى محل نصب مفعول به إلا أداة استثناء للحصر والأشقى فاعل مرفوع بالضمة المقدرة.
ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ	الذى اسم موصول فى محل رفع نعت للأشقى وجملة كذب صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وتولى عطف على كذب.
وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ	الواو عاطفة، السين حرف يدل على الاستقبال، يجنبها فعل مضارع والهاء ضمير فى محل نصب مفعول به مقدم، الأتقى فاعل مؤخر الذى اسم موصول فى محل رفع نعت للأتقى، يؤتى مضارع مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل ضمير مستتر والجملة إما إنها بدل من يؤتى فتكون لا محل لها من الإعراب لأنها داخلة فى حيز الصلة وإما فى محل نصب حال من فاعل يؤتى أى متزكيا.
وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ	الواو حرف عطف، ما نافية، لأحد جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، عنده ظرف متعلق بمحذوف حال، من حرف جر زائد، نعمة اسم مجرور لفظا مرفوع محلا على أنه مبتدأ وتجزى جملة فعلية فى محل جر نعت لنعمة.
إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ	إلا أداة استثناء بمعنى ولكن ابتغاء مستثنى من غير الجنس لأنه منقطع لأن ابتغاء وجه ربه ليس من غير جنس النعمة أى ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، والأحسن إعراب ابتغاء مفعول لأجله منصوب لأن المعنى لا يؤتى ماله إلا لابتغاء وجه ربه.

وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ	الواو عاطفة، اللام جواب قسم مضمر أى والله لسوف يرضى، سوف حرف تسويف، يرضى فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من صور البيان والبديع نذكر منها :

- الطباق بين "الأشقى والأتقى" وبين "اليسرى والعسرى"
- المقابلة اللطيفة بين قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ وبين قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ .
- جناس الاشتقاق فى قوله تعالى ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ لأن اليسر من التيسير فيها جناس اشتقاق.
- حذف المفعول للتعميم ليذهب مذهب السامع كل مذهب فى قولة تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ .
- السجع الرصين غير المتكلف فى قوله تعالى ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ وقولة تعالى ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾.

❖ ❖ ❖

(٩٣) سورة الضحى

في رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة آياتها إحدى عشرة مكية نزلت بعد سورة الفجر تناولت شخصية الرسول ﷺ وما حباه الله من الفضل والإنعام فى الدنيا وفى الآخرة بدأت بالقسم على جلال قدر الرسول ﷺ وأن ربه لم يهجره ولم يبغضه كما زعم المشركون بل هو عند الله رفيع القدر ثم بشرته العطاء العظيم فى الآخرة، ثم ذكرته بما كان عليه فى الصغر من اليتم والفقر فآواه ربه فأغناه وأحاطه برعايته وعنايته ثم ختمت السورة الكريمة بالوصايا العظيمة مقابل تلك النعم "فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث" وقد سميت السورة بسورة الضحى حيث أقسم سبحانه وتعالى بالضحى وهو آية كونية عظيمة دليل على قدرة المولى عز وجل.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾

معانى المفردات:

الضحى: وقت ارتفاع الشمس

سجى: اشتد ظلامه

ما ودعك ربك: ما تركك منذ اختيارك

ما قلى: ما أبغضك منذ أحبك

يجدك: يعلمك

فآوى: فضمك إلى من يرعاك

ضالا: غافلا عن تفاصيل الشريعة

عائلا: فقيرا

فلا تقهر: فلا تحقره ولا تغلبه على ماله ولا تستذله

فلا تنهر: فلا تزجره وارفق به

التفسير:

﴿ وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ يقسم الله سبحانه وتعالى بوقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس ويقسم سبحانه وتعالى كذلك بالليل إذا اشتد ظلامه، قال ابن كثير: هذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء، وبالليل إذا سكن فأظلم وادلهم وذلك دليل ظاهر على قدرة الله تعالى[1] ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ أى ما تركك ربك يا محمد منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك، وهذا رد على المشركين حين قالوا هجره ربه وهو جواب القسم ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ أى للدار الآخرة خير لك يا محمد من هذه الحياة الدنيا لأن الآخرة باقية والدنيا فانية ولهذا كان عليه السلام يقول: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ أى سوف يعطيك ربك فى الآخرة من الثواب والكرامة والشفاعة وغير ذلك إلى أن ترضى وفى الحديث الشريف "لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعتى لأمتى يوم القيامة"[2] قال الخازن والأولى حمل الآية على ظاهرها ليشمل خيرى الدنيا والآخرة معا، فقد أعطاه الله تعالى فى الدنيا النصر والظفر على الأعداء، وكثرة الأتباع والفتوح وأعلى دينه، وجعل أمته خير الأمم وأعطاه فى الآخرة الشفاعة العامة والمقام المحمود وغير ذلك من خيرى الدنيا والآخرة[3] ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ أى ألم تكن يا محمد يتيما فى صغرك فأواك الله إلى عمك أبى طالب وضمك إليه؟ قال ابن كثير وذلك أن أباه توفى وهو حمل فى بطن أمه ثم توفيت أمه وله من العمر ست سنوات، ثم كان فى كفالة جده "عبد المطلب" إلى أن توفى وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره حتى بعثه الله على رأس الأربعين وأبو طالب على عبادة الأوثان مثل قومه ومع ذلك كان يدفع الأذى عن الرسول ﷺ وكل هذا حفظ الله له[4] ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ أى ووجدك تائها عن معرفة الشريعة

---

(١) مختصر ابن كثير ٣/٦٤٩.

(٢) أخرجه الشيخان.

(٣) تفسير الخازن ٤/٢٦٠.

(٤) تفسير الجلالين ٤/٢٦٠.

والدين فهداك إليها قال الإمام الجلال: أى ووجدك ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة فهداك إليها ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ أى ووجدك فقيرا محتاجا فأغناك عن الخلق بما يسر لك من أسباب التجارة ثم أوصاه الله عز وجل بثلاث وصايا فقال سبحانه ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ أى فأما اليتيم فلا تحقره ولا تغلبه على ماله والمراد كن لليتيم كالأب الرحيم، فقد كنت يتيما فأواك الله ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ أى وأما السائل المستجدى الذى يسأل عن حاجة وفقر فلا تزجره ولا تغلظ له القول بل أعطه أو رده ردا جميلا ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ أى حدث الناس بفضل الله وإنعامه عليك، فإن التحدث بالنعمة شكر لها قال الألوسى: كنت يتيما وضالا وعائلا، فأواك الله وهداك وأغناك فلا تنس نعمة الله عليك فى هذه الثلاث فتعطف على اليتيم وترحم السائل وترشد عباد الله إلى طريق الرشاد كما هداك ربك[1].

الإعراب:

وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ	الواو حرف قسم وجر الضحى مقسم به مجرور والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف، والليل معطوف على الضحى، إذا ظرف لمجرد الظرفية متعلق بفعل القسم سجى فعل ماض مبنى وفاعله مستتر والجملة فى محل جر بالإضافة للظرف.
مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ	ما حرف نفى مبنى على السكون وهو جواب القسم والجملة لا محل لها من الإعراب وودعك فعل ماض ومفعول به، ربك فاعل مرفوع والكاف ضمير فى محل جر وما قلى عطف على ما ودعك.
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ	الواو عاطفة واللام لام الابتداء وهى مؤكدة لمضمون الجملة، والآخرة مبتدأ مرفوع، خير خبر مرفوع لك جار ومجرور متعلقان بخير. من الأولى جار ومجرور متعلقان بخير أيضا.

(١) تفسير الألوسى ٣٠/١٦٤.

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ	الواو عاطفة اللام لام الابتداء وهى مؤكدة لمضمون الجملة، وجملة ولسوف يعطيك ربك خبر لمبتدأ محذوف تقديره أنت، ولم تكن الواو للقسم لأنها لا تدخل إلا على الجملة المكونة من المبتدأ والخبر وسوف حرف استقبال، يعطيك مضارع مرفوع والكاف ضمير فى محل نصب مفعول به مقدم، ربك فاعل مؤخر والكاف فى محل جر مضاف إليه فترضى: الفاء عاطفة، ترضى فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة معطوف على يعطيك.
أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ	الهمزة للاستفهام التقريرى، ولم حرف نفى وجزم والكاف ضمير فى محل نصب مفعول به أول ويتيما مفعول به ثان، الفاء حرف عطف آوى فعل ماض معطوف على يجدك أى وجدك، ويجوز أن يكون الوجود بمعنى المصادفة لا معنى العلم فتكون الكاف مفعول به ويتيما حال من المفعول به ووجدك ضالا فهدى الجملة معطوفة على ما قبلها وضالا مفعول به ثان أو حال كما سبق ووجدك عائلا نفس الإعراب السابق فأغنى الفاء عاطفة، أغنى فعل ماض مبنى وفاعله مستتر والجملة معطوفة أيضا على ما قبلها.
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ	الفاء هى الفصيحة، أما حرف شرط وتفصيل اليتيم مفعول به مقدم لتقهر، الفاء رابطة لجواب الشرط لا ناهية تقهر مضارع مجزوم بلا الناهية وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت أى لا تقهره.
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ	الجملة معطوفة على ما قبلها وبنفس الإعراب.
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ	معطوفة أيضا على ما سبق، بنعمة جار ومجرور متعلقان بحدث الفاء فى حدث بمثابة الزائدة، حدث فعل أمر مبنى وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت.

من أسباب النزول

روى البخاري عن أحمد بن يونس عن زهير عن الأسود أن امرأة من قريش قالت للنبي ﷺ ما أرى شيطانك إلا ودعك فنزل قول الله عز وجل ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ رواه مسلم عن محمد بن رافع عن يحيى بن آدم عن زهير.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على الكثير من صور البيان والبديع نذكر منها:

❖ الطباق بين "الآخرة والأولى" لأن المراد بالأولى الدنيا وبالآخرة يوم القيامة.

❖ المقابلة اللطيفة بين قوله تعالى ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ وبين قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾.

❖ الجناس الناقص بين "تقهر... تنهر" لتغير الحرف الثاني من الكلمتين.

❖ السجع الجميل غير المتكلف كما في قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ﴾.

❖ ❖ ❖

(٩٤) سـورة الشـرح

فى رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة آياتها ثمان، نزلت بعد سورة الضحى، تتحدث عن مكانة الرسول ﷺ وقد تحدثت عن نعم الله العديدة على عبده ورسوله محمد ﷺ تشرح صدره بالإيمان وتنور قلبه بالحكمة والعرفان وعن رفع مكانته ومنزلته العظيمة عند الله، كما دعته إلى تحمل إيذاء الكفرة والمشركين، وقرب النصر على الأعداء وانفراج العسر: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ وختمت السورة الكريمة بالتذكر بوجوب التفرغ لعبادة الله بعد الانتهاء من تبليغ الرسالة وقد سميت بسورة الشرح، حيث ذكرت الرسول ﷺ بحادثة شق الصدر لإخراج حظ الشيطان منه وتطهيره ليكون مستعدا لاستقبال الرسالة الخالدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾

معاني المفردات:

نشرح لك صدرك: نفسح ونوسع لك — وضعنا عنك: خففنا عنك

وزرك: ثقل أعباء النبوة — أنقض ظهرك: أثقله وأوهنه

فإذا فرغت: من العبادة — فانصب: فاجتهد فى عبادة أخرى

فارغب: فاجعل رغبتك

التفسير:

لقد بدأت السورة الكريمة بقول الله عز وجل ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ استفهام بمعنى التقرير أى لقد شرحنا لك يا محمد صدرك بالهدى والإيمان، ونور القرآن،

قال ابن كثير: أى نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا، واسعا وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحا سمحا سهلا، لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق[1] وقال أبو حيان: شرح الصدر تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقى ما يوحى إليه وهو قول الجمهور، وقيل هو شق جبريل لصدره فى الصغر وهو مروى عن ابن عباس[2] ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ أى حططنا عنك حملك الثقيل ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أى الذى أثقل وأوهن ظهرك قال المفسرون: المراد بالوزر الأمور التى فعلها ﷺ ووضعها عنه غفرانها له كقوله تعالى "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر"[3] وليس المراد بالذنوب المعاصى والآثام، فإن الرسل معصومون من مقارفة الجرائم، ولكن ما فعله عليه السلام عن اجتهاد وعوتب عليه، كإذنه ﷺ للمنافقين فى التخلف عن الجهاد حين اعتذروا، وأخذه الفداء من أسرى بدر، وعبسه فى وجه الأعمى ونحو ذلك[4] ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أى رفعنا شأنك وأعلينا مقامك فى الدنيا والآخرة وجعلنا اسمك مقرونا باسمى قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معى وقال قتادة: رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا وينادى أشهد إن لا إله إلا الله محمد رسول الله قال فى البحر المحيط: قرن الله ذكر الرسول بذكره جل وعلا فى كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب وفى غير موضع من القرآن وأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به[5] ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ أى بعد الضيق يأتى الفرج وبعد الشدة يكون المخرج قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ فى مكة فى ضيق وشدة هو وأصحابه بسبب أذى المشركين للرسول والمؤمنين فوعده الله باليسر كما عدد عليه النعم فى أول السورة تسلية وتأنيسا له ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ أى سيأتى الفرج بعد الضيق واليسر بعد العسر فلا تحزن ولا تضجر وفى الحديث "لن يغلب عسر يسرا"[6] ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾ أى إذا فرغت يا محمد من

---

(١) مختصر ابن كثير ٣/٦٥٢.

(٢) تفسير البحر المحيط ٨/٤٨٧ والرواية التى أشير إليها فى صحيح مسلم.

(٣) الآية الثالثة سورة الفتح.

(٤) صفوة التفاسير ص ١٧٤.

(٥) تفسير البحر المحيط ٨/٤٨٨.

(٦) أخرجه الحاكم والبيهقى.

دعوة الخلق، فاجتهد فى عبادة الخالق، وإذا انتهيت من أمور الدنيا فانصب بنفسك فى طلب الآخرة ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾ أى أجعل همك ورغبتك فيما عند الله لا فى هذه الدنيا الفانية.

الإعراب:

أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ	الهمزة للاستفهام التقريرى، لم حرف نفى وجزم وقلب، نشرح مضارع مجزوم علامة جزمه السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن يعود على الله عز وجل لكَ جار ومجرور متعلقان بنشرح، صدرك مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة، والكاف ضمير خطاب فى محل جر بالإضافة.
وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ	الواو عاطفة، وضعنا فعل ماض مبنى على السكون، نا الفاعلين فى محل رفع فاعل عنك جار ومجرور متعلقان بوضعنا، وزرك مفعول به منصوب والكاف ضمير خطاب فى محل جر بالإضافة.
ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ	الذى اسم موصول مبنى نعت لوزرك، أنقض فعل ماض وفاعله مستتر ظهرك مفعول به منصوب وجملة أنقض صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.
وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ	الجملة معطوف على ما سبق وبنفس الإعراب وتقديم الجار والمجرور على المفعول به الصريح مع أن حقه التأخير لتعجيل المسرة والتشويق لرسول الله ﷺ.
فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا	الفاء عاطفة، إن حرف توكيد ونصب، مع ظرف منصوب العسر مضاف إليه مجرور، يسرا اسم إن مؤخر منصوب والجملة معطوف على كلام محذوف لابد من تقديره وهو "خولناك ما خولناك فلا يحزنك الناس فإن مع العسر يسرا".

إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا	الجملة مستأنفة لتقرير أن العسر متبوع بيسر والألف واللام فى العسر لتعريف الجنس وفى الثانى للعهد، والجملة كلها تأكيد لفظى للجملة السابقة لها.
فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ	الفاء إما عاطفة على مقدر تستحق المقام أو استئنافية كأنها جواب لسؤال نشأ وهو ماذا بعد الشكر والعبادة والاجتهاد فيهما فقال: فإذا فرغت فانصب إذا ظرف للزمان المستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب، وجملة فرغت فى محل جر بالإضافة للظرف، فانصب الفاء رابطة انصب فعل أمر مبنى وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط.
وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب	الواو عاطفة إلى ربك جار ومجرور متعلقان بارغب، ارغب فعل أمر مبنى وفاعله مستتر تقديره أنت.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الاستعارة التمثيلية فى قوله تعالى ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ حيث شبه الذنوب بحمل ثقيل يرهق كاهل الإنسان ويعجز عن حمله، والمراد منها عصمته ﷺ من الوزر حيث لا وزر، فشبَّه حاله وهو ينوء تحت ما يتخيله وزرا وليس بوزر بحال من أذاه الحمل الثقيل وبرح به الجهد والحر اللافح فهو يمشى مكدودا مجهدا فوضع الوزر هنا كناية عن عصمته وتطهيره ﷺ من دنس الأوزار" راجع التفسير.
- الجناس الناقص بين لفظ "يسرا... العسر".
- التذكير للتفخيم والتعظيم فى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ تذكير بنعمة الله على الرسول ﷺ.
- كذلك التذكير للتفخيم والتعظيم فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ حيث ذكر اليسر للتعظيم وكأنه يسر كبير وتكرار الجملة لتقرير معناها فى النفوس وتمكينها من القلوب.

السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

(٩٥) سـورة التيـن

فى رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة مكية آياتها ثمان نزلت بعد سورة البروج تعالج موضوعين هامين هما :

أولا : تكريم الله عز وجل للنوع البشرى.

ثانيا : موضوع الإيمان بالحساب والجزاء.

بدأت السورة الكريمة بالقسم بالبقاع المقدسة والأماكن المشرفة التى خصها الله تعالى بإنزال الوحى فيها على أنبيائه ورسله وهى "بيت المقدس" "وجبل الطور" بسيناء و "مكة المكرمة" ثم وبخت الكافرين على شركهم وإنكارهم للبعث والنشور، وختمت ببيان عدل الله تعالى بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾

معاني المفردات:

التين والزيتون : منبتها من الأرض المباركة   طور سينين : جبل المناجاة

البلد الأمين : مكة المكرمة

أحسن تقويم : أعدل قامة وأحسن صورة

اسفل سافلين : إلى الهرم وأرذل العمر

غير ممنون : غير مقطوع عنهم بالدين والجزاء

التفسير:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ هذا قسم من الله عز وجل أى أقسم بالتين والزيتون لبركتهما وعظيم نفعهما قال ابن عباس "هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت"[١] وقال عكرمة: أقسم تعالى بمنابت التين والزيتون فالتين ينبت كثيرا بدمشق، والزيتون بيت المقدس.. وهو الأظهر"[٢] ويدل عليه أن الله تعالى عطف عليه بالأماكن "جبل الطور" والبلد الأمين "مكة المكرمة" فيكون قَسَمٌ بالبقاع المقدسة التى شرفها الله تعالى بالوحى والرسالات السماوية ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ أى وأقسم بالجبل المبارك، الذى كلم الله عليه موسى وهو طور سيناء ذو الشجر الكثير الحسن المبارك قال الخازن: سمى "سينين" و "سيناء" لحسنه وكونه مباركا وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سنين وسيناء[٣] ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ أى وأقسم بالبلد الأمين "مكة المكرمة" التى يأمن فيها من دخلها على نفسه وماله كقوله تعالى "أو لم يروا أنا جعلنا حرما أمنا ويتخطف الناس من حولهم"[٤] قال الألوسى والغرض من القسم بتلك الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة ببعثه الأنبياء والمرسلين وقال ابن كثير "ذهب بعض الأئمة إلى أن هذه الأماكن قد بعث الله فى كل منها نبيا مرسلاً من أولى العزم من الرسل أصحاب الشرائع الكبار فالأول محله التين والزيتون وهى "بيت المقدس" بعث الله فيها عيسى عليه السلام ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ حيث كلم الله تعالى موسى عليه السلام والبلد الأمين الذى من دخله كان آمنا وهو الذى بعث فيه خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ[٥] وجواب القسم قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ أى خلقنا الجنس البشرى فى أحسن شكل، متصفا بأحسن وأكمل الصفات من حسن الصورة وانتصاب القامة وتناسب الأعضاء مزينا بالعلم والفهم والعقل والتميز قال مجاهد: أحسن تقويم أحسن صورة وأبدع خلق[٦] ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ أى ثم

---

(١) القرطبى ١١٠/١٩.

(٢) البحر المحيط ٤٨٩/٨.

(٣) تفسير الخازن ٢٦٦/٤.

(٤) الآية (٦٧) سورة العنكبوت.

(٥) روح المعانى ١٧٣/٣٠.

(٦) تفسير الطبرى ١٥٦/٣٠.

أنزلنا درجته إلى أسفل سافلين لعدم قيامه بموجب ما خلقناه عليه فلذلك سنرده إلى أسفل سافلين وهى جهنم قال مجاهد والحسن "أسفل سافلين" أسفل درجات النار وقال الضّحاك: أى رددناه إلى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القـــوة[1] وقال الألوسى والمتبادر من السياق الإشارة إلى حالة الكافر يوم القيامة وأنه يكون على أقبح صورة وأبشعها بعد أن كان على أحسن صورة وأبدعها[2] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أى إلا المؤمنين المتقين الذين جمعوا بين الإيـــمان والعمـــل الصالح ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أى فلهم ثـــواب غـــير مقطـــوع عنهـــم وهو الجنـــة ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ الخطاب للإنسان على طريقة الالتفات أى فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بعد هذا البيان وبعد وضوح الدلائـــل والبراهـــين؟ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أى أليس الله الذى خلق فأبدع بأعدل العادلين حكما وقضاء وفصلا بين العباد؟ ويسن القول بعد سماع الآية الكريمة أن يقول المؤمن بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

الإعراب:

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ	الواو حرف قسم وجر، التين مقسم به مجرور، والزيتون عطف وطور سنين عطف أيضا وسنين مضاف إليه مجرور وهو علم أعجمى ممنوع من الصرف.
وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ	عطف على ما قبله البلد بدل من اسم الإشارة والأمين نعت.
لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	اللام جواب القسم، قد حرف تحقيق مبنى على السكون، خلقنا فعل ماض مبنى نا الفاعلين، الإنسان مفعول به منصوب، فى أحسن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الإنسان، تقويم مضاف إليه مجرور.

(١) تفسير القرطبى ١٩/١١٥.
(٢) تفسير الألوسى ٣٠/١٧٦.

ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ	ثم حرف عطف مبنى على الفتح، رددناه فعل وفاعل والضمير فى محل نصب مفعول به، أسفل سافلين حال من المفعول واختار آخرون أن يكون صفة لمكان محذوف أى مكان أسفل سافلين والأرجح أنها مفعول ثان لرددنا لأن ردَّ ينصب مفعولين لقوله تعالى "لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا" فالضمير فى محل نصب مفعول أول، وكفارا مفعول ثان وحسدا مفعول لأجله منصوب.
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ	إلا أداة استثناء، الذين فى محل نصب على الاستثناء، آمنوا فعل ماض مبنى والواو فاعل والجملة صلة الموصول، وعملوا عطف على آمنوا الصالحات مفعول به منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة جمع مؤنث سالم ويمكن القول إلا بمعنى لكن والذين مبتدأ وخبره فلهم أجر فلهم الفاء رابطة لما فى الموصول من معنى الشرط، ولهم جار ومجرور خبر مقدم وأجر مبتدأ مؤخر وغير ممنون نعت لأجر وممنون مضاف إليه مجرور.
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ	الفاء هى الفصيحة، ما اسم استفهام إنكارى فى محل رفع مبتدأ وجملة يكذبك فى محل رفع خبر، بعد ظرف مبنى على الضم لانقطاعه من الإضافة لفظا لا معنى، بالدين جار ومجرور.
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ	الهمزة للاستفهام التقريرى ليس فعل ماض ناقص والله اسمها مرفوع بالضمة الظاهرة بأحكم الباء حرف جر زائد أحكم مجرور لفظا منصوب محلا خبر ليس، الحاكمين مضاف إليه مجرور.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- المجاز العقلى بإطلاق الحال وإرادة المحل فى قوله تعالى ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ حيث أراد موضوعها بالشام وبيت المقدس على القول الراجح.

- الطباق بين ﴿ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ و ﴿ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾.
- جناس الاشتقاق في قوله تعالى ﴿ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾.
- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة في التوبيخ والعقاب في قوله تعالى "فما يكذبك".
- الاستفهام الذي يراد به التقرير في قوله تعالى ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾.
- السجع الجميل غير المكلف في السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(٩٦) سورة العلق

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها تسع عشرة وهي أول ما نزل من القرآن الكريم وتسمى سورة أقرأ وهي تعالج القضايا الآتية :

أولا : موضوع بدء نزول الوحي على رسول الله ﷺ.

ثانيا : موضوع طغيان الإنسان بالمال وتمرده على أوامر الله تعالى.

ثالثًا : قصة الشقي "أبي جهل" ونهيه الرسول ﷺ.

بدأت السورة الكريمة ببيان فضل الله على رسوله الكريم، بإنزال هذا القرآن المعجزة الخالدة ثم تحدثت عن طغيان الإنسان في هذه الحياة بالقوة والثراء وتمرده على أوامر الله بسبب نعمة الغنى وكان الواجب شكر الله على أفضاله ثم تناولت قصة أبي جهل فرعون هذه الأمة الذي كان يتوعد الرسول ويهدده وينهاه عن الصلاة وختمت السورة الكريمة بوعيد ذلك الشقي الكافر بأشد العقاب سميت بسورة العلق حيث ذكر الله عز وجل خلق الإنسان من علق الدم الجامد وهو الدودة الصغيرة وقد أثبت الطب الحديث ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ
(٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨)
أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ
إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ
خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ (١٩) ﴾

معاني المفردات:

علق : دم جامد — ليطغى : ليجاوز الحد في الطغيان

الرجعى : الرجوع فى الآخرة لنسفعا بالناصية : لنسحبنه بناصيته إلى النار

فليدع ناديه : أهل مجلسه سندع الزبانية : ملائكة العذاب

التفسير:

تبدأ السورة الكريمة بقول الله عز وجل ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ هذا أول خطاب إلهى وجه إلى النبى ﷺ وفيه دعوة إلى القراءة والكتابة والعلم لأنه شعار دين الإسلام، أي اقرأ يا محمد القرآن مبتدئا ومستعينا باسم ربك الجليل الذى خلق جميع المخلوقات، وأوجد جميع العوالم، ثم فسر الخلق تفخيما بشأن الإنسان فقال ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ أى خلق هذا الإنسان البديع الشكل الذى هو أشرف المخلوقات من العلقة وهى الدودة الصغيرة حيث لا ترى بالعين فتبارك الله أحسن الخالقين(١) ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ أى اقرأ يا محمد وربك العظيم الكريم الذى لا يساويه ولا يدانيه كريم وقد دل على كمال كرمه أنه علم العباد ما لم يعلموا ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ أى الذى علم الخط والكتابة بالقلم وعلم البشر ما لم يكونوا يعرفونه من العلوم والمعارف قال القرطبى نبّه تعالى على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها الإنسان وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولاها ما استقامت أمور الدنيا(٢). وهذه الآيات الخمس هى أول ما نزل عليه الملك وهو يتعبد فى غار حراء فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ(٣) ثم أخبر تعالى عن سبب بطر الإنسان وطغيانه فقال سبحانه ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴾ أى حقا إن الإنسان ليتجاوز الحد فى الطغيان واتباع هوى النفس ويستكبر على ربه عز وجل ﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ أى من أجل أن رأى نفسه غنيا وأصبح ذا ثروة ومال أشرك وبطر ثم توعده وهدده بقوله ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴾ أى إن إلى ربك أيها الإنسان المرجع والمصير فيجازيك على أعمالك والآيات إلى آخر السورة فى أبى جهل بعد نزول صدر السورة بمدة طويلة وذلك أن أبا جهل كان يطغى بكثرة ماله

---

(١) كتاب الطب محراب الإيمان، ٢ ص ٥٣.

(٢) القرطبى ١٩/١٢٠.

(٣) أخرج الشيخان عن عائشة قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وحبب إليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتعبد فيه الليالى ذوات العدد.

ويبالغ بعداوة الرسول ﷺ والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[(١)] ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ تعجب من حال ذلك الشقي الفاجر أى أخبرني يا محمد عن حال ذلك المجرم الأثيم الذى ينهى عبدا من عباد الله عن الصلاة فما أخف عقله وما أشنع فعله وقد أجمع المفسرون على أن العبد المصلى هو محمد ﷺ وأن الذى نهاه هو اللعين "أبو جهل" ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ أى أخبرني إن كان هذا العبد المصلى وهو النبي محمد ﷺ تنهاه عن الصلاة صالحا مهتديا على الطريقة المستقيمة فى قوله وفعله ﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ أو كان آمرا بالإخلاص والتوحيد، داعيا إلى الهدى والرشاد، كيف تزجره وتنهاه[(٢)] ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ أى أخبرني يا محمد إن كذب بالقرآن وأعرض عن الإيمان ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ أى ألم يعلم ذلك الشقي أن الله مطلع على أحواله مراقب لأفعاله وسيجازيه عليها ثم ردعه سبحانه وتعالى فقال ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ أى ليرتدع هذا الفاجر "أبو جهل" عن غيه وضلاله. فو الله لئن لم ينته عن أذى الرسول ويكف عما هو عليه من الكفر والضلال ﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ أو لنأخذه بناصيته مقدم شعر الرأس فلنجرنه إلى النار بعنف وشدة ونقذفه فيها ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ أى صاحب هذه الناصية كاذب فاجر كثير الذنوب والإجرام ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾ أى فليدع أهل ناديه وليستنصر بهم ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ أى سندعو خزنة جهنم الملائكة الغلاظ الشداد روى أن أبا جهل مر على النبي ﷺ وهو يصلى عند المقام فقال "ألم أنهك عن هذا يا محمد فأغلظ له رسول الله ﷺ القول فقال له أبو جهل: بأى شيء تهددني يا محمد والله إني لأكثر أهل الوادى هذا ناديا فأنزل الله تعالى ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته[(٣)] ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ أى واظب على سجودك وصلاتك وتقرب بذلك إلى ربك وفى الحديث الشريف "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"[(٤)].

---

(١) انظر حاشية الصاوى ٤/٣٣٦.

(٢) هذا هو الظاهر أن الذى هو على الهدى أو آمر بالتقوى هو محمد ﷺ وهو اختيار ابن عطية والجمهور صفوة التفاسير ص ١٧٤٨.

(٣) تفسير القرطبي ١٩/١٢٧.

(٤) رواه مسلم.

الإعراب:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	اقرأ فعل أمر مبنى على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت باسم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ضمير الفاعل أى "مفتتحا" وأعربها ابن خالويه زائدة تابعا فى ذلك لأبى عبيده قال الباء زائدة والمعنى اقرأ اسم ربك كما قال سبح اسم ربك، مضاف إليه، الذى اسم موصول مبنى فى محل جر نعت، خلق فعل ماض مبنى وفاعله ضمير مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها.
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾	خلق فعل ماض مبنى، الفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل والجملة تأكيد لفظى الإنسان مفعول به منصوب، من علق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال.
﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾	اقرأ فعل أمر مبنى تأكيد لفظى لأقرأ الأولى، وربك الواو استئنافية ويجوز أن تكون للحال، ربك مبتدأ مرفوع الضمير فى محل جر والأكرم خبر المبتدأ مرفوع وأعربها ابن خالويه نعتا ويكون الخبر فى هذه الحالة "علم الإنسان".
﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾	الذى اسم موصول خبر ثان أعربها ابن خالوية نعت ثان وجملة علم صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وفاعل علم ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل، والمفعولان محذوفان تقديرهما علم الإنسان الخط بالقلم، بالقلم جار ومجرور متعلقان بعلم أو متعلقان بالخط.

عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ	الجملة تأكيد لعلّم الأولى أو بدل أو خبر كما تقدم الإنسان مفعول أول ، ما اسم موصول فى محل نصب مفعول ثان وجملة لم يعلم صلة الموصول والعائد محذوف أى لم يعلمه.
كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ	كلا حرف ردع وزجر للكافر بنعمة الله ، إن الإنسان إن واسمها ، اللام هى المزحلقة يطغى مضارع مرفوع بضمة مقدرة والفاعل ضمير مستتر وجملة ليطغى فى محل رفع خبر ثان وقد اختلف النحويون فى معنى كلا فالكسائى جعلها بمعنى حقا ومذهب أبى حيان أنها بمعنى ألا الاستفتاحية والحق أنها حرف ردع وزجر كما قال سيبويه وقال الزجاج وكلا ردع وتنبيه[1].
أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ	أن حرف مصدرى ونصب وهى مع مدخولها فى تأويل مصدر مفعول لأجله رآه فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو والهاء فى محل نصب مفعول به أول وجملة استغنى فى محل نصب مفعول به ثان.
إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ	إن حرف توكيد ونصب مشبه بالفعل إلى ربك فى محل رفع خبر إن مقدم الرجعى اسم إن مؤخر منصوب بالفتحة المقدرة.
أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ	الهمزة للاستفهام رأيت فعل ماض والتاء هى الفاعل الذى اسم موصول فى محل نصب مفعول به ينهى مضارع مرفوع وفاعله مستتر والجملة صلة الموصول ، عبدا مفعول به لينهى إذا ظرف للزمان المستقبل لمجرد الظرفية متعلق بينهى صلى فعل ماض مبنى وفاعله مستتر تقديره هو.
أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ	الهمزة للاستفهام ، رأيت فعل ماض مبنى والتاء فاعل ومعناها أخبرنى إن شرطية مبنية على السكون ، كان فعل ماض ناقص وهو فى محل جزم فعل الشرط واسمها ضمير مستتر تقديره هو

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه محى الدين الدرويش المجلد العاشر ص ٥٣٠.

	على الهدى جار ومجرور في محل رفع خبر كان، أو حرف عطف مبني على السكون أمر فعل ماض مبني وفاعله مستتر بالتقوى جار ومجرور متعلقان بأمر.
أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ	سبق إعرابها مثيلتها في الآية السابقة.
أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ	الهمزة للاستفهام التقريري والتعجب، لم حرف نفي وجزم يعلم مضارع مجزوم الباء حرف جر زائد وأن حرف توكيد ونصب ولفظ الجلالة اسم إن منصوب وجملة يرى في محل رفع خبر إن، وإن وما بعدها سدت مسد مفعولي يعلم، أما جواب الشرط الذي في حيز الاثنين السابقين فمحذوف يدل عليه الجملة الاستفهامية والتقدير "إن كان على الهدى وتقديره في الأخيرة" إن كذب وتولى أفلم يعلم بأن الله يرى أي على تقدير الفاعل[1].
كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ	كلا حرف ردع وزجر لأبي جهل، اللام موطئة للقسم، لأنها داخله على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها لا على الشرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها لا على الشرط إن شرطية، لم حرف نفي وجزم، ينته مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة، لنسفعا اللام جواب القسم جريا على القاعدة المقررة من اجتماع قسم وشرط، نسفعا فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة وكتبت بالألف في المصحف على حكم الوقف، والفاعل مستتر تقديره نحن، بالناصية جار ومجرور متعلقان بنسفعا، ناصية بدل مجرور من الناصية، كاذبة خاطئة نعتان.
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾	الفاء هي الفصيحة، اللام لام الأمر يدع مضارع مجزوم علامة الجزم حذف حرف العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ناديه

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش المجلد العاشر. ص ٥٣٢.

كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب	مفعول به ، السين حرف استقبال ندعو مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن الزبانية مفعول به منصوب كلا تأكيد للردع والزجر لأبى جهل لا ناهيه تطعه مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والهاء فى محل نصب مفعول به ، واسجد فعل أمر مبنى واقترب عطف على واسجد.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على الكثير من الصور البلاغية نذكر منها :

- الكناية فى قوله تعالى ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ حيث كنى بالعبد رسول الله ﷺ ولم يقل ينهاك تفخيما لشأنه وتعظيما لقدره.
- المجاز العقلى فى قوله تعالى ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ أى كاذب صاحبها خاطئ فأسند الكذب إليها مجازا.
- الإطناب بتكرار الفعل ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ ثم قوله ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ لمزيد الاهتمام بشأن القراءة والتعلم.
- الجناس الناقص بين "خلق وعلق".
- طباق السلب فى قوله تعالى ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.
- الاستفهام للتعجب من شأن الناهى فى قوله تعالى ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ وقوله سبحانه ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾.
- السجع الجميل غير المتكلف فى أواخر الأيات.

◆ ◆ ◆

(٩٧) سورة القـــدر

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها خمس نزلت بعد سورة عبس تحدثت عن بدء نزول القرآن الكريم وعن فضل ليلة القدر على سائر الأيام والشهور لما فيها من الأنوار والتجليات القدسية والنعمات الربانية التى أنعمها المولى عز وجل على عباده المؤمنين تكريما لنزول القرآن الكريم كما تحدثت عن نزول الملائكة الأبرار حتى طلوع الفجر فهى ليلة عظيمة القدر وهى عند الله عز وجل خير من ألف شهر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾

معانى المفردات:

ليلة القدر : ليلة الشرف العظيمة   ما أدراك : ما أعلمك

سلام هى : سلامة من كل خوف

التفسير:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ أى نحن أنزلنا هذا القرآن المعجز فى ليلة القدر والشرف قال المفسرون: سميت ليلة القدر لعظمها وقدرها وشرفها والمراد بإنزال القرآن إنزاله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم نزل به جبريل إلى الأرض فى مدة ثلاث وعشرين سنة كما قال ابن عباس: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ[1] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ هذا تعظيم وتفخيم لأمرها أى وما أعلمك يا محمد ما

---

(١) مختصر ابن كثير ٣/٦٥٩.

ليلة القدر والشرف؟ قال الخازن: وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق لخبرها كأنه قال أى شىء يبلغ علمك بقدرها ومبلغ فضلها[1] ثم ذكر فضلها من ثلاثة أوجه فقال تعالى ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ أى ليلة القدر فى الشرف والفضل خير من ألف شهر لما اختصت به من شرف إنزال القرآن الكريم فيها قال المفسرون: العمل الصالح فى ليلة القدر خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وقد روى أن رجلا لبس السلاح وجاهد فى سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله والمسلمون من ذلك وتمنى رسول الله ﷺ لأمته فقال يا رب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا، وأقلها أعمالا فأعطاه الله ليلة القدر وقال ليلة القدر خير لك ولأمتك من ألف شهر جاهد فيهـا ذلك الرجل[2] قال مجاهد: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر[3] هذا هو الوجه الأول من فضلها ثم قال تعالى ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أى تنزل الملائكة وجبريل إلى الأرض فى تلك الليلة بأمر ربهم من أجل كل أمر قدره الله وقضاه لتلك السنة إلى السنة القابلة وهذا هو الوجه الثانى من فضلها والوجه الثالث قوله تعالى ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ أى هى سلام من أول يومها إلى طلوع الفجر تسلم فيها الملائكة على المؤمنين ولا يقدر فيها إلا الخير والسلامة لبنى الإنسان[4].

الإعراب:

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ	إن واسمها وجملة أنزلناه المكونة من الفعل والفاعل والمفعول فى محل رفع خبر المبتدأ فى ليلة جار ومجرور متعلقان بأنزلناه والقدر مضاف إليه.
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ	الواو حرف عطف، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ وجملة أدراك فعل ماض والفاعل مستتر والكاف فى محل نصب مفعول به والجملة فى محل رفع خبر ما، ما ليلة القدر ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ، ليلة خبر مرفوع القدر مضاف إليه مجرور والجملة المعلقة بالاستفهام سدت سد مفعول أدراك الثانى.

---

(١) تفسير الخازن ٢٧٥/٤.

(٢) روى هذا ابن عباس ومجاهد.

(٣) مختصر تفسير بن كثير ٦٥٩/٣.

(٤) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى ص ١٧٥٠.

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾	ليلة مبتدأ، القدر مضاف إليه، خير خبر مرفوع، من ألف جار ومجرور متعلقان بخير والجملة مستأنفه كأنها جواب لسؤال نشأ عن تفخيم ليلة القدر تقديره وما فضائلها، شهر تمييز مجرور.
﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾	تنزل فعل مضارع مرفوع أصله تتنزل، الملائكة فاعل مرفوع، والروح عطف على الملائكة فيها جار ومجرور ولك أن تعلقه بمحذوف حال من الملائكة بإذن جار ومجرور متعلقان بتنزل ربهم مضاف إليه مجرور من كل أمر أى من كل أمر قضاه الله لتلك السنة متعلق بتنزل.
﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾	سلام خبر مقدم مرفوع، هى ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ مؤخر حتى حرف يدل على الغاية وجر مطلع مجرور بحتى الفجر مضاف إليه مجرور والجار والمجرور متعلقان بسلام.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الإطناب بذكر ليلة القدر ثلاث مرات زيادة فى الاعتناء بشأنها وتفخيما لأمرها.
- الاستفهام فى قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ والغرض هو التفخيم والتعظيم.

ذكر الخاص بعد العام فى قوله تعالى ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ فذكر سبحانه وتعالى جبريل بعد الملائكة ليبين جلال قدره عند الله عز وجل.

- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(٩٨) سورة البيّنة

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مدنية آياتها ثمان، نزلت بعد سورة الطلاق تعالج القضايا الآتية :

أولا : موقف أهل الكتاب من دعوة النبى ﷺ.

ثانيا : موضوع إخلاص العبادة لله جل وعلا.

ثالثا : مصير كل من السعداء والأشقياء يوم القيامة.

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن اليهود والنصارى وموقفهم من دعوة الرسول ﷺ ثم تحدثت عن عنصر هام من عناصر الإيمان هو إخلاص العبادة لله كما تحدثت عن مصير أهل الإجرام وهم "شر البرية" من كفرة أهل الكتاب والمشركين وخلودهم فى النار، وعن مصير المؤمنين أصحاب المنازل العالية السامية وخلودهم فى جنات النعيم وقد سميت بسورة البيّنة لأنها أوضحت وبينت أن المشركين لن يتراجعوا عن شركهم وكفرهم حتى تأتيهم الحجة الساطعة وعندما جاءهم الرسول ﷺ تفرقوا إلى فريقين "مؤمنين وكافرين".

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ
يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ
﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ
ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ
﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

معانى المفردات:

منفكين : مزايلين ما كانوا عليه   تأتيهم البينة : الحجة الواضحة

فيها كتب : أحكام مكتوبة   قيمة : مستقيمة عادلة

حنفاء : مائلين عن الباطل إلى الإسلام

دين القيمة: الملة المستقيمة أو الكتب القيمة

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ أى لم يكن أهل الكفر والجحود، الذين كفروا بالله ورسوله من اليهود والنصارى من أهل الكتاب ومن المشركين عبدة الأوثان منفصلين ومنتهين عما هم عليه من الكفر حتى تأتيهم الحجة الواضحة[(١)] وهى بعثة النبى محمد ﷺ ولهذا فسرها بقوله ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ أى تقرأ عليهم صحفا مترهة عن الباطل عن ظهر قلب لأن النبى ﷺ أمى لا يقرأ ولا يكتب قال القرطبى: أى يقرأ ما تتضمن الصحف من المكتوب يتلوها عن ظهر قلبه لا عن كتاب[(٢)] وقال ابن عباس "مطهرة" عن الباطل من الزور والشك والنفاق والضلالة وقال قتادة مطهرة عن الباطل[(٣)] ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ أى فيها أحكام قيمة لا عوج فيها تبين الحق من الباطل قال الصاوى: المراد بالصحف القراطيس التى يكتب فيها القرآن والمراد بالكتب الأحكام المكتوبة فيها وإنما قال فيها "كتب قيمة" لأن القرآن جمع ثمرة كتب الله المتقدمة[(٤)] ثم ذكر الله تعالى من لم تؤمن من أهل الكتاب فقال ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ أى وما اختلف اليهود والنصارى فى شأن محمد ﷺ إلا من بعد ما جاءهم الحجة الواضحة الدالة على صدق رسالته، أنه الرسول الموعود به فى كتبهم قال أبو السعود: والآية مسوقة لغاية التشنيع على أهل الكتاب خاصة، وتغليظ جنايتهم ببيان أن تفرقهم لم يكن إلا بعد وضوح الحق[(٥)] وقال فى التسهيل: أى وما اختلفوا فى نبوة محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا أنه حق وإنما خص أهل الكتاب هنا بالذكر لأنهم كانوا يعلمون

---

(١) لم تذكر السورة الكريمة أنهم منفكون عن ماذا؟ لكنه معلوم إذ المراد هو الكفر والضلالة التى كانوا عليها صفوة التفاسير ص ١٧٥٢.

(٢) تفسير القرطبى ١٤٢/١٩.

(٣) تفسير المرجع السابق.

(٤) تفسير الصاوى ٣٤٢/٤.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ٢١٢/٤.

صحة نبوته بما يجدون فى كتبهم من ذكره[1] ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أى والحال أنهم ما أمروا فى التوراة والإنجيل إلا بأن يعبدوا الله وحده مخلصين العبادة لله جل وعلا ولكنهم حرفوا وبدلوا "حنفاء" أى مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، مستقيمين على دين إبراهيم عليه السلام دين الحنيفية السمحة الذى جاء به خاتم المرسلين ﴿ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ ﴾ أى وأمروا أن يؤدوا الصلاة على الوجه الأكمل، فى أوقاتها بشروطها وخشوعها وآدابها ويعطوا الزكاة لمستحقيها عن طيب نفس ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ وذلك الدين المذكور من العبادة والإخلاص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الملة السمحة المستقيمة — دين الإسلام — فلماذا لا يدخلون فيه؟ ثم ذكر بعد ذلك حال كل من الأبرار والأشرار فى دار الجزاء والقرار فقال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ ﴾ أى إن الذين كذبوا بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان هؤلاء جميعهم يوم القيامة فى نار جهنم ماكثين فيها أبدا لا يخرجون منها ولا يموتون ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ أى أولئك هم شر الخلق على الإطلاق قال الإمام الفخر فإن قيل لم ذكر "كفروا" بلفظ الفعل، و "المشركين" باسم الفاعل، فالجواب هنا على أن أهل الكتاب ما كانوا كافرين من أول الأمر لأنهم كانوا مصدقين بالتوراة والإنجيل ومقرين بمبعث محمد ﷺ ثم إنهم كفروا بعد مبعثه بخلاف المشركين فإنهم ولدوا على عبادة الأوثان[2] وقوله ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ لإفادة الحصر أى شر من السُّرّاق لأنهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد ﷺ وشر من قطاع الطرق كذلك لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق[3] ثم ذكر بعد ذلك مقر السعداء فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ أى المؤمنين الذين جمعوا من الإيمان وصالح الأعمال ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ أى هم خير الخليقة التى خلقها الله عز وجل وبراها ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ أى ثوابهم فى الآخرة على ما قدموا من الإيمان والعمل الصالح جنات إقامة دائمة يجرى من تحت قصورها أنهار الجنة ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ ﴾ أى ماكثين فيها أبدا لا يموتون ولا

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/٢١٢.

(٢) التفسير الكبير للرازى ٣١/٤٩.

(٣) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى ص ١٧٥٠.

يخرجون منها وهم فى نعيم دائم لا ينقطع ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ أى رضى الله عنهم بما أعطاهم من الخيرات والكرامات ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ أى ذلك الجزاء والثواب الحسن لمن خاف الله واتقاه وانتهى عن معصيته.

الإعراب:

لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ	لم حرف نفى وجزم وقلب يكن مضارع مجزوم علامة جزمه السكون، الذين اسم موصول مبنى فى محل رفع اسم يكن، كفروا فعل ماضى والواو فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، من أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والكتاب مضاف إليه والمشركين معطوف منصوب بالياء منفكين خبر يكن منصوب، حتى حرف غاية وجر، تأتيهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والهاء فى محل نصب مفعول به، البينة فاعل مرفوع.
رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ	رسول بدل من البينة. من جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسول وجملة يتلو صفة ثانية صحفا مفعول به منصوب، مطهرة صفة لصحف منصوبة بالفتحة الظاهرة.
فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ	فيها جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم وكتب مبتدأ مؤخر مرفوع قيمة نعت مرفوع لكتب والجملة صفة ثالثة لصحف.
وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ	الواو استئنافية، ما نافية، تفرق فعل ماض، الذين اسم موصول فى محل رفع فاعل، أوتوا فعل ماض مبنى والواو نائب فاعل والجملة صلة الموصول، الكتاب مفعول به ثان منصوب، إلا أداة استثناء تفيد الحصر من بعد جار ومجرور متعلقان بتفرق، ما مصدرية جاءتهم فعل ماضى مبنى والضمير فى محل نصب مفعول به والبينة فاعل مؤخر مرفوع، والجملة المصدرية وما فى حيزها فى محل جر بالإضافة للظرف "بعد".

وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ	الواو حالية، ما نافية أمروا فعل ماض مبنى للمجهول والواو نائب فاعل فى محل رفع إلا أداة استثناء للحصر ليعبدوا مضارع منصوب بعد لام التعليل والواو فاعل، الله لفظ الجلالة منصوب على التعظيم، مخلصين حال منصوب بالياء له جار ومجرور متعلقان بمخلصين، الدين مفعول به لاسم الفاعل مخلصين، حنفاء حال ثانية.
وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ	الواو عاطفة، يقيموا مضارع منصوب معطوف على ليعبدوا والواو فاعل الصلاة مفعول به ويؤتوا الزكاة عطف على ما سبق وبنفس الإعراب.
وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ	الواو عاطفة أو حالية ذلك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ دين خبر مرفوع، القيمة مضاف إليه مجرور.
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ	إن حرف توكيد ونصب، الذين اسم موصول فى محل نصب اسم إن، كفروا فعل ماض والواو فاعل والجملة صلة الموصول، من أهل الكتاب جار ومجرور والكتاب مضاف إليه والمشركين معطوف على أهل الكتاب فى محل نصب حال فى نار جهنم فى محل رفع خبر أن. خالدين حال مقدرة من الضمير المستكن فى الخبر. فيها جار ومجرور متعلقان بخالدين أولئك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، هم ضمير فى محل رفع مبتدأ ثان أو ضمير فصل، شر خبر مرفوع، البرية مضاف إليه مجرور والجملة من المبتدأ الثانى وخبره فى محل رفع خبر المبتدأ أولئك.
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ	الآية مماثلة لما قبلها فى الإعراب تماما.

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ	جزاؤهم مبتدأ مرفوع والضمير فى محل جر بالإضافة، عند ظرف متعلق بمحذوف حال وربهم مضاف إليه مجرور، جنات خبر مرفوع بالضمة عدن مضاف إليه مجرور وجملة تجرى من تحتها الأنهار نعت لجنات خالدين حال من عامل محذوف تقديره دخولها، فيها جار ومجرور متعلقان بخالدين، أبدا ظرف زمان منصوب وجملة "رضى الله عنهم ورضوا عنه" يجوز أن تكون دعائية لا محل لها ويجوز أن تكون خبرا ثانيا ذلك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، لمن جار ومجرور فى محل رفع خبر وجملة خشى ربه صلة الموصول لا محل لها أيضا.

من ألوان البلاغة

اشتملت السورة الكريمة على بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الاستعارة التصريحية فى قوله تعالى ﴿ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ فلفظة مطهرة فيها استعارة حيث تنزه الصحف عن الباطل بطهارتها عن الأنجاس.
- الطباق بين "خير البرية" و "شر البرية".
- الإجمال بعد التفصيل فى قولة تعالى ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ ثم فصلها بقوله ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾.
- المقابلة بين نعيم الأبرار وعذاب الفجار فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(٩٩) سورة الزلزلة

في رحاب السورة الكريمة

سورة مدنية آياتها ثمان نزلت بعد سورة النساء، وهي في أسلوبها تشبه السور المكية لما فيها من أهوال وشدائد يوم القيامة، وهي هنا تتحدث عن الزلزال العنيف الذي يكون بين يدي الساعة حيث يدك كل صرح شامخ وينهار كل جبل راسخ ويحصل من الأمور العجيبة الغريبة ما يدهش الإنسان فتخرج الأرض ما في بطونها من كنوز وموتى كما ينصرف الخلائق من أرض المحشر إلى الجنة أو النار.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾

معاني المفردات:

زلزلت الأرض: حركت تحريكا عنيفا   أثقالها: موتاها

تحدث أخبارها: تخبر بما عمل عليها   أوحى لها: جعل في حالها دلالة على ذلك

يصدر الناس: يخرجون من قبورهم إلى المحشر   أشتاتا: متفرقين

مثقال ذرة: وزن أصغر نملة

التفسير:

تبدأ السورة الكريمة بقول الله عز وجل ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ أي إذا حركت الأرض تحريكا عنيفا، واضطربت اضطرابا شديدًا واهتزت بمن عليها اهتزازا يقطع القلوب ويفزع الألباب قال المفسرون: إنما أضاف الزلزلة إليها "زلزالها" تهويلا كأنه يقول: الزلزلة التي تليق بها على عظمة جرمها وذلك عند قيام الساعة تزلزل وتتحرك تحريكا متتابعا وتضطرب بمن عليها ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبال

وأشجار وبناء وقلاع[1] ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ أى أخرجت الأرض ما فى باطنها من الكنوز والموتى قال ابن عباس "أخرجت موتاها، وقال منذر ابن سعيد "أخرجت كنوزها وموتاها[2] وفى الحديث "تلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانه من الذهب والفضة فيجئ القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجئ القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجئ السارق فيقول فى هذا قطعت يدى، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا"[3] ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾؟ أى وقال الإنسان ما للأرض تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة، ولفظت ما فى بطنها؟ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ أى فى ذلك اليوم العصيب _ يوم القيامة _ تتحدث الأرض وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وتشهد على كل إنسان بما صنع على ظهرها، عن أبى هريرة "رضى الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ "يومئذ تحدث أخبارها" فقال "أتدرون ما أخبارها؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال "فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول عمل يوم كذا.. كذا وكذا، فهذه أخبارها"[4] ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أى ذلك الإخبار بسبب أن الله جلت عظمته أمرها بذلك، وأذن لها أن تنطلق بكل ما حدث وجرى عليها، فهى تشكو العاصى وتشهد عليه وتشكر المطيع وتثنى عليه والله على كل شيء قدير ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ أى فى ذلك اليوم يرجع الخلائق من موقف الحساب، وينصرفون متفرقين فرقا فرقا، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أى لينالوا جزاء أعمالهم من خير أو شر ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ أى فمن يفعل من الخير زنة ذرة من التراب يجده فى صحيفته يوم القيامة ويلق جزاء عليه ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ أى من يفعل من الشر زنة ذرة التراب، ويجده كذلك ويلق جزاءه عليه قال القرطبى: وهذا مثل ضربه الله تعالى فى أنه لا يغفل عن عمل ابن آدم صغيره ولا كبيره، وهو مثل قوله تعالى "إن الله لا يظلم مثقال ذرة"[5].

---

(١) أنظر التسهيل ٤/٢١٣.

(٢) تفسير الألوسى ٣٠/٢٠٩.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) أخرجه الترمذى.

(٥) تفسير القرطبى ٢٠/١٥٠ والآية الكريمة (٤٠) سورة النساء.

الإعراب:

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا	إذا ظرف زمان للمستقبل زلزلت فعل الشرط ماض مبنى للمجهول الأرض نائب فاعل مرفوع والجملة فى محل جر بالإضافة للظرف، زلزالها مفعول مطلق منصوب.
وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا	الآية معطوفة على الآية السابقة، الواو عاطفة، أخرجت فعل ماض مبنى والتاء للتأنيث، والأرض فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، أثقالها مفعول به منصوب والهاء ضمير فى محل جر مضاف إليه.
وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا	الواو عاطفة، قال فعل ماض مبنى، الإنسان فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ، لها جار ومجرور فى محل رفع خبر والجملة من المبتدأ والخبر فى محل نصب مقول القول.
يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا	يومئذ ظرف أضيف لمثله ومحله النصب على أنه بدل من إذا والعامل فيه هو العامل فى البدل منه والتنوين عوض عن جملة أى يوم إذا تزلزل الأرض زلزالها، تحدث فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره هى، أخبارها مفعول به منصوب والهاء في محل جر مضاف إليه والجملة فى محل جر بالإضافة للظرف.
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا	الباء حرف جر، أن وما فى حيزها فى محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بتحدث والمعنى تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها، وجملة إن واسمها وجملة أوحى خبرها فى محل رفع ولها متعلقان بأوحى.
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا	يومئذ ظرف أضيف لمثله يصدر مضارع مرفوع، الناس فاعل مرفوع، أشتاتا حال من الناس منصوب وأشتاتا جمع شت.

لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ	اللام للتعليل يروا مضارع مبنى للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد اللام والواو نائب فاعل فى محل رفع أعمالهم مفعول به ثان منصوب والضمير فى محل جر بالإضافة.
فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ	الجملة معطوفة على ماسبق وبنفس الإعراب.
وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ	الجملة معطوفة على ماسبق وبنفس الإعراب.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على بعض الصور البلاغية نذكر منها :

- جناس الاشتقاق فى قوله تعالى ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴾.
- الإضافة للتهويل فى قوله تعالى "زلزالها".
- الإظهار فى مقام الإضمار فى قوله تعالى ﴿ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ حيث ذكر الأرض مرتين.
- المقابلة بين ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾ وبين ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(١٠٠) سورة العاديات

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها إحدى عشرة، نزلت بعد سورة العصر وهى تتحدث عن خيل المجاهدين فى سبيل الله حين إغارتها على العدو فيسمع لها صوت شديد وتقدح بحوافرها الحجارة فيتطاير منها النار والتراب والغبار وبدأت السورة الكريمة بالقسم بخيل الغزاة تنويها لشرفها وفضلها عند الله مع إن الإنسان لنعمة الله تعالى جحود منكر كما تناولت السورة الكريمة حب الإنسان الشديد للمال، ثم بينت أن مرجع الخلائق كلها إلى الله عز وجل للحساب والجزاء، ولا ينفع الإنسان حينئذ إلا عمله الصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ① فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ② فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ⑤ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ⑪ ﴾

معانى المفردات:

العاديات: خيل الغزاة تعدو بسرعة — ضبحا: هو صوت أنفاسها إذا عدت

فالموريات قدحا: المخرجات النار بحك حوافرها

فالمغيرات صبحا: مباغتات للعدو صبحا

فأثرن به نقعا: هيجن فى الصبح غبارا — لكنود: لكفور جحود

إنه لحب الخير: حب المال — لشديد: لقوى

بعثر: أثير وأخرج — حصل: جمع أو ميز

التفسير:

﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴾ يقسم الله عز وجل بخيل المجاهدين المسرعات فى الكر على العدو يسمع لأنفاسها صوت جهير هو الضجيج قال ابن مسعود: أقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو وتضبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عند عدوها[١] ﴿ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴾ أى فالخيل التى تخرج شرر النار من الأرض بوقع حوافرها على الحجارة من شدة الجرى ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ أى فالخيل التى تغير على العدو فى وقت الصباح قبل طلوع الشمس قال الألوسى: هذا هو المعتاد فى الغارات، كانوا يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون[٢] ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾ أى فأثارت الخيل الغبار الكثيف لشدة العدو فى الموضع الذى أغرن منه ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ أى فتوسطن به جميع الأعداء وأصبحن وسط المعركة ثم أقسم سبحانه وتعالى بأقسام ثلاثة على أمور ثلاثة، تعظيما للمقسم به وهو خيل المجاهدين فى سبيل الله أما الأمور التى أقسم عليها فهى قوله ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ أى إن الإنسان لجاحد لنعم ربه عليه شديد الكفران قال ابن عباس: جاحد لنعم الله وقال الحسن: يذكر المصائب وينسى النعم[٣] ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ أى إن الإنسان لشاهد على جحوده ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ أى وإنه لشديد لحب المال حريص على جمعه وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف متقاعس... ثم بعد أن عدَّدَ عليه قبائح أفعاله خوفه فقال ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ أى أفلا يعلم هذا الجاهل إذا أثير ما فى القبور وأخرج ما فيها من الأموات ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ أى وجمع وأبرز ما فى الصدور من الأسرار والخفايا التى كانوا يسرونها. ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴾ أى إن ربهم لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ومجازيهم عليه، وإنما خص الله عز وجل علمه بهم فى ذلك اليوم ــ يوم القيامة ــ لأنه يوم الجزاء بقصد الوعيد والتهديد[٤].

---

(١) أبو السعود ٥/ ٢٨٠.

(٢) روح المعانى ٣٠/ ٢١٤.

(٣) القرطبى ٢٠/ ٢١٥.

(٤) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى ص ١٧٥٩.

الإعراب:

وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ① فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ② فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا	الواو واو القسم وجر، العاديات مقسم به مجرور بالكسرة والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف، ضبحا مفعول مطلق لفعل محذوف أي يضبحن ضبحا وهذا الفعل المقدر حال من العاديات، ويجوز أن تعرب حالا أي ضابحات، فالموريات الفاء عاطفة، الموريات معطوف على العاديات وقدحا نفس إعراب ضبحا فالمغيرات عطف على ما قبلها، صبحا ظرف زمان منصوب، والظرف متعلق بالمغيرات.
فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا	الفاء حرف عطف أثرن فعل ماض مبنى على السكون والنون فاعل، به جار ومجرور متعلقان بأثرن ونقعا مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة فوسطن الفاء عاطفة، وسطن فعل ماض مبنى والنون فاعل، به جار ومجرور متعلقان بوسطن والضمير يعود إما على الصبح أو على النقع وجمعا مفعول به منصوب.
إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ	الجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب القسم، إنَّ حرف مشبه بالفعل والإنسان اسمها منصوب، لربه جار ومجرور متعلقان بكنود. لكنود اللام هى المزحلقة. كنود خبر إن مرفوع بالضمة الظاهرة.
وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ	نسق على ما سبق وبنفس الإعراب.
وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ	نسق على ما تقدم وبنفس الإعراب.
أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ	الهمزة للاستفهام الإنكارى، الفاء عاطفة لا نافية يعلم مضارع مرفوع إذا ظرف لمجرد الظرفية، بعثر فعل ماض مبنى للمجهول، ما اسم موصول مبنى فى محل رفع نائب فاعل وجملة بعثر وما فى حيزها فى محل جر بالإضافة للظرف وفى القبور جار ومجرور متعلقان بمحذوف "صلة الموصول".

وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ	الجملة منسوقة على بعثر ما فى القبور وبنفس الإعراب.
إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ	إن حرف توكيد ونصب ربهم اسم إن منصوب والضمير فى محل جر بالإضافة، بهم جار ومجرور متعلقان بخبير، يومئذ ظرف مضاف لمثله متعلق بخبير أيضا، لخبير اللاّم المزحلقه وخبير خبر مرفوع.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على بعض الصور البلاغية منها.

- الجناس غير التام بين "الشهيد" و "الشديد" وكذلك بين "ضبحا" و "صبحا".
- التأكيد بأن واللام فى مواضع مثل ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ وفى قوله تعالى ﴿ إن رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ وذلك زيادة فى التقدير والبيان.
- الاستفهام الإنكارى للتهديد والوعيد فى قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾.
- التفخيم فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ حيث تضمن لفظ خبير معنى المجازاة أى يجازيهم على أعمالهم.
- السجع الجميل غير المتكلف مثل "شهيد وشديد" والصدور والقبور" وهو سجع جميل.

❖ ❖ ❖

(١٠١) سورة القارعة

فى رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة مكية آياتها إحدى عشرة نزلت بعد سورة قريش تتحدث عن القيامة وأهوالها وشدائدها، كخروج الناس من القبور، وانتشارها كالفراش المتطاير هنا وهناك، يجيئون ويذهبون على غير نظام من شدة الفزع والحيرة، كما تتحدث عن نسف الجبال وتطايرها حتى تصبح كالصوف المتطاير.

ختمت السورة الكريمة بذكر الموازين التى تزن أعمال الناس، وانقسام الناس إلى سعداء وأشقياء.

وسميت بسورة القارعة، لأنها تقرع القلوب والأسماع والأفئدة بهولها.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾

معانى المفردات:

القارعة : القيامة

كالفراش : ما يطير ويتهافت من النار

المبثوث : المتفرق المنتشر

كالعهن : كالصوف المصبوغ ألوانا

المنفوش : المفرق بالأصابع ونحوها

ثقلت : رجحت

فأمه : فمأواه ومسكنه

هاوية : الطبقة السابعة من النار

التفسير:

تبدأ السورة الكريمة بقول الله عز وجل ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ أى يوم القيامة

وأى شيء هي؟ إنها من الفظاعة بحيث لا يدركها خيال ولا يبلغها وهم إنسان فهى أعظم من أن توصف أو تصور ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ أى شيء أعلمك ما شأن القارعة في هولها على النفوس؟ إنها لا تقرع القلوب فحسب بل تؤثر في الأجرام العظيمة فتؤثر في السموات بالانشقاق وفى الأرض بالزلزلة، وفى الجبال بالدك والنسف قال أبو السعود سميت القيامة قارعة لأنها تقرع القلوب والأسماع لفنون الأهوال والأفزاع ووضع الظاهر موضع الضمير ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ تأكيد هولها ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾؟ بيان خروجها عن دائرة علوم الخلق، بحيث لا تكاد تنالها دراية أحد[1].

وبعد هذا التخويف والتشويق إلى معرفة شيء من أهوالها، جاء التوضيح والبيان بقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ أى ذلك يحدث عندما يخرج الناس من قبورهم فزعين، كأنهم فراش متفرق منتشر هنا وهناك، يموج بعضهم في بعض من شدة الفزع والحيرة ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ هذا هو الوصف الثانى من صفات ذلك اليوم المهول أى وتصير الجبال كالصوف المنتشر المتطاير في الجو حتى تكون كالصوف المتطاير عند قيامها قال الصاوى: وإنما جمع بين حال الناس وحال الجبال، تنبيها على أن تلك القارعة أثرت في الجبال العظيمة الصلبة حتى تصير كالصوف المنفوش مع كونها غير مكلفة، فكيف حال الإنسان الضعيف المقصود بالتكليف والحساب[2] ثم ذكر حالة الناس في ذلك اليوم وانقسامهم إلى شقى وسعيد. ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أى رجحت موازين حسناته وزادت على سيئاته ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أى فهو في عيش هنئ رغيد سعيد في جنات الخلد والنعيم ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أى نقصت حسناته عن سيئاته، أو لم يكن له حسنات يعتد بها ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ أى فمسكنه ومصيره نار جهنم يهوى في قعرها سماها أما لأن الأم مأوى الولد ومفزعه، فنار جهنم تؤوى هؤلاء المجرمين كما يأوى الأولاد إلى أمهم، وتضمهم إليها كما تضم الأم الأولاد إليها قال أبو السعود: "هاوية" اسم من أسماء النار، سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها، روى أن أهل النار يهوون فيها سبعين خريفا[3] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ

---

(١) أبو السعود ٢٨١/٥.

(٢) حاشية الصاوى ٣٤٧/٤.

(٣) تفسير أبى السعود ٢٨٢/٥

﴿ مَا هِيَهْ ﴾؟ استفهام للتفخيم والتهويل أى وما أعلمك ما الهاوية؟ ثم فسرها بقوله ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ أى هي نار شديدة الحرارة، قد خرجت عن الحد المعهود فإن حرارة أى نار إذا سعرت وألقى فيها أعظم الوقود لا تعادل نار جهنم، أجارنا الله منها بفضله وكرمه.

الإعراب:

ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ	القارعة مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة، ما اسم استفهام للتعظيم فى محل رفع مبتدأ ثان، القارعة خبر المبتدأ الثانى وجملة المبتدأ الثانى وخبره فى محل رفع خبر المبتدأ الأول جملة اسمية والرابط هو إعادة المبتدأ بلفظه.
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ	الواو عاطفة، ما اسم استفهام للتعظيم فى محل رفع مبتدأ وجملة أدراك جملة فعلية فى محل رفع خبر، وجملة ما القارعة فى محل نصب مفعول أدراك الثانى والثالث لأن أدرى تنصب ثلاثة مفاعيل.
يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ	يوم ظرف منصوب بمضمر دلت عليه القارعة، يكون مضارع مرفوع، الناس اسم يكون مرفوع كالفراش جار ومجرور فى محل رفع خبر يكون المبثوث نعت مجرور وجملة يكون الناس فى محل جر بالإضافة للظرف ويجوز أن تكون "يكون" تامة والناس فاعل وكالفراش فى محل نصب حال.
وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ	الآية معطوفة على ماسبق وبنفس الإعراب.
فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ	الفاء تفريعية، وأما حرف شرط وتفصيل، من اسم موصول فى محل رفع مبتدأ وجملة ثقلت موازينه صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، فهو الفاء رابطة لما فى الموصول من معنى الشرط، هو مبتدأ ثان، فى عيشة خبر المبتدأ الثانى وضميره فى محل رفع خبر المبتدأ الأول.

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ	الآية معطوفة على الآية السابقة : أمه مبتدأ ، هاوية خبر مرفوع والجملة فى محل رفع خبر من.
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ	الواو عاطفة ، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ ، أدراك هى الخبر جملة فعلية ، وماهية المفعول الثانى والثالث لأدراك.
نَارٌ حَامِيَةٌ	نار خبر لمبتدأ محذوف تقديره هى وحامية نعت مرفوع.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها :

- التشبيه المرسل المجمل فى قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ حيث ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه ومثله قوله تعالى ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ أى فى تطايرها وخفة سيرها.
- المجاز العقلى فى قوله تعالى ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أى راض بها صاحبها ففيه إسناد مجازى.
- الاستفهام فى قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ وكذلك فى قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾ والغرض من الاستفهام التفخيم والتهويل.
- وضع الظاهر مكان المضمر فى قوله تعالى ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ وذلك للتخويف والتهويل والأصل أن يقال القارعة ما هى.
- المقابلة بين قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ وبين قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾.
- الاحتباك وهو أن يحذف من كل نظير ما أثبته فى الأمر فى قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ حيث حذف من الأولى "فأما الجنة" وذكر فيها عيشة راضية وحذف فى الثانية "فهو فى عيشة ساخطة" فأمه هاوية" فحذف من كل نظير ما أثبته فى الأمر وهو من المحسنات البديعة.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

(١٠٢) سورة التكاثر

في رحاب السورة الكريمة

سورة كريمة آياتها ثمان نزلت بعد سورة الكوثر وهي تتحدث عن انشغال الناس بمغريات الحياة وتكالبهم على جمع المال وحطام الدنيا وزخرفها الزائل حتى يفاجئهم الموت، وعندئذ لا ينفع الندم وقد تكرر في السورة الزجر والإنذار والتخويف تنبيها لهم على خطئهم بانشغالهم بالفانية عن الباقية يقول الشاعر:

الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

ثم ختمت السورة ببيان المخاطر والأهوال التي يلقاها الإنسان في الآخرة ولا ينجو منها إلا المؤمن الصالح.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ⑧ ﴾

معاني المفردات:

ألهاكم: شغلكم عن طاعة ربكم — التكاثر: التباهي بكثرة نعم الدنيا

علم اليقين: العلم اليقيني — عين اليقين: نفس النعيم

النعيم: ما يتلذذ به الإنسان في الدنيا

التفسير:

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ أي شغلكم أيها الناس التفاخر بالأموال والأولاد والرجال عن طاعة الله، وعن الاستعداد للآخرة ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ أي حتى أدرككم الموت، ودفنتم في المقابر، قال القرطبي: المعنى شغلكم المباهاة بكثرة المال والأولاد عن طاعة

الله، حتى دفنتم في القبور[1] ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ زجر وتهديد أي ارتدعوا أيها الناس وانزجروا عن الاشتغال بما لا ينفع ولا يفيد، فسوف تعلمون عاقبة جهلكم وشرككم ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وعيد إثر وعيد، زيادة في الزجر والتهديد قال ابن عباس "كلا سوف تعلمون" ما يترل بكم من العذاب في القبر ثم "كلا سوف تعلمون" أي في الآخرة إذا حل بكم العذاب[2] ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ أي ارتدعوا وانزجروا فلو علمتم العلم الحقيقي الذي لا شك فيه ولا امتراء، وجواب "لو" محذوف لقصد التهويل أي لو عرفتكم ذلك لما ألهاكم التكاثر بالدنيا عن طاعة الله وفي الحديث الشريف "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا"[3] ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ أقسم وأوكد بأنكم ستشاهدون الجحيم عيانا ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ أي ثم لترونها رؤية حقيقية بالمشاهدة العينية قال في البحر: زاد التوكيد بقوله ﴿ عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ نفيا لتوهم المجاز في الجملة الأولى[4] ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ أي ثم لتسألن في الآخرة عن نعيم الدنيا من الأمن والصحة وسائر ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومركب ومفرش.

أسباب النزول

قال مقاتل: نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم كان بينهم عداء "فتعاند السادة والأشراف أهم أكثر، فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيدا وعزا وعزيزا وأعظم نفرا، وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوا موتاهم فكثرهم بنو سهم لأنهم كانوا أكثر عددا في الجاهلية وقال قتادة: نزلت في اليهود قالوا: نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا[5].

---

(١) القرطبي ٢٠/٦٨ وقال ابن كثير: شغلكم حب الدنيا ونعيمها عن طلب الآخرة وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم / الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها.

(٢) القرطبي ٢٠/١٧٢.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري.

(٤) البحر المحيط ٨/٥٠٨.

(٥) أسباب النزول للنيسابوري ص ٥٠٦ طبعة دار الغد العربي.

الإعراب:

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ	ألهاكم فعل ماض مبنى والضمير فى محل نصب مفعول به مقدم، التكاثر فاعل مؤخر مرفوع، حتى حرف غاية وجر ويجوز أن تكون عاطفة وهى بمثابة الغاية للإلهاء، زرتم فعل ماض مبنى والتاء فاعل والميم علامة الجمع، المقابر مفعول به منصوب.
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ	كلا حرف ردع وزجر، سوف حرف استقبال، تعلمون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، ثم حرف عطف، كلا سوف تعلمون عطف على ما قبلها وبنفس الإعراب.
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ	كلا حرف ردع وزجر والتكرير للتأكيد دلالة على أن الإنذار الثانى أبلغ وأشد من الأول، لو أداة شرط غير جازمة وجوابها محذوف يعنى لو تعلمون ما أمامكم من هول لفعلتم ما لا يمكن وصفه، تعلمون فعل الشرط مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، والمفعول محذوف تقديره عاقبة ذلك التباهى والتفاخر والتكاثر علم اليقين مصدر قيل وأصله العلم اليقين فهو من باب إضافة الموصوف إلى صفته[1] "لترون" هو الجواب أنه محقق الواقع واللام جواب قسم محذوف، ترون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالى الأمثال، الجحيم مفعول به والفاعل مستتر تقديره أنتم.
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ	عطف على ما تقدم وعين اليقين نعت على إنها صفة لمصدر محذوف أى لترونها رؤية عين اليقين، وصفت الرؤية التى هى سبب اليقين بكونها عين اليقين.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش المجلد العاشر ص ٥٦٩.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾	عطف أيضا على ما سبق، وتسألن مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالى الأمثال، وواو الفاعل حذفت لالتقاء ساكنين والنون نون التوكيد الثقيلة، يومئذ ظرف مضاف لمثله، عن النعيم جار ومجرور متعلقان بتسألن.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الكناية فى قوله تعالى ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ حيث كنىّ عن الموت بزيارة القبور والمراد حتى متم.
- الطباق بين "النعيم - الجحيم".
- الإطناب بتكرار الفعل "لترون" ثم قوله "لترونها" لبيان شدة الهول.
- الوعظ والتوبيخ فى قوله تعالى ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ فقد خرج الخبر عن حقيقته إلى التذكير والتوبيخ.
- حذف جواب "لو" بالتهويل فى قوله تعالى ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ أى لرأيتم ما تشيب له الرءوس.
- التكرار للتهديد والإنذار فى قوله تعالى ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وعطفه يتم للتنبيه على أن الثانى أبلغ من الأول.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(١٠٣) سورة العصر

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها ثلاث نزلت بعد سورة الشرح، موجزة توضح سبب سعادة الإنسان وشقائه ونجاحه في الحياة أو خسرانه أقسم الله عز وجل بالعصر، وهو الزمان الذى ينتهى فيه عمر الإنسان وما فيه من أصناف العجائب والعبر الدالة على قدرة الله وحكمته على أن جنس الإنسان فى خسارة ونقصان إلا من اتصف بالأوصاف الأربعة وهى "الإيمان والعمل الصالح، والتواصى بالحق، والاعتصام بالصبر "وهى أسس الفضيلة وأساس الدين. قال الإمام الشافعى رحمه الله: لو لم ينزل الله إلا هذه السورة لكفت الناس.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③ ﴾

معاني المفردات:

العصر: صلاة العصر أو عصر النبوة

لفى خسر: خسران ونقصان

تواصوا: أوصى بعضهم بعضا

التفسير:

﴿ وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ أى أقسم بالدهر والزمان لما فيه من أصناف الغرائب والعبر والعظات على أن الإنسان فى خسران لأنه يفضل العاجلة على الآجلة وتغلب عليه الأهواء والشهوات قال ابن عباس: العصر هو الدهر أقسم تعالى به لاشتماله على أصناف العجائب وقال قتادة: العصر هو آخر ساعات النهار، أقسم به

كما أقسم بالضحى لما فيه من دلائل القدرة الباهرة والعظة البالغة[1] قال القرطبي: أقسم الله عز وجل بالعصر ــ وهو الدهر ــ لما فيه من البينة بتصرف الأحوال وتبدلها، وما فيه من الدلالة على الصانع: وقيل: هو قسم بصلاة العصر لأنها أفضل الصلوات[2] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أى جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال فهؤلاء هم الفائزون لأنهم باعوا الخسيس بالنفيس، واستبدلوا الباقيات الصالحات عوضا عن الشهوات العاجلات ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ ﴾ أى أوصى بعضهم بعضا بالحق وهو الخير كله من الإيمان والتصديق، وعبادة الرحمن ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ أى وتواصوا بالصبر على الشدائد والمصائب وعلى فعل الطاعات وترك المحرمات، وحكم الله تعالى بالخسار على جميع الناس إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة "الإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر" فإن نجاة الإنسان لا تكون إلا بهذه الأمور الأربعة حيث يكون قد جمع بين حق الله تعالى وحق العباد وهذا هو السر فى تخصيص الأمور الأربعة.

الإعراب:

وَٱلۡعَصۡرِ	الواو حرف قسم وجر، والعصر مقسم به مجرور والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف.
إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِى خُسۡرٍ	إن حرف توكيد ونصب، الإنسان اسم إن منصوب اللام المزحلقة فى حرف جر، خسر اسم مجرور وشبه الجملة فى محل رفع خبر إن وجملة إن واسمها وخبرها جواب القسم لا محل لها من الإعراب.
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ	إلا أداة استثناء الذين اسم موصول مستثنى من الإنسان لأنه اسم جنس وجملة آمنوا فعل وفاعل صلة الموصول لا محل لها من الإعراب وعملوا عطف على آمنوا، الصالحات مفعول به منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة جمع مؤنث سالم وتواصوا، فعل ماض مبنى والواو فاعل والجملة معطوفة على عملوا بالحق

(١) البحر ٥٠٩/٨.

(٢) القرطبي ١٧٩/٢٠.

جار ومجرور متعلقان وتواصوا، وتواصوا بالصبر عطف على ما قبلها وبنفس الإعراب.	

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها :

- إطلاق البعض وإرادة الكل حيث قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ والمراد الناس بدليل الإستثناء.
- التنكير للتعظيم فى قوله تعالى ﴿ لَفِى خُسۡرٍ ﴾ أى فى خسر عظيم ودمار شديد.
- الإطناب بتكرار الفعل فى قوله تعالى ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾.
- ذكر الخاص بعد العام فى قوله تعالى ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ بعد قوله بالحق فإن الصبر داخل فى عموم الحق إلا أنه أفرده بالذكر إشادة بفضيلة الصبر.
- السجع الجميل غير المتكلف مثل "العصر ــ الصبر ــ خسر" وهو من المحسنات البديعية.

❖ ❖ ❖

(١٠٤) سـورة الهمـزة

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها تسع نزلت بعد سورة القيامة وقد تحدثت عن الذين يعيبون الناس ويأكلون أعراضهم بالطعن والانتقاص والازدراء بالسخرية والاستهزاء كما ذمت الذين يشتغلون بجمع المال وتكديس الثروات كأنهم مخلدون فى الحياة معتقدين أن المال هو الذى سيخلدهم وختمت السورة الكريمة بذكر عاقبة هؤلاء البغاة والأشقياء حيث يدخلون نارا لا تخمد أبدا تحطم المجرمين ومن يلقى فيها من البشر لأن الحطمة نار مستعرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩ ﴾

معانى المفردات:

ويل : هلكة أو حسرة

همزة لمزة : طعّان عياب للناس

عدّده : أحصاه أو أعده للنوائب

أخلده : يخلده فى الدنيا

لينبذن ليطرحن

الحطمة : جهنم لحطمها من فيها

تطلع على الأفئدة : يبلغ ألمها أوساط القلوب

مؤصدة : مطبقة مغلقة

فى عمد ممددة : بعمد ممدودة على أبوابها.

التفسير:

﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ أى عذاب شديد وهلاك ودمار لكل من يغيب الناس ويغتابهم ويطعن فى أعراضهم، أو يلمزهم سرّا بغيبة أو حاجية قال المفسرون: نزلت

السورة "في الأخنس بن شريق" لأنه كان كثير الوقيعة في الناس، يلمزهم ويعيبهم مقبلين مدبرين والحكم عام لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1] ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ﴾ أي الذي جمع مالا كثيرا وأحصاه وحافظ على عدده لئلا ينقص بفعل الخيرات قال الطبري: أي أحصاه وعدده ولم ينفقه في سبيل الله ولم يؤد حق الله فيه ولكن جمعه فأوعاه وحفظه[2] ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ أي يظن هذا الجاهل لفرط غفلته أن ماله سيتركه مخلدا في الدنيا لا يموت ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴾ أي ليرتدع عن هذا الظن فوالله ليطرحن في النار التي تحطم كل ما يلقى فيها وتلتهمه ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴾ تفخيم وتهويل لشأنها أي وما الذي أعلمك ما حقيقة هذه النار العظيمة؟ إنها الحطمة التي تحطم العظام وتأكل اللحم حتى تهجم على القلب ثم فسرها بقوله ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴾ أي هي نار الله المسعرة بأمره تعالى وإرادته ليست كسائر النيران فإنها لا تخمـــد أبدا ﴿ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ أي التي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب فتحرقها قال القرطبي: وخص الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه فإنهم في حال من يمـــوت وهم لا يموتون كما قال الله تعالى "لايموت فيها ولا يحيا" فهم إذا أحياء في معنى الأموات[3] ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أي إن جهنم مطبقة مغلقة عليهم، لا يدخل إليهم روح ولا ريحان ﴿ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ أي وهم موثقون في سلاسل وأغلال، تشد بها أيديهم وأرجلهم، بعد إطباق أبواب جهنم عليهم، فقد يئسوا من الخروج بإطباق الأبواب عليهم وتمدد العمد إيذانا بالخلود إلى غير نهاية.

الإعراب:

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ	ويل مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة، لكل همزة، لكل جار ومجرور همزة مضاف إليه وشبه الجملة في محل رفع خبر المبتدأ، وجاز الابتداء بنكرة لأنه تضمن معنى الدعاء عليهم بالهلكة، وابن خالوية يرى أن النكرة إذا قربت من المعرفة صلح الابتداء بها نحو خير من زيد رجل من بني تميم، ورجل في الدار قائم.

(١) القرطبي ١٨٣/٢٠.

(٢) تفسير الطبري ١٨٩/٣٠.

(٣) تفسير القرطبي ١٨٥/٢٠ والآية الكريمة من سورة الأعلى.

ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ	الذى بدل من كل أو نصب بفعل محذوف على الذم وأعربها ابن خالوية نعتًا لكل همزة لمزة وجملة صلة للذى لا محل لها من الإعراب.
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ	يحسب مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ، أن حرف توكيد ونصب ماله اسم إن منصوب ، أخلده فعل ماض مبنى والهاء فى محل نصب مفعول به وجملة أخلده فى محل رفع خبر إن وما فى حيزها سدت مسد مفعولى يحسب وجملة يحسب فى محل نصب حال من فاعل جمع أي حاسبا وظانا أن ماله سيخلده.
كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ	كلا حرف ردع وزجر، لينبذن اللام جواب لقسم محذوف ينبذن مضارع مبنى للمجهول مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو والجملة لا محل لها لأنها جواب قسم فى الحطمة جار ومجرور متعلقان بينبذن وما أدراك الواو حرف عطف ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ وجملة أدراك جملة فعلية فى محل رفع خبر ما الحطمة ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ الحطمة خبر مرفوع والجملة الاسمية المعلقة بالاستفهام سدت مسد مفعول أدراك الثاني وسبق إعراب مثيلها نارُ الله خبر لمبتدأ محذوف أى هى نار الله الموقدة نعت مرفوع للنار وجملة "نار الله الموقدة" إن شئت جعلت النار بدلا وإن شئت رفعتها بخبر مبتدأ مضمر أى هى نار الله واسم الله تعالى جر بالإضافة.
ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ	التى اسم موصول نعت للنار، ويجوز أن تكون فى محل رفع أيضا خبر لمبتدأ محذوف وجملة تطلع صلة الموصول لا محل لها من الإعراب وفاعل تطلع ضمير مستتر تقديره هى ، يعود على النار وعلى الأفئدة جار ومجرور متعلقان بتطلع.

إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۞ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۞	إن واسمها، عليهم جار ومجرور متعلقان بمؤصدة وهى خبر إنَّ مرفوع وفى عمد صفة لمؤصدة وإليه ذهب أبو البقاء فتكون النار داخل العمد وقيل بمحذوف خبر لمبتدأ مضمر ورجح السَّمين أن يكون حالا من الضمير فى عليهم أى موثقين وممدة نعت للعمد.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- صيغة المبالغة ﴿ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ لأن بناء فُعَلة يدل على إنها عادة مستمرة.
- التنكير للتفخيم ﴿ جَمَعَ مَالًا ﴾ أى مالا كثيرا لا يكاد يحصى.
- التفخيم والتهويل ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴾ تهويلا لشأن جهنم.
- الجناس غير التام بين "همزة" و "لمزة" ويسمى الجناس الناقص.
- السجع غير المتكلف في السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(١٠٥) سورة الفيل

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها خمس، نزلت بعد سورة الكافرون، تتحدث عن قصة أصحاب الفيل، حين قصدوا هدم الكعبة المشرفة فردهم الله مخذولين وجعل كيدهم في نحورهم وحمى بيته من تسلطهم وطغيانهم، وأرسل على جيش أبرهة الأشرم وجنوده الطير الأبابيل التي كانت تحملها في أرجلها ومناقيرها حجارة صغيرة، ولكنها أشد فتكا وتدميرا من الرصاصات القاتلة حتى أهلكهم الله وأبادهم، وكان ذلك الحدث عام مولد الرسول ﷺ عام سبعين وخمسمائة ميلادية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾

معاني المفردات:

يجعل كيدهم: سعيهم لتخريب الكعبة المشرفة   تضليل: تضييع وإبطال

طيرا أبابيل: جماعات متفرقة   سجيل: طين متحجر محروق

كعصف مأكول: كتبن أكلته الدواب وراثته

التفسير:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ أي ألم يبلغك يا محمد ماذا صنع الله العظيم الكبير بأصحاب الفيل الذين قصدوا الاعتداء على بيت الله الحرام؟ قال المفسرون: روى أن "أبرهة الأشرم" ملك اليمن، بنى كنيسة بصنعاء وأراد أن يصرف إليها

الحجيج، فجاء رجل من كنانة وتغوط فيها ليلا ولطخ جدرانها بالنجاسة احتقارا لها فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة، جاء مكة بجيش كبير على أفيال يتقدمهم فيل هو أعظم الفيلة فلما وصل قريبا من مكة فر أهلها إلى الجبال خوفا من جنده وجبروته أرسل الله تعالى على جيش أبرهة طيورا سودا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجر في منقاره وحجران في رجليه، فرمتهم الطيور بالحجارة فكان الحجر يحل في رأس الرجل ويخرج من دبره فيرميه جثة هامدة، حتى أهلكهم الله ودحرهم عن آخرهم وكانت قصتهم عبرة للمعتبرين[1] قال ابن مسعود: وتعليق الرؤية بكيفية فعله جل وعلا ﴿ كَيْفَ فَعَلَ ﴾ لا بنفسه بأن يقال "ألم تر ما فعل ربك" الخ لتهويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وشرف رسول الله ﷺ فإن من الارهاصات لما روى أن القصة وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول ﷺ[2] ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ أي ألم يهلكهم ويجعل مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة في ضـــياع وخســـار؟ ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ أي وسلط عليهم من جنوده طيرا أتتهم جماعات متتابعة بعضها في إثر بعض، وأحاطت بهم من كل ناحية ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ أي تقذفهم بحجارة صغيرة من طين متحجر كأنها رصاصات ثقابة لا تصل إلى أحد إلا قتلته؟ ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ أي فجعلهم كورق الشجر الذي عصفت به الريح وأكلته الدواب ثم راثته فأهلكهم عن بكرة أبيهم وهذه القصة تدل على كرامة الله للكعبة وإنعامه على صرف ذلك العدو العظيم عام مولده السعيد عليه الصلاة والسلام، إرهاصا بنبوته إذ مجيء تلك الطيور على الوصف المنقول من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين أيدي الأنبياء عليهم السلام وقد أهلكهم الله تعالى بأضعف جنوده وهي الطير التي ليست من عادتها أنها تقاتل[3].

---

(١) التفسير الكبير ٣١/٩٦ والقرطبي ٢٠/٥١٢.

(٢) تفسير أبو السعود ٥/٢٨٥.

(٣) البحر المحيط ٨/٥١٢.

الإعراب:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ	الهمزة للاستفهام التقريرى، لم حرف نفى وجزم وقلب، تر فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف العلة، كيف اسم استفهام فى محل نصب على المصدرية أو الحالية واختار الأول ابن هشام فى المغنى حيث قال وعندى بأنها تأتى فى هذا النوع مفعولا مطلقا أيضا والجملة المعلقة بالاستفهام سدت مسد مفعولى تر لأن الرؤية قلبية تفيد العلم الضرورى المساوى فى القوة والجلاء للمشاهدة والعيان، بأصحاب الفيل الجار والمجرور متعلقان بفعل والفيل مضاف إليه مجرور.
أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ	الهمزة للاستفهام التقريرى، لم حرف نفى وجزم وقلب يجعل مضارع مجزوم بالسكون والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل، كيدهم مفعول به أول والضمير فى محل جر بالإضافة، فى تضليل جار ومجرور فى محل نصب مفعول به ثان.
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ	الواو حرف عطف أرسل فعل ماض مبنى، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى، عليهم جار ومجرور متعلقان بأرسل طيرا مفعول به منصوب أبابيل نعت منصوب لطير لأنه اسم جمع.
تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ	ترميهم فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل مستتر تقديره هى والضمير فى محل نصب مفعول به، بحجارة جار ومجرور متعلقان بترميهم، من سجيل جار ومجرور نعت لحجارة.
فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ	الفاء عاطفة، جعلهم فعل ماض مبنى والفاعل مستتر والضمير فى محل نصب مفعول به أول كعصف جار ومجرور فى محل نصب مفعول به ثان، مأكول نعت مجرور.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الاستفهام في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ والمراد به التقرير والتعجب.
- الإضافة إلى ذات الله تعالى في قوله ﴿ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ لتشريف النبي ﷺ والإشادة بقدره.
- التشبيه المرسل المجمل في تعالى ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ حيث ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه.
- السجع الجميل غير المتكلف في السورة كلها.

◆ ◆ ◆

(١٠٦) سورة قريش

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها أربع نزلت بعد سورة التين، تتحدث عن نعم الله الجليلة على أهل مكة حيث كان لهم رحلتان رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام وهما للتجارة وقد أكرم الله قريشًا بنعمتين هما: نعمة الأمن والاستقرار ونعمة الغنى واليسر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾

معاني المفردات:

لإيلاف قريش: لجعلهم آلفين الرحلتين.

التفسير:

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ هذه اللام متعلقة بالفعل الذى بعدها "فليعبدوا" ومعنى "الإيلاف" الإلف والاعتياد يقال ألف الرحل الأمر إلفا وإلافا والمعنى من أجل تسهيل الله عز وجل على قريش وتيسيره لهم ما كانوا يألفونه من الرحلة فى الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام كما قال تعالى ﴿ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾ أى فى رحلتى الشتاء والصيف حيث كانوا يسافرون للتجارة ويأتون بالأطعمة والثياب، ويربحون فى الذهاب والإياب، وهم آمنون مطمئنون لا يتعرض لهم أحد بسوء، لأن الناس كانوا يقولون هؤلاء جيران بيت الله ومساكن حرمه وهم أهل الله لأنهم ولاة الكعبة ولما أهلك الله أصحاب الفيل ورد كيدهم فى نحورهم ازداد وقع أهل مكة فى القلوب

وازداد تعظيم الأمراء والملوك لهم، فازدادت تلك المنافع والمتاجر، فلذلك جاء الامتنان على قريش ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴾ أى فليعبدوا الله العظيم الجليل، رب هذا البيت العتيق، وليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة الجلية التي خصهم بها، قال المفسرون: وإنما دخلت الفاء "فليعبدوا" لما في الكلام من معنى الشرط كأنه قال: إن لم يعبدوه لسائر نعمته فليعبدوه من أجل إيلافهم الرحلتين ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ أى أن هذا الإله العظيم هو سبحانه الذى أطعمهم بعد شدة جوع وآمنهم بعد شدة خوف يقول الله عز وجل "أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم"[1] وذلك ببركة دعاء أبيهم الخليل إبراهيم عليه السلام حيث قال "رب اجعل هذا بلدا آمنا"[2] وقوله سبحانه "وارزقهم من الثمرات"[3] أفلا يجب على قريش أن يفردوا بالعبادة هذا الإله الجليل الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف[4]

الإعراب:

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ	لإيلاف اللام متعلقة بقوله فيما بعد "فليعبدوا" كأنه قال فإن لم يعبدوا الله لسائر النعم السابقة عليهم المترادفة فليعبدوه لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف وهى نعمة سابقة أتاحت لهم الاتجار وضمنت لهم ميسور الرزق وإيلاف مصدر آلف بوزن أكرم يقال آلفته أولفه إيلافا وقال الخليل والبصريون اللام لام الإضافة متصلة بفليعبدوا والتقدير: فليعبدوا رب هذا البيت لأن منّ عليهم بإيلاف قريش وصرف عنهم شر أصحاب الفيل وقال السمرى والفراء: يجوز أن تكون اللام لام التعجب :انه قال أعجبنا يا محمد لإيلاف قريش قريش مضاف إليه مجرور[5].

(١) الآية (٦٧) سورة العنكبوت.

(٢) الآية (١٢٦) سورة البقرة.

(٣) الآية (٣٧) سورة إبراهيم.

(٤) صفوة التفاسير للأستاذ محمد علي الصابوني ص ١٧٧٢.

(٥) إعراب القرآن الكريم لمحى الدين الدرويش ص ٥٩٠ المجلد العاشر.

إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ	إيلافهم بدل من لايلاف بدل مقيد من مطلق أطلق الإيلاف في الأول وقيده في الثاني برحلتي الشتاء والصيف تفخيما لأمر الإيلاف وتعظيما له، رحلة مفعول به للمصدر، الشتاء مضاف إليه مجرور والصيف معطوف على الشتاء.
فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ	الفاء هي الفصيحة لأنها وقعت في جواب شرط مقدر اللام لام الأمر، ليعبدوا مضارع مجزوم باللام والواو فاعل، رب مفعول به منصوب هذا اسم إشارة مبنى في محل جر بالإضافة البيت بدل مجرور.
ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ	الذى اسم موصول نعت لرب أو بدل منه وجملة أطعمهم صلة لا محل لها ومن جوع متعلق بأطعمهم ومن تعليلية أى أنعم عليهم وأطعمهم لإزالة الجوع عنهم فلابد من تقدير مضاف أى من أجله وكذلك آمنهم من خوف.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الطباق بين "الشتاء والصيف" وبين "الجوع والإطعام" وبين "الأمن والخوف".
- الإضافة للتكريم والتشريف ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾.
- تقديم ما حقه التأخير ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ والأصل ليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف "فقدم الإيلاف تذكيرا بالنعمة.
- التنكير في لفظة "الجوع" ولفظة "خوف" لبيان شدتهما أى جوع شديد وخوف عظيم.

❖ ❖ ❖

(١٠٧) سـورة الماعـون

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها سبع نزلت بعد سورة التكاثر تحدثت بإيجاز عن فريقين من البشر هما.

- الكافر الجاحد لنعم الله المكذب بيوم الحساب والجزاء.
- المنافق الذى لا يقصد بعمله وجه الله بل يرائى فى أعماله وصلاته.

فالفريق الأول: صفاته ذميمة يهينون اليتيم ويزجرونه غلظة لا تأديبا ولا يفعلون الخير فلاهم أحسنوا فى عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه.

والفريق الثانى: فهم المنافقون الغافلون عن صلاتهم الذين لا يؤدونها فى أوقاتها والذين يقومون بها مرائين بأعمالهم وقد توعدتهم السورة بالويل والهلاك.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦
وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾

معانى المفردات:

أرأيت: هل عرفت — يكذب بالدين: يجحد وينكر الجزاء

يدع اليتيم: يدفعه دفعا عنيفا عن حقه — لايحض: لا يحث ولا يبعث أحد

فويل: هلاك أو حسرة — ساهون: غافلون غير مبالين بها

يراءون: يقصدون الرياء بأعمالهم

يمنعون الماعون: العارية المعتادة بين الناس بخلا

التفسير:

تبدأ السورة الكريمة بقوله ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ أستفهام للتعجب والتشويق أى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء والحساب فى الأخرة؟ هل عرفت من هو؟ وما أوصافه؟ إن أردت معرفته ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ أى فذلك هو الذى يدفع اليتيم دفعا عنيفا بجفوة وغلظة ويقهره ويظلمه ولا يعطيه حقه ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ أى ولا يحث على إطعام المسكين قال أبو حيان: وفى قوله "ولا يحض" إشارة إلى أنه هو لا يطعم إذا قدر، وهذا من باب أولى لأنه إذا لم يحض غيره بخلا، فلأن يترك هو ذلك فعلا أولى وأحرى[1] وقال الرازى فإن قيل لم قال "ولا يحض على طعام المسكين" ولم يقل: ولا يطعم المسكين؟ فالجواب أنه إذا منع اليتيم حقه فكيف يطعم المسكين من مال نفسه؟ بل هو بخيل من مال غيره وهذا هو النهاية فى الخسة، ويدل على نهاية بخله وقساوة قلبه وخساسة طبعه[2] ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ أى هلاك وعذاب للمصلين المنافقين المتصفين بهذه الأوصاف القبيحة ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ أى الذين هم غافلون عن صلاتهم بل يؤخرونها عن أوقاتها ــ قال ابن عباس: هو المصلى الذى إن صلى لم يرج لها ثوابا وإن تركها لم يخش لها عقابا[3] وقد سئل رسول الله ﷺ عن الآية فقال "هم الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها[4] قال المفسرون لما قال تعالى ﴿ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ "بلفظة" عن "علم أنها فى المنافقين ولهذا قال بعض السلف الحمد لله الذى قال "عن صلاتهم" ولم يقل "فى صلاتهم" لأنه لو قال "فى صلاتهم" لكانت فى المؤمنين، والمؤمن قد يسهو فى صلاته، والفرق بين السهوين واضح، فإن سهو المنافق سهو ترك وقلة التفات إليها فهو لا يتذكرها ويكون مشغولا عنها والمؤمن إذا سها فى صلاته تداركه فى الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق فى السهوين ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾ أى يصلون أمام الناس رياء ليقال أنهم صلحاء ويتخشعون ليقال إنهم أتقياء، ويتصدقون ليقال أنهم كرماء، وهكذا سائر أعمالهم

---

(١) البحر المحيط ٥١٧/٨.

(٢) التفسير الكبير ١٦٢/٣١.

(٣) القرطبى ٢١١/٢٠.

(٤) الطبرى ٢٠٣/٣٠.

للشهرة والرياء ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ أى ويمنعون الناس المنافع اليسيرة من كل ما يستعان به كالإبرة والفأس والقدر والملح والماء وغيرها قال مجاهد: الماعون العارية للأمتعة وما يتعاطاه الناس، وقال الطبرى أى يمنعون الأشياء القليلة الحقيرة فإن البخل بها نهاية البخل وهو مخل بالمروءة[1].

الإعراب:

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ	الهمزة للاستفهام، وهى مع ما رأيت بمعنى أخبرنى وقد تقدم ذلك ويجوز أن تكون الرؤية قلبية فتعدى لمفعولين أحدهما الموصول والثانى محذوف، وقيل الرؤية بصرية فلا حاجة إلى تقدير مفعول به وجملة يكذب صلة الموصول لا محل لها بالدين جار ومجرور متعلقان بيكذب.
فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ	الفاء هى الفصيحة لأنها جواب شرط مقدر والتقدير إن لم تعرفه فذلك، فذلك اسم إشارة فى محل رفع مبتدأ، الذى اسم موصول فى محل رفع خبر، يدع مضارع مرفوع وفاعلة مستتر، اليتيم مفعول به وجملة يدع صلة الوصول لا محل لها من الإعراب.
وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ	الواو عاطفة، لا نافية يحض مضارع مرفوع وفاعلة ضمير مستتر على طعام جار ومجرور متعلقان بيحض، المسكين مضاف إليه مجرور.
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ	الفاء هى الفصيحة أى إذا علمت أنه متصف بهذه الصفات فويل أو إذا كان الأمر كذلك فويل، ويل مبتدأ مرفوع للمصلين هى الخبر.
ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ	الذين اسم موصول فى محل جر نعت للمصلين، وهم ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ عن صلاتهم جار ومجرور متعلقان بساهون وهى الخبر والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة الذين.

(١) الطبرى ٣٠/٢٠٣.

ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ	الذين بدل من الذى الأولى، هم مبتدأ وجملة يراءون خبر "داخلة فى حيز الصلة" ومفعول يمنعون الأول محذوف أى الناس أو المطالبين، والماعون مفعوله الثانى.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الاستفهام فى قوله تعالى ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ وغرضه التشويق لسماع الخبر والتعجب منه.
- الإيجاز بالحذف فى قوله تعالى ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ حيث حذف منه الشرط أى إن أردت أن تعرفه فذلك الذى يدع اليتيم وهذا من أساليب البلاغة.

الذم والتوبيخ فى قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ ووضع الظاهر مكان الضمير "فويل لهم" زيادة فى التوبيخ لأنهم مع التكذيب ساهون عن الصلاة.

- الجناس الناقص فى قوله تعالى ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾.
- السجع الجميل فى السورة كلها وهو من المحسنات البديعية.

❖ ❖ ❖

(١٠٨) سورة الكوثر

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها ثلاث نزلت بعد سورة العاديات تحدثت عن فضل الله العظيم على نبيه الكريم بإعطائه الخير الكثير والنفع العظيم في الدنيا والآخرة ومنها الكوثر وغير ذلك الخير العظيم ودعت السورة الكريمة الرسول إلى إدامة الصلاة ونحر الهدى شكرا الله تعالى وختمت السورة ببشارة الرسول ﷺ بخزى أعدائه ووصفت مبغضيه بالذلة والحقارة في الدنيا والآخرة بينما ذكر الرسول مرفوع على المنابر إلى يوم الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣ ﴾

معاني المفردات:

أعطيناك الكوثر: نهرا في الجنة أو الخير الكثير.

انحر: المراد انحر البدن نسكا شكرا لله تعالى.

شانئك: مبغضك.

الأبتر: المقطوع الأثر.

التفسير:

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ الخطاب للرسول ﷺ تكريما لمقامه الرفيع وتشريفا أي نحن أعطيناك يا محمد الخير الكثير الدائم في الدنيا والآخرة ومن هذا الخير "نهر الكوثر" وهو كما ثبت في الصحيح "نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج من شرب منه شربة لم

يظمأ بعدها أبدا[1] عن أنس قال "بينما رسول الله ﷺ "ذات يوم بين أظهرنا، إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ السورة ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل فيه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، أنيته عدد النجوم فيختلج العبد... أي ينتزع ويقطع منهم فأقول: إنه من أمتي.. فيقال إنك لا تدرى ما أحدث بعدك[2] قال أبو حيّان: وذكر في الكوثر ستة وعشرين قولا والصحيح هو ما فسره به رسول الله ﷺ فقال "هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وعن ابن عباس الكوثر: الخير الكثير[3] ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ أي فصل لربك الذى أفاض عليك من الخير خالصا لوجهه الكريم وانحر الإبل التي هي خيار أموال العرب شكرا لله على ما أولاك ربك من الخيرات والكرامات. كان المشركون يصلون مكاء وتصدية، وينحرون للأصنام فقال الله تعالى لنبيه صل لربك وحده، وانحر لوجهه الكريم لا لغيره ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ أى إن مبغضك يا محمد هو المنقطع عن كل خير، قال المفسرون: لما مات القاسم ابن النبي ﷺ قال العاصى بن وائل" دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له.. أي لا نسل له.. فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأخبر تعالى أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله ولأنه لا يذكر إلا ذكر باللعنة.. أما الرسول ﷺ فإن ذكره خالد إلى يوم القيامة مرفوع على المآذن والمنابر مقرون بذكر الله تعالى.

الإعراب:

إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ	إنا إن والضمير فى محل نصب اسمها، أعطيناك فعل ماض ونا الفاعلين فى محل رفع فاعل والكاف ضمير خطاب فى محل نصب مفعول به أول والكوثر مفعول به ثان.

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) أخرجة مسلم والترمذى.

(٣) البحر ٥١٩/٨ وما ذهب إليه ابن عباس من إنه الخير جامع لأقوال المفسرين فقد أعطى الرسول ﷺ فضائل كثيرة منها النبوة، والكتاب، والحكمة، والعلم، والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الأتباع والنصر على الأعداء وكثرة الفتوحات وغير ذلك.

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ	الفاء عاطفة، صل فعل أمر مبنى علامة بنائه حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت يعود على الرسول ﷺ لربك جار ومجرور متعلقان بصل وانحر الواو عاطفة، انحر فعل أمر مبنى وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة معطوفة على "صل".
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ	إن حرف توكيد ونصب، شانئك اسم إنَّ منصوب والضمير فى محل جر بالإضافةو هو ضمير فصل فى محل رفع مبتدأ، الأبتر خبر مرفوع وجملة المبتدأ والخبر فى محل رفع خبر إن جملة اسمية.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- صيغة الجمع الدالة على التعظيم فى قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ ولم يقل سبحانه إنى أعطيتك.
- بدء الآية بحرف التأكيد الجارى مجرى القسم "إنا" لأن أصلها إن واسمها.
- صيغة الماضى المقيدة فى قوله تعالى "أعطيناك" ولم يقل سنعطيك لأن الوعد لما كان محققا عبَّر عنه بالماضى مبالغة أنه حدث ووقع.
- المبالغة فى لفظة الكوثر.
- الإضافة للتكريم والتشريف "فصل لربك".
- أسلوب القصر فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾.
- المقابلة بين "الكوثر والأبتر" فالكوثر هو الخير الكثير والأبتر هو المنقطع عن كل خير.

وهذه السورة على وجازتها جمعت من البلاغة والبيان فسبحان الله العظيم منزل القرآن الكريم.

❖ ❖ ❖

(١٠٩) سورة الكافـرون

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها ست نزلت بعد سورة الماعون وهي سورة التوحيد والبراءة من الشرك والضلال فقد دعا المشركون رسول الله ﷺ إلى المهادنة فطلبوا منه أن يعبدوا آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة فنزلت السورة تقطع أطماع الكافرين وتفصل في النزاع بين الفريقين أهل الإيمان وعبادة الأوثان وترد على الكافرين فكرتهم السخيفة في الحال والاستقبال.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾

التفسير:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعونك إلى عبادة الأصنام والأوثان والأحجار ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ أي لا أعبد هذه الأصنام والأوثان التي تعبدونها، فأنا بريء من آلهتكم التي لا تضر ولا تنفع ولا تغني عن عبادتها شيئا قال المفسرون: إن قريشا طلبت من الرسول ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، فقال: معاذ الله أن نشرك بالله شيئا فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا تصدقك ويعبدوا إلهك، فنزلت السورة فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رءوسهم فقرأها عليهم فأيسوا منه(١) وآذوه وآذوا أصحابه وفي قوله "قل" دليل على أنه مأمور بذلك من عند الله وخطابه ﷺ بلفظ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ونسبهم إلى

---

(١) روح المعاني للألوسي ٣٠/٢٥٠ وتفسير القرطبي ٢٠/٢٢٥.

الكفر وهو يعلم أنهم يغضبون من أن ينسبوا إلى ذلك.. دليل على أنه من عند الله، فهو لا يبالى بهم ولا بطواغيتهم ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ أى ولا أنتم يا معشر المشركين عابدون إلهى الحق الذى أعبده وهو الله وحده فأنا أعبد الإله الحق وهو الله رب العالمين، وأنتم تعبدون الأحجار والأوثان وشتان بين عبادة الرحمن، وعبادة الهوى والأوثان ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ تأكيد لما سبق من البراءة من عبادة الأحجار وقطع لأطماع الكفار كأنه قال: لا أعبد هذه الأوثان فى الحال ولا فى الاستقبال، فأنا لا أعبد ما تعبدونه أبدا ما عشت، لا أعبد أصنامكم الآن ولا فيما يستقبل من الزمان ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ أى ولستم أنتم فى المستقبل بعابدين إلهى الحق الذى أعبده ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ أى لكم شرككم ولى توحيدى، وهذا غاية فى التبرؤ من عبادة الكفار والتأكيد على عبادة الواحد القهار قال المفسرون: معنى الجملتين الأولتين: الاختلاف التام فى المعبود فإله المشركين الأوثان، وإله محمد الرحمن الرحيم ومعنى الجملتين الأخيرتين الاختلاف التام فى العبادة.

الإعراب:

قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ	قل فعل أمر مبنى على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، يا حرف نداء أى منادى نكرة مقصودة مبنى على الضم فى محل نصب، ها للتنبيه الكافرون بدل من أى أو نعت مرفوع بالواو وجملة النداء فى محل نصب مقول القول.
لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ	لا نافية، أعبد مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنا ما اسم موصول بمعنى الذى فى محل نصب مفعول به، تعبدون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، ويجوز أن تكون ما مصدرية فتكون مؤولة مع ما بعدها بمصدر فى محل نصب مفعول مطلق.
وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ	الجملة معطوفة على ما قبلها، الواو عاطفة لا نافية أنتم ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، عابدون خبر مرفوع بالواو، ما اسم موصول

	بمعنى الذى الذى فى محل نصب مفعول به لاسم الفاعل، اعبد مضارع مرفوع وفاعله مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها، وإن كانت مصدرية فتكون مؤوله مع ما بعدها بمصدر فى محل نصب مفعول مطلق.
وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ	الجملة معطوفة على ما قبلها وبنفس الإعراب تقريبا وللنحويين أراء فيها: **أولا** أنها كلها بمعنى الذى **ثانيا** أنها كلها مصدرية **ثالثا** الأوليان بمعنى الذى والأخريان مصدريتان[1].
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ	سبق إعرابها.
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ	لكم خبر مقدم فى محل رفع، دينكم مبتدأ مؤخر مرفوع ولى دين عطف على ما قبلها.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الخطاب بالوصف ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ للتوبيخ والتشنيع لكفار مكة.
- الطباق بالسلب بين ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ فالأول نفى والثانى إثبات.
- المقابلة بين ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ و ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ أى فى الحال والمقابله بين ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ و ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ فى الاستقبال وفى هذه المقابلة نفى لعبادة الأصنام فى الحال والاستقبال وهو من المحسنات البديعية.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖

[1] إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش ص ٦٠١.

(١١٠) سورة النصر

في رحاب السورة الكريمة

سورة كريمة مدنية آياتها ثلاث نزلت بعد سورة التوبة فى حجة الوداع وهى تتحدث عن فتح مكة الذى أعز الله به الإسلام وانتشر الإسلام فى الجزيرة العربية كلها وبهذا الفتح دخل الناس فى دين الله أفواجا وارتفعت راية الإسلام، واضمحلت ملة الأصنام وكان الإخبار بفتح مكة قبل وقوعه من أظهر الدلائل على صدق محمد ﷺ فى نبوته.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ③ ﴾

معاني المفردات:

نصر الله : عونه لك على الأعداء — الفتح : فتح مكة وغيرها

أفواجا : جماعات — فسبح بحمد ربك : فنزهه تعالى حامدا له.

توابا : كثير القبول لتوبة عباده.

التفسير:

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ يذكره ربُّه بالنعمة والفضل عليه وعلى سائر المؤمنين، والمعنى، إذا نصرك الله يا محمد على أعدائك، وفتح عليك مكة أم القرى، قال المفسرون: إن الإخبار بفتح مكة قبل وقوعه إخبار بالغيب، فهو من أعلام النبوة ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ أى ورأيت العرب يدخلون فى الإسلام جماعات من غير حرب ولا قتال، قال ابن كثير: إن أحياء العرب كانت تنتظر فتح مكة؛ يقولون إن ظهر على قومه فهو نبى فلما فتح الله عليه

مكة دخلوا فى دين الله أفواجا فلم تمض سنتان حتى استوثقت جزيرة العرب إيمانا[1] ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أى فسبح ربك وعظمه مليا بحمده على هذه النعم واشكره على ما أولاك من نصر على الأعداء وفتح البلاد وإسلام العباد ﴿ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ أى اطلب منه المغفرة لك ولأمتك ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ أى إنه جل وعلا كثير التوبة من عباده عظيم الرحمة لهم.

الإعراب:

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ	إذا ظرف زمان للمستقبل تتضمن معنى الشرط جاء فعل الشرط ماض مبنى على الفتح متعلق بسبح، الذى هو جوابها وجملة جاء فى محل جر بالإضافة للظرف، نصر فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، والفتح معطوف مرفوع.
وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا	الواو عاطفة، رأيت فعل ماض مبنى والتاء فاعل، الناس مفعول به أول منصوب يدخلون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة فى محل نصب مفعول به ثان، فى دين جار ومجرور متعلقان بيدخلون، الله مضاف إليه مجرور، أفواجا حال منصوب بالفتحة الظاهرة.
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا	الفاء رابطة لجواب الشرط، سبح فعل أمر مبنى على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت يعود على الرسول ﷺ، بحمد جار ومجرور متعلقان بسبح، ربك مضاف إليه، واستغفره فعل وفاعل ومفعول به معطوف على سبح، إنه إن واسمها كان فعل ماض ناقص اسمها ضمير مستتر تقديره هو، توابا خبر كان منصوب بالفتحة وجملة كان توابا فى محل رفع خبر إنَّ، والجملة تعليلية لما قبلها.

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٣/٦٨٧.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- ذكر الخاص بعد العام ﴿ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ فنصر الله يشمل جميع الفتوحات فعطف على فتح مكة تعظيما لشأنه واعتناء بأمره.

- إطلاق العام وإرادة الخاص ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ ﴾ لفظ الناس عام ويراد به العرب. دين الله هو الإسلام ﴿ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ ﴾ والإضافة إليه سبحانه وتعالى تشريفا وتعظيما مثل بيت الله ناقة الله.

- صيغة المبالغة في قوله "توابا" أي كثير قبول التوبة من عباده المخلصين التائبين.

❖ ❖ ❖

(١١١) سورة المسد

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مكية وتسمى سورة اللهب، آياتها خمس نزلت بعد سورة الفاتحة وتسمى كذلك سورة تبت وقد تحدثت عن هلاك "أبى لهب" عدو الله ورسوله الذى كان شديد العداء لرسول الله ﷺ فكان يترك شغله ويتبع الرسول ﷺ ليفسد عليه دعوته ويصد الناس عن دين الله وقد تواعدته السورة بنار موقدة يصلاها ويشوى بها وقرنت زوجته به فى ذلك واختصها بلون من العذاب الشديد هو ما يكون حول عنقها من حبل ليف تجذب به فى النار زيادة فى التذليل والدمار.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥ ﴾

معانى المفردات:

تبت : هلكت أو خسرت — تب : وقد هلك أو خسر

ما أغنى عنه ماله : ما دفع ماله العذاب عنه — ما كسب : الذى كسبه بنفسه

سيصلى نارا : سيدخلها أو يقاسى حرها — جيدها : عنقها

من مسد مما يفتل قويا من الحبال

التفسير:

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾ أى هلكت يدا ذلك الشقى "أبى لهب" وخاب وخسر وضل عمله ﴿ وَتَبَّ ﴾ أى وقد هلك وخسر الأول دعاء والثانى إخبار كما يقال أهلكه الله وقد هلك وأبو لهب هو "عبد العزى بن عبد المطلب "عم النبى ﷺ وامرأته العوراء" أم جميل أخت أبى سفيان وقد كان كل منهما شديد العداوة للرسول ﷺ فلما سمعت

امرأته مائزل في زوجها وفيها أتت الرسول ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضي الله عنه وفي يدها "فهر" أي قطعة من الحجارة، فلما دنت من الرسول ﷺ أخذ الله ببصرها عنه فلم تر إلا أبا بكر فقالت يا أبا بكر بلغني أن صاحبك يهجوني، فو الله لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه ثم انصرفت فقال أبو بكر: يا رسول الله: أما تراها رأتك؟ قال ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها عني وكانت قريش يسبُّون الرسول ﷺ يقولون: مذمما بدل "محمد" وكان يقول صلوات الله وسلامه عليه: ألا تعجبون كيف صرف الله عني أذى قريش؟ يسبُّون ويهجون مذمما وأنا محمد[1] ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ أي لم يفده ماله الذي جمعه، ولا جاهه وعزه الذي اكتسبه قال ابن عباس: "وما كسب" من الأولاد فإن ولد الرجل من كسبه.. روى أن الرسول ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب إن كان ما يقول ابن أخي حقا فإني أفتدى نفسي من العذاب بمالي وولدى فنزلت الآية الكريمة[2] قال الألوسي: كان لأبي لهب ثلاثة أبناء "عتبة" و "معتب" و "عتيبة" وقد أسلم الأولان يوم الفتح، وشهدا حنينا والطائف وأما "عتيبة" فلم يسلم، وكانت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ عنده وأختها رقية عند أخيه "عتبة" فلما نزلت السورة قال أبو لهب لها: رأسي ورأسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد فطلقاهما ولما أراد "عتيبة" بالتصغير الخروج إلى الشام مع أبيه قال لآتين محمدا وأوذيه فأتاه فقال يا محمد: إني كافر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى، ثم تفل أمام النبي ﷺ وطلق ابنته "أم كلثوم" فغضب ﷺ ودعا عليه فقال "اللهم سلط عليه كلبا من كلابك" فافترسه الأسد وهلك أبو لهب بعد وقعة بدر بسبع ليال بمرض معد "كالطاعون" يسمى "العدسة" وبقى ثلاثة أيام حتى انتن، فلما خافوا العار حفروا له حفرة ودفعوه إليها بعود حتى وقع فيها ثم قذفوه بالحجارة حتى واروه فكان الأمر كما أخبر به القرآن[3] ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴾ أي سيدخل نارا حامية ذات اشتعال وتوقد عظيم وهي نار جهنم ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ أي وسيدخل معه نار جهنم امرأته العوراء "أم جميل" التي كانت تمشي بالنميمة بين الناس قال ابن عباس: كانت تمشي بالنميمة

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٣/٦٨٧.
(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٣/٦٨٧.
(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٣/٦٨٧.

بين الناس لتفسد بينهم[1] ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ أى فى عنقها حبل من ليف قد فتل فتلا شديدا تعذب به يوم القيامة، قال مجاهد: هو طوق من حديد وقال ابن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت: واللات والعزى لأنفقها فى عداوة محمد، فأبدلها الله بها حبلا فى جيدها من مسد النار[2].

الإعراب:

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ	تبت فعل ماض مبنى والتاء للتأنيث، يدا فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى وحذفت النون للإضافة، أبى مضاف إليه مجرور بالياء، لهب مضاف إليه مجرور، وتب فعل ماض مبنى عطف على تبت وهى جملة دعائية لا محل لها.
مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ	ما حرف نفى مبنى على السكون ويجوز أن تكون استفهامية وعلى الثانى تكون فى محل نصب بما بعدها، والتقدير أى شىء أغنى عنه، أغنى فعل ماض مبنى، عنه جار ومجرور متعلقان بأغنى، ماله فاعل مرفوع، وما كسب الواو عاطفة، ما يجوز أن تكون مصدرية أو موصولة بمعنى كسبه أو مكسوبه، ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة المحل بما بعدها أى أىُّ شىء كسب؟
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ	السين حرف استقبال، يصلى مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، وفاعله مستتر تقديره هو، نارا مفعول به منصوب، ذات نعت منصوب، لهب مضاف إليه مجرور.
وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن	الواو عاطفة، امرأته عطف على ضمير يصلى مسوغة الفعل بالمفعول به وصفته، حمالة الحطب قرئت بالنصب على الشتم، قال الزمخشري "وأنا أستحب هذه القراءة" وقرئ بالرفع على إنه

(١) الألوسي: ٢٦٣/٣٠

(٢) القرطبي ٢٤٢/٢٠

مَسَدٍ	النعت لامرأته وجاز ذلك لأن الإضافة حقيقية إذ المراد المعنى أو أنها بدل لأنها تشبه الجوامد أو على أنها خبر لمبتدأ محذوف، فى جيدها جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم، حبل مبتدأ مؤخر مرفوع، من مسد جار ومجرور نعت لحبل.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- المجاز المرسل فى قوله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ حيث أطلق الجزء وأراد الكل أى هلك أبو لهب.
- الجناس فى قوله تعالى ﴿ أَبِى لَهَبٍ ﴾ وبين ﴿ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ فالأول كنيه والثانى صفة.
- الكناية للتصغير والتحقير ﴿ أَبِى لَهَبٍ ﴾ فليس المراد تكريمه بل تشهيره كأبى جهل.
- الاستعارة اللطيفة فى قوله تعالى ﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ استعارة للنميمة وهى استعارة مشهورة.
- النصب على الذم فى قوله تعالى ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ أى أخص بالذم حمالة الحطب.

السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(١١٢) سورة الإخلاص

فى رحاب السورة الكريمة

سورة كريمة مكية، آياتها أربع، نزلت بعد سورة الناس، تحدثت عن صفات الله جل وعلا الواحد الأحد، الجامع لكل صفات الكمال المقصود على الدوام، الغنى عن كل ما سواه، المتنزه عن كل صفات النقص وعن المجانسة والمماثلة، وردت على النصارى القائلين بالتثليث وعلى المشركين الذين جعلوا لله الذرية والبنين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④ ﴾

معانى المفردات:

الله الصمد: هو وحده الذى يقصد فى الحوائج

كفوا: مكافئا ومماثلا

التفسير:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستهترين، إن ربى الذى أعبده، والذى أدعوكم لعبادته هو واحد أحد لا شريك له، ولا شبيه له ولا نظير، لا فى ذاته ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله فهو سبحانه واحد أحد، ليس كما يعتقد النصارى بالتثليث" الأب والابن والروح القدس" ولا كما يعتقد المشركون بتعدد الآلهه قال فى التسهيل: واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة فى حقه تعالى.

الأول: أنه واحد لا ثانى له ولا شريك.

الثانى: أنه واحد لا نظير له ولا شريك.

والثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعَّض، والمراد بالسورة نفى الشريك ردا

على المشركين، وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وأوضحها أربعة.

الأول: قوله تعالى ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ (النحل ١٧) وهذا دليل الخلق والإيجاد فإذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لم يصح أن يكون واحد منها شريكا له.

الثاني: قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء ٢٢) وهو دليل الإحكام والإبداع.

الثالث: قوله تعالى ﴿ لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء ٤٢) وهو دليل القهر والغلبة

الرابع: قوله تعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ (المؤمنون ٩١) وهو دليل التنازع والاستعلاء[1]. ثم أكد تعالى وحدانيته واستغناءه عن الخلق فقال ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ أي هو جل وعلا المقصود له في الحوائج على الدوام، يحتاج إليه الخلق وهو مستغن عن العالمين ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ أي لم يتخذ ولدا، وليس له أبناء وبنات، فكما هو متصف بالكمالات منزه عن النقائص قال المفسرون: في الآية رد على كل من جعل لله ولدا كاليهود والنصارى فرد الله تعالى على الجميع في أنه ليس له ولد لأن الولد لابد أن يكون من جنس والده والله تعالى أزلي قديم ليس كمثله شيء، فلا يمكن أن يكون له ولد، ولأن الولد لا يكون إلا من زوجة، والله تعالى ليس له زوجة وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ ﴾ (الأنعام ١٠١).

﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ أي ولم يولد من أب ولا أم، لأن كل مولود حادث، والله تعالى قديم أزلي فلا يصح أن يكون مولودا ولا أن يكون والدا، وقد نفت الآية عنه تعالى إحاطة النسب من جميع الجهات، فهو الأول الذي كان ولم يكن معه شيء غيره ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أي وليس له جل وعلا مثيل ولا نظير ولا شبيه أحد من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/٢٢٣.

ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى ١١) فهو سبحانه مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساويه أو قريب يدانيه؟[1].

الإعراب:

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ	قل فعل أمر مبني وفاعله مستتر تقديره أنت، هو فيه قولان: (١) ضمير الشأن لأنه موضوع التعظيم كأنه قيل الشأن هو وهو أن الله واحد لا ثاني له والجملة بعده خبر مفسرة له. (٢) ضمير عائد على ما يفهم من السياق لأنه يروى في الأسباب التي دعت إلى نزول السورة أنهم قالوا: صف لنا ربك وانسبه. وعبارة الزمخشري "هو ضمير الشأن كقولك هو زيد منطلق، ومحله الرفع بالابتداء والخبر الله وأحد بدل من الله أو خبر ثان.
ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ	الله مبتدأ والصمد خبر مرفوع.
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ	لم حرف نفي وجزم يلد مضارع مجزوم بالسكون وفاعله مستتر ولم عطف على ما قبلها ويولد مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ولم يكن الجملة معطوفة أيضا على ما سبقها، له جار ومجرور متعلقان كفوا في محل نصب حال وكفوا خبر يكن مقدم منصوب أحد اسم يكن مؤخر مرفوع[2].

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- ذكر الاسم الجليل بضمير الشأن قل هو للتعظيم والتفخيم:

---

(١) صفوة التفاسير للاستاذ محمد على الصابوني ص ١٧٨٦.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه محي الدين الدرويش المجلد العاشر ص ٦١٧.

- تعريف الطرفين "الله الصمد" لإفادة التخصيص.
- الجناس الناقص "لم يلد ولم يولد" لتغير الشكل وبعض الحروف.
- التجريد فإن قوله تعالى "قل هو الله أحد" تقتضى نفى الكفء والولد وقوله تعالى "ولم يكن له كفوا أحد" وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله فى العموم وذلك زيادة فى الإيضاح والبيان.
- السجع الجميل غير المتكلف وهو من المحسنات البديعة.

❖ ❖ ❖

(١١٣) ســورة الفلـــق

فى رحاب السورة الكريمة

سورة كريمة مكية، آياتها خمس نزلت بعد سورة الفيل وفيها تعليم للعباد أن يلجأوا إلى حمى الرحمن ويستعيذوا بجلاله وسلطانه من شر مخلوقاته ومن شر الليل إذا أظلم لما يصيب النفوس فيه من الوحشة ولانتشار الأشرار والفجار فيه ومن شر كل حاسد وساحر وهى إحدى المعوذتين اللتين كان ﷺ يعوذ نفسه بهما.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤ ﴾

معانى المفردات:

أعوذ: أعتصم وأستجير	برب الفلق: الصبح أو الخلق
شر غاسق: شر الليل	وقب: دخل ظلامه فى كل شىء
النفاثات: السواحر المفسدات	العقد: ما يعقدن من السحر

التفسير:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ أى قل يا محمد التجئ وأعتصم برب الصبح الذى ينفلق عنه الليل ويتجلى عنه الظلام قال ابن عباس الفلق: الصبح كقوله تعالى ﴿ ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ (1) وفى أمثال العرب هو ابن من فلق الصبح، قال المفسرون: سبب تخصيص الصبح بالتعوذ خلقه الله تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ أى من شر الليل إذا أظلم واشتد ظلامه فإن ظلمة الليل تنتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن قال

---

(١) مختصر ابن كثير ٢/ ٦٩٤ من الآية (٩٦) سورة الأنعام.

الرازى: وإنما أمر أن تتعوذ من شر الليل لأن فى الليل تخرج السباع والهوام ويهجم السارق والمكايد ويقع الحريق ويقل فيه الغوث[1] ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ أى ومن شر السواحر اللواتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن "أى ينفخن" فيها ليضروا عباد الله بسحرهن، ويفرقوا بين الرجل وزوجته قال فى البحر وسبب نزول المعوذتين قصة "لبيد بن الأعصم" الذى سحر رسول الله ﷺ فى مشط ومشاطة وجفة قشر الطلع طلقة ذكر ووتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة، مغروز بالأبر فأنزلت عليه المعوذتان فجعل كلما قرأ آية انحلت عقده ووجد فى نفسه خفه ﷺ حتى إنحلت العقدة الأخيرة فقام فكأنما نشط من عقال[2] ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ أى ومن شر الحاسد الذى يتمنى زوال النعمة عن غيره ولا يرضى بما قسمه الله له.

الإعراب:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ	قل فعل أمر مبنى على السكون الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، أعوذ مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنا والجملة فى محل نصب مقول القول برب جار ومجرور متعلقان بأعوذ الفلق مضاف إليه مجرور.
مِن شَرِّ مَا خَلَقَ	من شر جار ومجرور متعلقان بأعوذ ما اسم موصول فى محل جر بالإضافة خلق فعل ماض مبنى وفاعله مستتر تقديره هو والجملة صلة الموصول ويجوز أن تكون ما مصدرية.
وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ	الواو عاطفة والجملة معطوفة على ما قبلها، غاسق مضاف إليه مجرور إذا ظرف لمجرد الظرفية، وقب فعل ماض وفاعله مستتر والجملة فى محل جر بالإضافة للظرف.
وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ	ومن شر النفاثات معطوفة على ما قبلها وبنفس الإعراب، فى العقد جار ومجرور متعلقان بالنفاثات.

(١) التفسير الكبير للرازى ١٩٥/٣١.

(٢) البحر المحيط ٥٣٠/٨.

وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ	عطف على ما تقدم وبنفس إعراب الآية الثالثة.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الجناس الناقص بين "الفلق" و "خلق".
- الإطناب بتكرار الاسم "شر" مرات في السورة "من شر ما خلق" و "ومن شر غاسق" و "ومن شر النفاثات" تنبيها على شناعة هذه الأوصاف.
- ذكر الخاص بعد العام للاعتناء بالمذكور "من شرما خلق" فإنه عموم يدخل تحته شر الغاسق وشر النفاثات وشر الحاسد.
- جناس الاشتقاق بين "حاسد" و "حسد".
- السجع الجميل غير المتكلف مراعاة لرءوس الآيات.

❖ ❖ ❖

(١١٤) سورة الناس

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية، آياتها ست نزلت بعد سورة الفلق وفيها الاستجارة والاحتماء برب الأرباب من شر أعدى الأعداء أبليس لعنة الله عليه وأعوانه من شياطين الأنس والجن والذين يغوون الناس بأنواع الوسوسة والإغواء وقد ختم الكتاب العزيز بالمعوذتين ويدئ بالفاتحة ليجمع بين حسن البدء وحسن الختام وذلك غاية الحسن والجمال لأن العبد يستعين بالله ويلتجئ إليه من بداية الأمر إلى نهايته.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦ ﴾

معاني المفردات:

أعوذ: أعتصم وأستجير — برب الناس: مربيهم وخالقهم

ملك الناس: مالكهم — إله الناس: معبودهم

الوسواس: الموسوس جنيا أو إنسيا — الخناس: المتوارى المختفى

التفسير:

﴿ قُلْ أَعُوذُ ﴾ أى قل يا محمد أعتصم وألتجئ وأستجير ﴿ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ أى بخالق الناس ومربيهم ومدبر شئونهم الذى أحياهم وأوجدهم من العدم وأنعم عليهم بأنواع النعم قال المفسرون: إنما خص الناس بالذكر وإن كان جلت عظمته رب جميع الخلائق تشريفا وتكريما لهم من حيث إنه سخر لهم ما فى الكون، وأمدهم بالعقل والعلم وأسجد لهم ملائكة قدسه، فهم أفضل المخلوقات على الإطلاق ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ أى مالك جميع الخلق حاكمين ومحكومين، ملكا تاما شاملا كاملا يحكمهم ويضبط

أعمالهم ويدبر شئوهم فيعز ويذل ويغني ويفقر ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ أى معبودهم الذى لا رب سواه قال القرطبى: وإنما قال ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ لأن فى الناس ملوكا فذكر أنه ملكهم وفى الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودهم وأنه سبحانه هو الذى يستعاذ به ويلجأ إليه دون الملوك والعظماء[1] وترتيب السورة بهذا الشكل فى منتهى الإبداع لأن الإنسان يعرف أن له ربا لما يشاهده من أنواع التربية "رب الناس" ثم إذا تأمل عرف أن هذا الرب متصرف فى خلقه غنى عن خلقه فهو ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ ثم إذا زاد تأمله عرف أن الله هو المستحق للعبادة لانه لا عبادة إلا للغنى عن سواه المفتقر إليه كل ما عداه ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ وإنما كرر لفظ الناس ثلاثا و لم يكتف بالضمير، لإظهار شرفهم وتعظيمهم والإعتناء بشأنهم قال ابن كثير هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل "الربوبيه" و "الملك" و "الإلهية" فهو رب كل شىء ومليكه وإلهه وجميع الأشياء مخلوقة له[2] ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ أى من شر الشيطان الذى يلقى حديث السوء فى النفس ويوسوس للإنسان ليغريه بالعصيان؟؟ الذى يخنس أى يختفى ويتأخر إذا ذكر العبد ربه فإذا غفل عن الله عاد فوسوس له ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ أى الذى يلذ لشدة خبثه فى قلوب البشر صنوف الوساوس والأوهام قال القرطبى: ووسوسته هو الدعاء لطاعته بكلام خفى يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت[3] ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ من بيانيه أى هذا الذى يوسوس فى صدور الناس هو من شياطين الجن والأنس كقوله تعالى ﴿ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[4] فالأية استعاذة من شر الإنس والجن جميعا ولا شك أن شياطين الإنس أشد فتكا وخطرا من شياطين الجن فإن شياطين الجن يخنس بالاستعاذه، وشياطين الإنس يزين له الفواحش ويغريه بالمنكرات ولا يثنيه عن عزمه شىء والمعصوم من عصمه الله.

---

(١) القرطبى ٢٠/٢٦٠.

(٢) مختصر ابن كثير٣/٦٩٦.

(٣) القرطبى ٢٠/٢٦٣.

(٤) الآية (١١٢) سورة الأنعام.

الإعراب:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ	قل فعل أمر مبنى على السكون، والفاعل لضمير مستتر تقديره أنا، أعوذ فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة والفاعل مستتر تقديره أنا برب جار ومجرور متعلقان بأعوذ، الناس مضاف إليه وجملة أعوذ فى محل نصب مقول القول.
مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ	ملك بدل من رب أو نعت مجرور أو عطف بيان والناس مضاف إليه مجرور إله الناس نفس هذا الإعراب.
مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ	من شر جار ومجرور متعلقان بأعوذ، الوسواس مضاف إليه مجرور الخناس نعت مجرور.
ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ	الذى اسم موصول فى محل جر نعت لوسواس قال فى الكشاف: ويجوز فى محله الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم يوسوس مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو فى صدور جار ومجرور متعلقان بيوسوس، الناس مضاف إليه مجرور.
مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ	من الجنة جار ومجرور متعلقان بيوسوس، والناس معطوف مجرور بالكسرة.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الإضافة للتشريف والتكريم ﴿ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ومثلها فى الآيتين بعدها.
- الطباق بين ﴿ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾.
- الإطناب بتكرار الاسم ﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ زيادة فى التعظيم لهم والاعتناء بشأنهم العظيم.
- الجناس فى قوله تعالى "يوسوس.... الوسواس" وهو جناس اشتقاق.

مافى السورة من الجرس الموسيقى الذى تفصل الألحان بعذوبة البيان وذلك من خصائص القرآن الكريم.

دعـــاء قرآني

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا
كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا
بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾

(البقرة ٢٨٦)

فضل القرآن الكريم

قراءة القرآن الكريم لها فضل عظيم لا بدانيه فضل ، فاحرص يا أخا الإسلام على قراءة القرآن الكريم والتزود من علومه الغزيرة ، حتى يرتفع شأنك عند الله وتكون ذا منزلة سامية يقول الله عز وجل ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ﴾

الآية (١١) "سورة المجادلة"

ويقول سبحانه وتعالى أيضا ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ ... ﴾

الآية (٩) سورة الزمر

ويقول الرسول الكريم ﷺ "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه" (رواه مسلم)

ويقول ﷺ أيضا "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان[1] عن صاحبهما" رواه مسلم.

ويقول ﷺ "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" رواه البخارى.

---

(١) تحاجان: تجادلان وترافعان.

خاتمـــه

أحمد الله تبارك وتعالى وأصلى وأسلم على نبيه الكريم محمد ﷺ حيث وفقنى لإتمام هذا العمل المتواضع الذى أبتغى به وجه الله عز وجل أملا فى ثوابه ورضوانه وأرجو أن ينال هذا العمل رضاء محبى اللغة العربية ودارسيها فهى لغة القرآن الكريم والمعجزة الخالدة الباقية إلى يوم الدين.

وخير ختام قول الله عز وجل: "سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين"

الكاتب

محمد حسين سلامة الداؤدي

أهم المراجع

- تفسير الإمام القرطبى
- تفسير الإمام ابن كثير
- تفسير الزمخشرى
- صفوة التفاسير لمحمد على الصابونى
- روح المعانى للآلوسى
- التفسير الكبير للرازى
- إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدرويش
- صحيح البخارى
- صحيح مسلم

الكاتب فى سطور

محمد حسين سلامة الداؤدى من مواليد وادى الملاك محافظة الشرقية ١٩٣٨.

- من خريجى كلية الدراسات العربية والإسلامية جامعة الأزهر الشريف عمل بوظائف التدريس حتى صارا ناظرا بالتعليم العام.

صدر له

١ - إعراب سورة الكهف "المكتبة التوفيقية"

٢ - سلسلة "التيسير فى تفسير وإعراب القرآن الكريم صدر منها خمسة أجزاء كاملة والجزء السادس تحت الطبع إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣ -الإيجاز فى سيرة الرسول الأعظم "محمد ﷺ".

٤ -قواعد اللغة للمبتدئين إصدار دار الطلائع.

٥ -أهم معجزات الأنبياء والرسل "إصدار الدار المصرية اللبنانية".

٦ -الإعجاز البلاغى فى القرآن الكريم إصدار دار الأفاق.

٧ -المبسَّط فى شرح قواعد اللغة العربيه إصدار دار الفكر العربى.

المحتويات